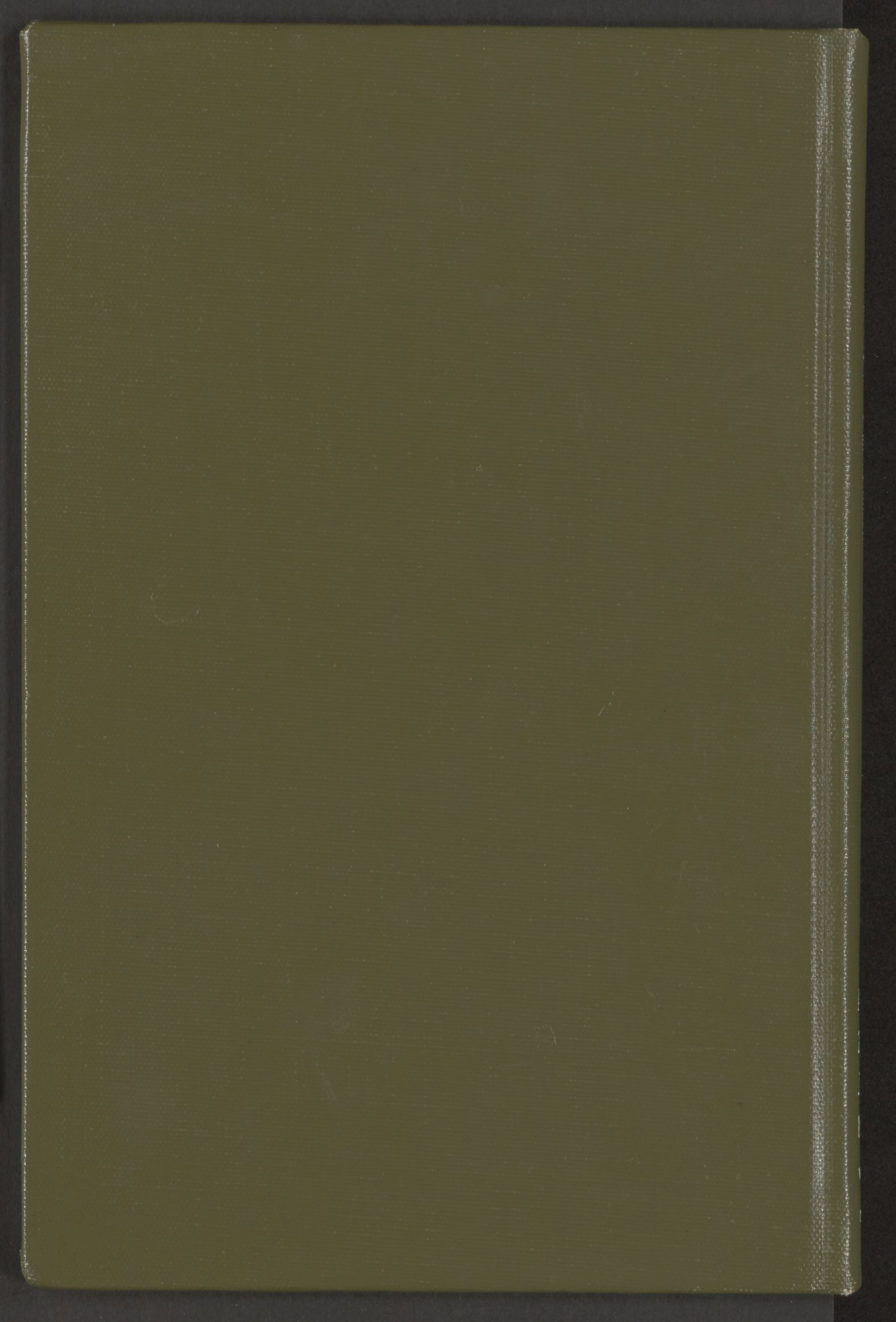
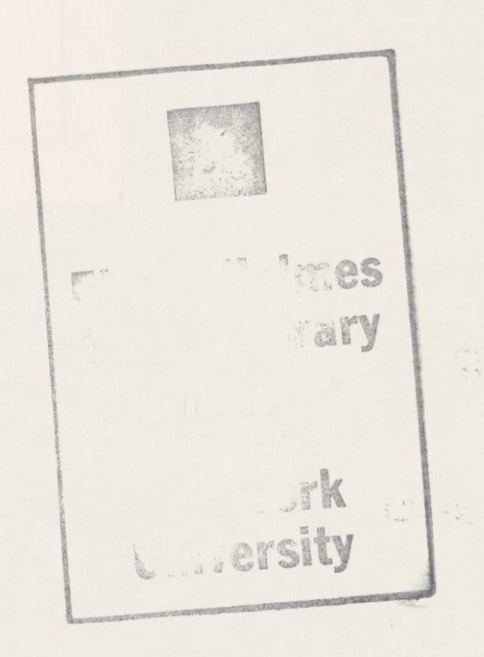
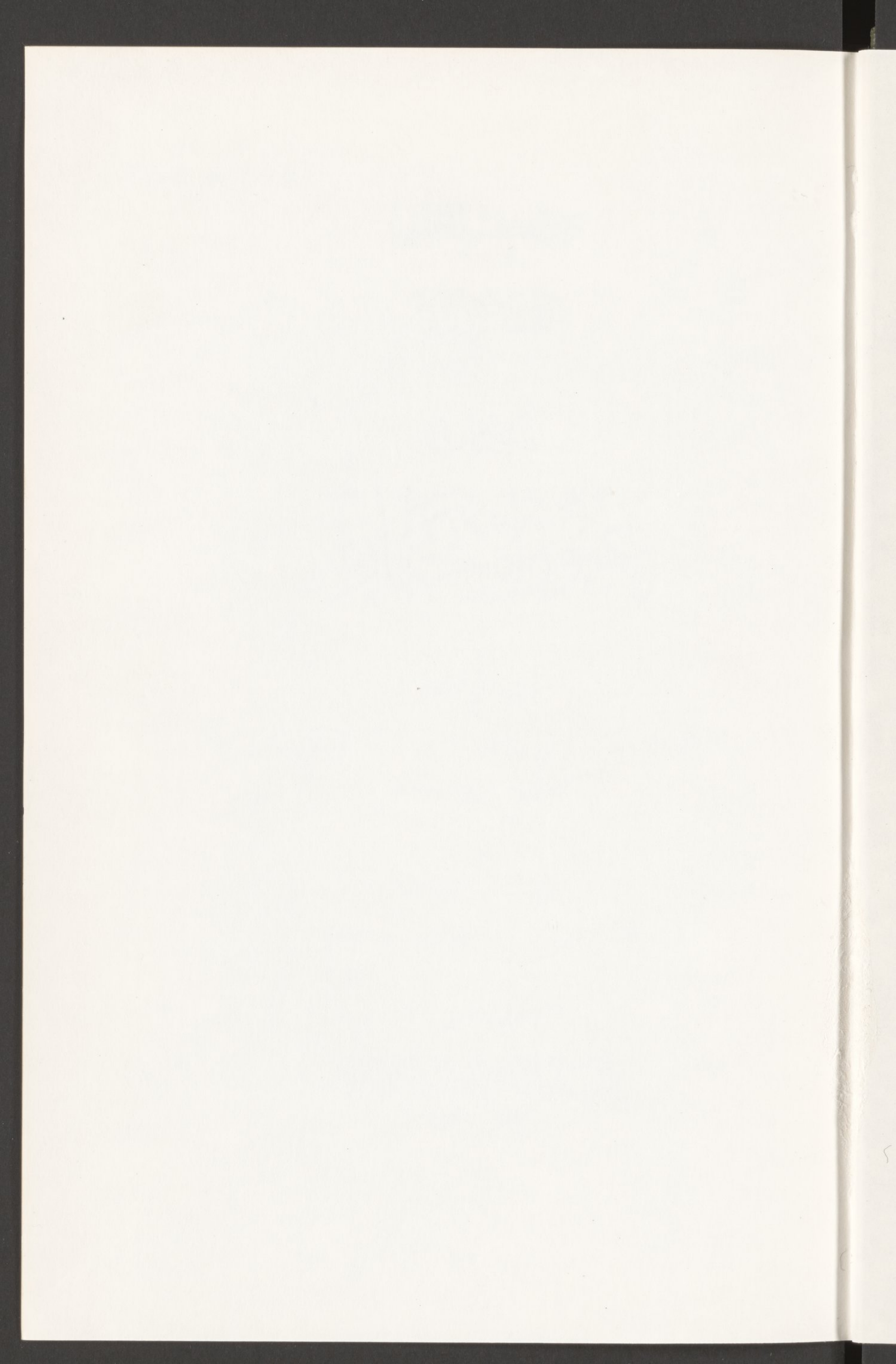
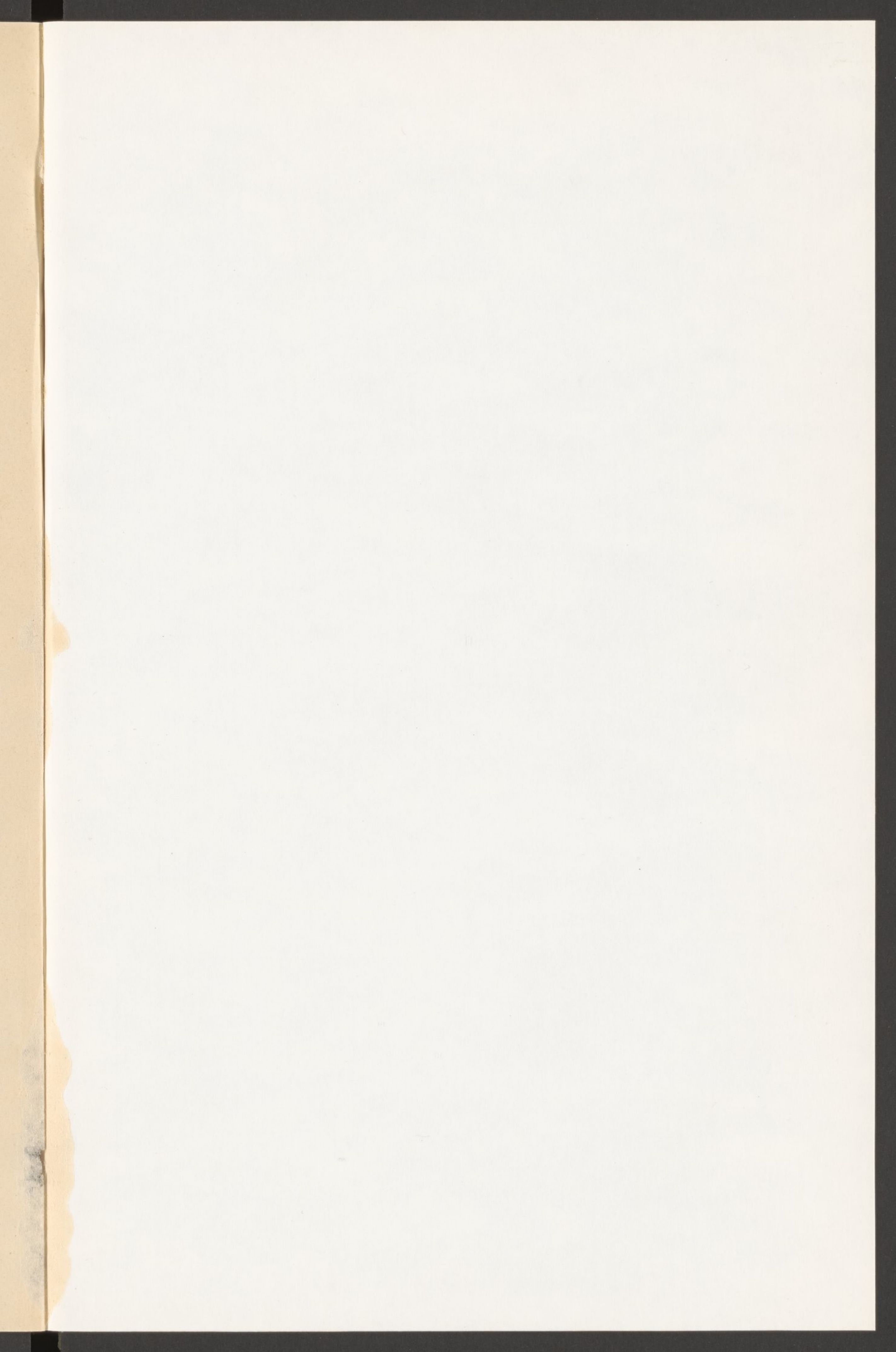












دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

كتاب عيون الأخبار

تأليف

أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة الدِّينَوَرِى

المتوفَّى سنة ٢٧٦ هـ

المجلد الثالث

كتاب الإخوان — كتاب الحوائج — كتاب الطعام

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م

فهرس

المجلد الثالث من كتاب عيون الأخبار

لابن قتيبـــة

كتاب الإخوان

كتاب الحــوائج

كتاب الطعام

(مطبعة الدار ١٩٢٩/٧٩٧/٣٠٠٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاخوان

الحثّ على اتخاذ الإخوان واختيارهم

حدّثنا سَهْل بن محمد قال حدّثنا الأصمعيّ قال أخبرنا العِجْليّ قال بعض الأدباء لابنه : يا بنيّ ، إذا دخلت المصرَ فآستكثرْ من الصديق فأمّا العدوّ فلا يُهِمَّنَّكَ ؛ وإياكَ والخُطَبَ فإنها مِشْوار[1] كثيرُ العِثارِ .

قال : وبلغنى عن الأوزاعيّ عن يحيي بن كَثير : أن داود النبيّ عليه السلام قال لابنه سليمان عليه السلام : "يا بُنيّ ، لا تَستَبدِلنّ بأخٍ لك قديم أخا مُستفادًا ما استقامَ لك ، ولا تَستَقِلَّنّ أن يكون لك عدوٌّ واحدٌ ، ولا تَستَكثِرَنّ أن يكون لك ألفُ صديقٍ" .

وكان يقال : أعجزُ الناس مَنْ فرّط فى طلب الإخوان ، وأعجزُ منه مَنْ ضَيَّع مَنْ ظَفِر به منهم .

وفى الحديث المرفوع : "المرءُ كثيرٌ بأخيه" . وأنشد ابن الأعرابيّ :

لعمرُكَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ * ولكنّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

(١) هكذا فى لسان العرب مادّة «شور» والمشوار : الشوط . وفى الأصل : «مشوا» .

قال أبو الجرّاح العُقَيلى : وجدتُ أعراضَ الدّنيا وذخائرَها بِعَرْضِ المتالفِ إلّا ذخيرةَ الأدب وعَقِيلةَ الخُلَّة ، فاستكثِروا من الإخوان واستعصِموا بعُرَا الأدب .

وكان يقال : الرجلُ بلا إخوانٍ كاليمين بلا شِمَالٍ . وقال الشاعر :

إذا لم يكن للقوم عِزٌّ ولم يكن * لهم رَجُلٌ عند الإمامِ مَكِينُ

فكانوا كأيدٍ أوهنَ اللهُ بطشَها * تُرَى أشملاً ليستْ لهنّ يمينُ

قال أيوبُ السَّختِيانىّ : إذا بلغنى موتُ أخٍ لى فكأنما سقط عضوٌ منّى .[1]

وقال القَطَامىّ[2] :

وإذا يُصيبكَ ـ والحوادثُ جَمّةٌ ـ * حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيك الأوثقِ

وقال آخر[3] :

أخاك أخاك إنّ مَنْ لا أخا له * كساعٍ إلى الهَيْجا بغيرِ سلاحِ

وإنّ ابنَ عَمِّ المرءِ فاعلمْ جَنَاحُه * وهل يَنهَضُ البازِى بغيرِ جَناحِ

وقال الثّقفىّ :

من كان ذا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلَامتَهُ * إنّ الذليلَ الذى ليستْ له عَضُدُ

تَنْبُو يداهُ إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ * ويأنَفُ الضَّيمَ إن أثْرَى له عَدَدُ

وقال آخر :

وبَغضاءُ التقِىّ أقلُّ ضَيراً * وأسلَمُ من مودّة ذِى الفُسُوقِ

ولن تَنفكَّ تُحْسَدُ أو تُعَادَى * فأكْثِرْ ما استطعتَ من الصّديقِ

---

(١) فى الأصل : « إذ ... ... كأنما ... ... » . (٢) بفتح القاف وضمها وهو عمير ابن شُيَيْم التغلبىّ من بنى جشم بن بكر بن الأرقم ، وقد ورد البيت فى ديوانه المطبوع بليدن هكذا : وإذا أصابك الخ . وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

طرقت جنوب رحالنا من مطرق * ما كنت أحسبها قريب المعنق

(٣) هو مسكين الدارمىّ واسمه ربيعة بن عامر (أنظر خزانة الادب للبغدادى طبع بولاق ج ١ ص ٤٦٦) .

وكتب الفضلُ بن سيّار الى الفضل بن سَهْل :

يا أبا العبـاس إنّى ناصحٌ * لكَ والنصحُ لذى الودّ كبيرُ[1]

لا تُعِـدّنّ ليـوم صـالح * إنّ إخوانَك فى الخـير كثيرُ

ولْيكُنْ للشرّ ما أعددتَهُـم * إنّ يومَ الشرّ صَعْبٌ قَمطرِيرُ

هذه السُّـوقُ التى آملُها * يا أبا العباس والعمرُ قصيرُ ٥

قال المأمون : الإخوانُ ثلاثُ طبقاتٍ : طبقةٌ كالغِذاء لا يُستغنَى عنه، وطبقةٌ كالدواء لا يُحْتاجُ إليه إلا أحيانا، وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا .

قال حدّثنى سعيدُ بن سليمان قال حدّثنا إسماعيلُ بن زكريّا عن سعيد بن طَرِيف عن عُمير بن المأمون قال : سمعتُ الحسـنَ بن علىّ يقول : من أدام الاختلاف الى المسجد أصاب ثمانىَ خصال : آيةً محكمةً، وأخا مُستفاداً، وعلما مُستطرفاً، ورحمةً مُنتظرةً، وكلمةً تَدُلُّه على هدًى أو تَردَعُه عن ردًى، وتَرْكَ الذنوبِ حياءً أو خَشْيةً . ١٠

قال وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبيه قال : كان يقال : الصاحبُ رُقعةٌ فى قميص الرجل، فلينظُرْ أحدُكُم بِمَ يَرْقَعُ قميصَه .

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن أبيه أنه قال : كان يقال : ما وجدنا شيئًا أبلغَ فى خير أو شرّ من صاحب . ١٥

وحدّثنى الرياشىّ عن الأصمعىّ قال حدّثنا سليمانُ بن المُغيرة قال : قال يونس : آثنان ما فى الأرض أقلُّ منهما ولا يزدادان إلا قِلّةً : درهمٌ يوضَعُ فى حقٍّ ، وأخٌ يُسكَنُ اليه فى الله .

---

(١) فى الأصل : «... لذى الودّ كثير» بالثاء المثلثة ، وفى الذى بعده : «إن إخوانك فى الخير كبير» بالباء الموحدة ، فوضعنا كلا من الكلمتين مكان الأخرى لاستقامة الكلام . ٢٠

وحدّثنى شيخ لنـا عن محمد بن مُنَاذِر عن سـفيانَ بن عُيينةَ قال : قال علقمةُ ابن لَبِيد العُطَارِدِىّ لابنـه : يابنىّ، إذا نَزعَتك إلى صحبـة الرجال حاجةٌ، فاصحَبْ منهم مَنْ إن صحِبتَه زانك، وإن خدَمتَـه صانك، وإن أصابتكَ خَصَاصةٌ مانك؛ وإن قلتَ صدّق قولك، وإن صُلتَ شدّ صَوْلَك، وإن مَددتَ يدكَ بفضلٍ مَدّها، وإن رأى منكَ حسـنةً عدّها، وإن سألتَه أعطاك، وإن سكتَّ عنـه ٱبتداك، وإن نَزَلَتْ بك إحدى الملِمّات آساك، مَنْ لا يأتيك منه البوائق، ولا تَختلفُ عليك منه الطرائق، ولا يَخذُلُكَ عنـد الحقائق، وإن حاول حوِيلًا آمَرَك[1]، وإن تنازعتما مُنْفِساً[2] آثرك .

قال محمد بن كعب القُرَظِىّ[3] لعمر بن عبـد العزيز : إنّ فيك عقلا وإنّ فيـك جهلا، فَدَاوِ بعضَ ما فيـكَ ببعضٍ، وآخِ من الإخوان من كان ذا مَعْلاةٍ[4] فى الدّين ونيّةٍ فى الحق، ولا تُؤاخِ منهم مَنْ تكونُ منزلتكَ عنـده على قدر حاجتِه اليكَ، فإذا قضى حاجتَه منك ذهب ما بينكَ وبينـه . واذا غرَسْتَ غِراسا من المعروف فلا تَبغِينّ[5] أن تُحسِنَ تربيتَه .

وقال الأحنفُ بن قيس : خيرُ الإخوانِ مَنْ إن استغنَيْتَ عنـه لم يَزِدْكَ فى المودّةِ، وإن احتجتَ إليه لم يَنقُصْكَ منها، وإن عَثَرْتَ عضَدَكَ، وإن احتَجْتَ الى مؤُونتِه رَفَدَكَ . وقال الشاعر :

إنّ أخاكَ الصّدقَ مَنْ لن يَخدَعَكْ * ومَنْ يضُرُّ نفسَـه لِينفعَكْ
ومَنْ إذا رَيبُ زمانٍ صَدَعَكْ * شتّتَ شملَ نفسِـه ليجمَعَكْ
* وإن رآكَ ظالمًا سَعَى معَـكْ *

(١) حاول الشىء : أراده، والحويل : الاسم منه، وآمر : شاور . (٢) المنفس : النفيس . (٣) فى الأصـل « القرصى » وهو تحريف . (٤) المعلاة : العلو والشرف . (٥) فى الأصل : «فلا تبقين» .

وقال نُجَيّة بن المضرّب :

أخوكَ الذى إن تدعُه لمُلِمّةٍ * يُجِبْكَ وإن تَغضَبْ الى السّيفِ يَغضَبِ

وكتب رجلٌ إلى صديق له : أنت كما قال أعشَى باهِلَةَ :

مَنْ ليس فى خيرِه مَنٌّ يُفسِدَه * على الصّديقِ ولا فى صفوِهِ كدرُ

وليس فيه إذا استنظرتَه عَجَلٌ * وليس فيه إذا ياسَرتَه عُسُرُ[1] ٥

وقال علىّ بن أبى طالب كرّم اللهُ وجهَه :

أخوكَ الذى إن أحوَجَتْكَ مُلِمّةٌ * من الدّهرِ لم يبرَحْ لها الدّهرَ واجِمَا

وليس أخوكَ الحقُّ مَنْ إن تشعّبَتْ * عليكَ أمورٌ ظلّ يلحاكَ لائمَا

وقال آخر :

إذا كان إخوانُ الرجالِ حرارةً * فأنتَ الحلالُ الحُلْوُ والباردُ العَذْبُ ١٠

لنا جانبٌ منه دَميثٌ وجانبٌ * إذا رامه الأعداءُ مَرْكَبُه صَعْبُ

وتأخذُه عند المكارمِ هِزّةٌ * كما اهتزّ تحت البارحِ الغُصُنُ الرطبُ

وقال آخر :

أَبكى أخًا يتلقّانى بنائلِهِ * قبلَ السؤالِ ويلقَى السّيفَ مِنْ دونى

إنّ المنايا أصابَتْنى مَصائبُها * فاستعجَلَتْ بأخٍ قد كان يكفينى ١٥

وقرأتُ فى كتاب للهند : رأسُ المودّةِ الاسترسالُ .

وقال أكثمُ بنُ صيفىّ : مَنْ تراخى تألّف ، ومن تشدّد نفّر ، والشرفُ التغافلُ .

وقال حاتمٌ : العاقل فَطِنٌ مُتغافلٌ .

---

(١) العسر (بالضم وبضمتين وبالتحريك) : ضدّ اليسر .

وقرأتُ فى كتاب للهند : مِنْ علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقًا ولعدوّ صديقه عدوّا (١) . قال العتّابىّ فى ذلك :

تَوَدُّ عـدوّى ثم تزعُـم أنّنى * صديقُكَ، إن الرأىَ عنك لعازِبُ
وليس أخى مَنْ ودَّنى رَأْىَ عينِه * ولكِنْ أخى مَنْ صَدَّقَتْه المغايِبُ

٥ قيل لبُزُرْجِمِهْر : أخوك أَحَبُّ اليك أم صـديقُكَ ؟ قال : إنمـا أُحِبُّ أخى إذا كان صديقا .

وقال بعضهم : إن أحبَّ (٢) إخوانى الىّ، مَنْ كَثُرَتْ أيادِيهِ علىّ .

وقال رجل فى أخ له .

وكنتُ إذا الشدائدُ أرْهَقتْنِى * يقومُ لهـا وأقعـدُ لا أقومُ

١٠ وقال آخر :

أخٌ طالمـا سـرَّنى ذكرُه * فأصبحتُ أشجَى لدَى ذكرِهِ
وقد كنت أغدُو إلى قصره * فأصبحتُ أغدُو إلى قـبرِه
وكنت أرانى غنيًّا به * عن الناس لو مُدَّ فى عمـرِه
إذا جئتُـه طالبًـا حاجةً * فأمرِى يجُـوزُ على أمرِه

١٥ وصف أعرابىّ رجلا قال : كان واللهِ يَتَحسَّى (٣) مرارَ الإخوانِ ويَسقِيهم عَذْبَهُ .

وقال أعرابىّ (٤) :

أخٌ لكَ ما تراه الدّهرَ إلا * على العِـلّاتِ (٥) بَسّاما جوادَا

(١) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٧ وهو الصواب، وفى الأصل : «ولعدوّ عدوّه عدوّا» .
(٢) فى الأصل « إنّ أحب اخوانى علىّ من كثرت أياديه الىّ» . (٣) كذا بالأصل، ولم نجد هذه
٢٠ الصيغة فى كتب اللغة التى بين أيدينا، ولعله محرّف عن «مرّ» المقابل للعذب، وهو ما يقتضيه السياق .
(٤) هذه الأبيات نسبت فى الأغانى لزياد الأعجم (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) . (٥) هو من قولهم : على علاته، أى على كل حال .

سألناه الجزيلَ فما تلكَّا * وأعطَى فوق مُنْيتِنا وزادا

فأحسنَ ثم أحسَنَ ثم عُدنا * فأحسنَ ثم عُدتُ له فعادا

مِرارًا لا أعودُ إليه إلّا * تبسَّمَ ضاحكًا وثنَى الوِسادا

المودّة بالتّشاكل

بلغنى عن ٱبن عُيينة أنه قال: قال ابن عباس: القرابة تُقْطَعُ والمعروفُ يُكْفَر، ولم يُرَ كتقارُبِ القلوب.   ٥

قال رجل للعَرْجِىّ: جئتكَ أخطبُ إليك مودّتكَ، فقال: لا حاجة بكَ الى الخِطْبة، قد جاءتكَ زِناً فهو ألذُّ وأحلَى. وقال الكُميتُ بن معروف:

ما أنا بالنِّكْسِ الدّنِىء ولا الذى * اذا صَدّ عنه ذو المودّةِ يَقْرُبُ

ولكنه إن دام دمتُ و إن يكن * له مذهبٌ عنّى فلى عنه مذهبُ   ١٠

ألَا إنّ خيرَ الودّ وُدٌّ تطوّعَتْ * به النفسُ لا وُدٌّ أتى وهو مُتعِبُ

وقال الطائى:

ذو الودّ منّى وذو القُرْبى بمنزلةٍ * و إخوتى أُسوةٌ عندى و إخوانى

عِصابةٌ جاورتْ آدابُهم أدبى (١) * فهم و إنْ فُرّقوا فى الأرض جيرانى

أرواحُنا فى مكانٍ واحدٍ وغَدَتْ * أبدانُنا بِشآمٍ (٢) أو خُراسانِ   ١٥

وقال عبدُ الله بنُ عبدِ الله بن عتبةَ لعمرَ بن عبد العزيز:

أبِنْ لِى فكُنْ مثلى أوِ ٱبتَغِ صاحبًا * كمثلكَ إنّى مُبتغٍ صاحبًا مِثْلِى

---

(١) فى الأصل: «جاوزت» بالزاى، والتصويب من ديوان أبى تمام. (٢) فى الأصل: «لشآم» والتصويب من ديوان أبى تمام.

عزيزٌ إخائى، لا يَنالُ مـــودّتى * من القوم إلا مسـلمٌ كاملُ العقلِ

وما يَلبَثُ الإخوانُ أن يتفـرّقوا * إذا لم يُؤلّفْ رُوحُ شكل الى شكلِ

وقال الطائى :

ولَن تَنظِمَ العِقدَ الكَعَابُ لزينـةٍ * كما يَنظِمُ الشملَ الشّتيتَ الشمائلُ

٥ كتب بعضُ الكتّاب الى صديق له : إنى صادفتُ منك جوهرَ نفسى ، فأنا غيرُ محمودٍ على الانقياد لك بغيرِ زمامٍ ، لأن النفسَ يَتْبَع بعضُها بعضًا .

قال حدّثنى محمد بن داود قال حدّثنا يزيد بن خَلَف عن يعقوب بن كعب عن بَقِيّـةَ عن صَفْوانَ بنِ عمرو عن شُريح عن أبى عُبيـدٍ قال : كتب أبو الدَّرْداء الى سَلْمانَ : إن تكن الدارُ من الدارِ بعيـدةً فإنّ الرُّوح من الرُّوح قريبٌ ، وطيرُ السماء

١٠ على إلْفه من الأرض يَقعُ .

وقال أبو العتاهية :

يُقاسُ المـرءُ بالمرءِ * اذا ما هـو ماشَاهُ

ولِلقلبِ على القلب * دليلٌ حين يلقاهُ

وللشّكلِ على الشّكلِ * مقاييسٌ وأشـباهُ

١٥ وفى العين غِنًى للعيـ * ـنِ أن تَنطِقَ أفواهُ

وقال المُسَاحِقىّ :

يُزَهّـدُنى فى وُدّكَ ٱبنَ مُسَـاحِقٍ * مَودّتُكَ الأرذالَ دونَ ذوِى الفضلِ

وأنّ شِرَارَ النّـاس سادُوا خِيارَهم * زمانَكَ، إنّ الرَّذْلَ للزّمنِ الرَّذْلِ

باب المحبّة

قال حدّثنى أحمد بن الخليل عن محمد بن بشار عن يحيى بن سعيد عن ثور بن يزيدَ عن حبيب بن عُبيد عن المِقْدام بن معدِ يكرِب، وكان أدرك النبىّ صلى الله عليه وسلم، قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "إذا أحبّ أحدُكم أخاه فَلْيُعْلِمْهُ أنه يُحبّهُ".

وحدّثنى محمد بن داود عن أبى الرَّبيع عن حمَّاد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال : ثلاثٌ يُصْفِينَ لكَ وُدَّ أخيكَ : أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وتُوسعَ له فى المجلس، وتَدعُوَهُ بأحبّ أسمائه اليه. وثلاثٌ من العِىّ[1] : أن تَعيبَ على الناس ما تأتِى، وأن تَرى من الناس ما يخفَى عليكَ من نفسكَ، وأن تُؤذِىَ جليسك فيما لا يَعْنِيك.

وكان يقال : لا يكن حبُّكَ كَلَفا ولا بغُضُكَ تَلَفا. أى لا تُسرِفْ فى حبك وبُغضكَ. ونحوه قولُ الحسن : أحِبُّوا هونًا فإنّ أقواما أفرطوا فى حبّ قوم فهلكوا.

وكان يقال : مَنْ وجد دون أخيه سِترًا فلا يهتِكْه.

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أتانى هواها قبل أن أعرِفَ الهوى * فصادَفَ قلبًا فارغا فتمكّنا

قال عُمر بن الخطاب رضى الله عنه لِطُلَيحةَ الأسدىّ : قتلتَ عُكَّاشةَ بنَ مِحْصَنٍ! لا يُحبّكَ قلبى ! قال : فمعاشرةً جميلةً يا أمير المؤمنين، فإنّ الناس يتعاشرون على البغضاء.

وكتب رجلٌ إلى صديق له : الشوقُ اليكَ والى عهد أيامكَ — التى حَسنَتْ بكَ كأنها أعيادٌ، وقَصُرتْ بك حتى كأنها ساعاتٌ — يفوت الصفات، ومما جدّد الشوقَ

(١) العىّ : الجهل.

وكثَّر دواعِيَه تَصاقُبُ الدار، وقربُ الجوار؛ تمم اللهُ لنا النعمةَ المتجدِّدَةَ فيك بالنظر الى الغُرّة المباركة التى لا وحشةَ معها ولا أُنسَ بعدها .

قال الحسن : المؤمنُ لا يَحِيفُ على مَنْ يبُغِضُ ولا يأثمُ فيمن يُحِبّ .

وقرأت فى بعض الكتب : إنه لَيَبْلُغُ من حسنِ شفاعةِ المحبة أنّ الحبيبَ يُسِيءُ فيُظَنُّ به الغلطُ ويُذنبُ فيُحتجُّ له بالدّالَّةِ ، وذنبُه لا يَحتمِلُ التأويلَ ولا مَخْرَجَ له فى جواز العقول .

وفيه : كُلُّ ذنبٍ إذا شئتَ أن تنساه نسيتَه وإن شئتَ أن تذكره ذكرتَه ، فليس بمخوفٍ . وليس الصغيرُ من الذنب ما صغّره الحبّ ، وإنما الصغيرُ ما صغّره العدلُ . وليس الذنبُ إلا ما [لا](١) يَصلُح معه القلبُ ولا يزال حاضرا الدهرَ ، وإلا ما كان من نتاج اللؤم ومن نصيب المعاندة ، فأما ما كان من غير ذلك فإنّ الغفرانَ يتغمّدُه والحرمةَ تَشفعُ فيه .

وكتب رجل الى صديق له فى فصل من كتاب : لسانى رَطْبٌ بذكرِكَ ، ومكانُكَ من قلبى معمورٌ بمحبّتك . ونحوه قولُ مَعْقِل أخى أبى دُلَف لمُخَارِق :

لَعَمرِى لئن قَرَّتْ بقربكَ أَعينٌ * لقد سَخِنَتْ بالبين منكَ عيونُ
فَسِرْ وأقِمْ ، وَقْفٌ عليكَ مودّتى * مكانُكَ من قلبى عليكَ مَصُونُ

وقال رجل لشَبِيب بن شَيْبة : واللهِ أُحِبّكَ(٢) ، قال : وما يمنعكَ من ذلك وما أنتَ لى بجارٍ ولا أخٍ ولا قَرابة(٣) ! يريد أن الحسد مُوَكَّلٌ بالأدنى فالأدنى .

---

(١) زيادة يقتضيها المقام . (٢) فى الأصل : « والله ما أحبك » بزيادة « ما » وفى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٤) : « انى أحبك » بدون قسم ، ونسب هذا القول فيه لخالد بن صفوان .

(٣) ولا قرابة : أى ولا ذى قرابة ، وقد أنكر صاحب القاموس استعمال قرابة فى مثل هذا الموضع بدون اضافة . وتعقبه شارحه بأن استعماله بدون الإضافة جائز وورد فى فصيح الكلام من نثر وشعر .

قال رجل لشَهْر بن حَوْشَبٍ : إنى لأُحِبّكَ قال : ولِمَ لا تحبنى وأنا أخوك فى كِتاب الله ووزيرك على دِين الله ومؤنتى على غيرِكَ ! قال بشّارٌ :

هل تَعْلَمِينَ وراء الحبّ منزلةً * تدُنِى اليكِ فإنّ الحبَّ أقصانِى

وقال غيره :

أُحِبُّكَ حُبّين لِى واحدٌ * وحُبٌّ لأنكَ أهلٌ لذاكا

فأمّا الذى أنتَ أهلٌ له * فَحُسْنٌ فَضَلْتَ به مَنْ سِواكا

وأمّا الذى فى ضمير الحشا * فلستُ أرَى الحسنَ حتى أراكا

وليس لِىَ المَنُّ فى واحدٍ * ولكنْ لك المنُّ فى ذا وذاكا

وقال المسيَّب بن عَلَسٍ :

وعينُ السّخطِ تُبصِرُ كلَّ عيبٍ * وعينُ أخى الرّضا عن ذاك تَعْمَى

ونحوه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فلستَ براءٍ عيبَ ذى الودِّ كلَّه * ولا بعضَ ما فيه اذا كنتَ راضيًا

وعينُ الرّضا عن كلّ عيبٍ كَليلةٌ * ولكنّ عينَ السُّخطِ تُبدِى المساوِيَا

وقال بعضُ الخلفاء لرجل : إنى لأُبغِضُكَ ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يجزَعُ مِن فقد الحبّ المرأةُ ، ولكن عدلٌ و إنصافٌ . وقال شريحٌ :

خُذِى العفوَ منّى تَستديمِى مودّتى * ولا تنطِقِى فى سَوْرتى حين أغضبُ

فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصدرِ والأذى * إذا آجتمعا لم يلبثِ الحبّ يذهَبُ

وقال أعرابىّ : إذا ثبتتِ الأصول فى القلوب نطقتِ الألسُنُ بالفروع ، ولا يظهرُ الودّ السليمُ إلا من القلب المستقيم .

وقال آخرُ : مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقةِ رأيًا حازمًا ، فآجمع له مع المحبة الخالصةِ طاعةً لازمةً .

قال اليزيدىّ : رأيتُ الخليل بن أحمـد فوجدته قاعدا على طُنفِسةٍ[1] ، فأوسع لى فكرِهتُ التضييقَ عليه ، فقال : إنه لا يضيق سَمُّ الخِياط على متحابَّين ولا تَسَعُ الدنيا مُتباغِضَين . وقال أبو زُبيدٍ للوليد بن عقبة[2] :

مَنْ يَخُنكَ الصفاءَ أو يتبـدَّلْ * أو يَزُلْ مثلمـا تزولُ الظلالُ

فآعلمَنْ أننى أخوك أخو العهـ * ـدِ حياتى حتى تزولَ الجبالُ

ليس بُخلٌ عليـك منّى بمـالٍ * أبدا ما آستقلَّ سَـيفًا حِمـالُ[3]

فلكَ النصرُ باللسان و بالكَفِّ * اذا كان لليـدين مَصـالُ

كلُّ شىءٍ يحتالُ فيـه الرجالُ * غيرَ أَنْ ليس للمنـايا آحتيـالُ

وقال المُنَخَّلُ اليشكرىّ :

وأُحِبُّهـا وتُحِبُّـنى * ويُحِبُّ ناقتَها بعيرِى

وذكر أعرابىّ رجلا فقال : واللهِ لكأنّ القلوبَ والألسنَ رِيضَتْ له ، فما تُعقدُ إلا على وُدّه ، ولا تَنطِقُ إلا بحمده .

قال عبـدُ الله بن الزُّبير ذاتَ يوم : والله لوددتُ أنّ لى بكلّ عشرةٍ من أهل العِراق رجلًا من أهل الشام صَرْفَ الدينار بالدرهم ؛ فقال أبو حاضرٍ : مَثَلُنا ومَثَلُكَ كما قال الأعشى :

عُلِّقتُهـا عَرَضًا وعُلِّقتْ رَجُلًا * غَيرِى وعُلِّقَ اخرى غيرَها الرجلُ

---

(١) الطنفسة (مثلثة الطاء والفاء) : البساط الذى له خمل رقيق . (٢) فى الأصل : «للوليد بن عتبة» بالتاء ، وهو تحريف . وأبو زبيد هو المنذر بن حرملة الطائى كان جاهليا قديما وأدرك الإسلام إلا أنه لم يسلم ومات نصرانيا ، وكان من المعمّرين وكان نديم الوليد بن عقبة (أنظر كتاب الشعر والشعراء للؤلف) طبع ليدن ص ١٦٧ (٣) فى حماسة البحترى (طبع مدينة ليدن سنة ١٩٠٩) : «ما أقل نعلا قبال» .

أحبَّـك أهلُ العراقِ وأحببتَ أهـلَ الشّأم وأحبّ أهـلُ الشأم عبـدَ الملك ابن مروان .

وقال عمرُ لأبى مريم السَّلُولى : والله لا أُحِبُّكَ حتى تُحِبَّ الأرضُ الدَّمَ ، قال : فتَمنَعُنِى لذلك حقًّا ؟ قال : لا ، قال : فلا ضَيرَ . وقال عمرُ أيضا لرجل همّ بطلاق امرأته : لِمَ تُطَلِّقُها ؟ قال : لا أُحِبُّها ، قال : أوَكُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبّ ! وأين الرعايةُ والتذمُّمُ (١) ! .

قال أعرابىّ :

أُحِبُّك حُبًّا لو بُلِيتِ ببعضِه ✽ أصابك من وَجدٍ علىَّ جُنونُ

لطيفٌ مع الأحشاء أمّا نهارُه ✽ فَسَبْتٌ (٢) وأما ليـلُه فأنينُ

وكتب رجلٌ الى صـديق له : اللهُ يعـلم أنى أُحِبّكَ لنفسك فوقَ محبّتى إياكَ لنفسى ، ولو أنى خُيِّرتُ بين أمرين : أحدهما لى وعليك والآخر لك وعلىّ ، لآثرت المروءةَ وحسنَ الأُحدُوثةِ بإيثار حظّكَ على حظّى ، و إنى أُحِبُّ وأُبغِضُ لك ، وأُوالِى وأُعادِى فيك .

وقال بعضُهم : هَوِّنْ (٣) فقد يُفرِطُ الحبُّ فيقتُلُ و يُفْرِطُ الغمُّ فيقتُلُ ويُفرط السّرورُ فيقتُلُ ، و ينفتحُ القلبُ للسرور ، و يضيقُ و ينضمّ للحزن والحبّ .

وقالوا : العِشق اسم لما فضَـل عن المحبّـة . وقال بعضهم : العشق مرض قلبٍ ضَعُفَ . وقال بعضُ الشعراء (٤) :

فتَمَّ على معشُوقةٍ لا يَزيدُها ✽ إليـه بلاءُ السّوءِ الا تَحَبُّبـا

(١) التذمم للصاحب : أن يحفظ ذمامه و يطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه .

(٢) السبت : السكون والراحة . (٣) هوّن : خفف وأرفق ، و فى الأصل : «أهون» .

(٤) هو الأعشى كما فى اللسان مادّة « تم » ، ومعنى « تم » أكمل وأجهز .

ما يجب للصديق على صديقه

حدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا عبدُ الله بن موسى عن إسرائيلَ عن ابن إسحاق عن الحارث عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "لِلمسلم على المسلم خِصَالٌ سِتٌّ[1] : يُسَلِّم عليه إذا لقِيَه، ويُجيبه اذا دعاه، ويُشَمِّتُه اذا عطَس ، ويَعودُه اذا مرِضَ ، ويحضُرُ جنازتَه اذا مات ، ويُحِبُّ له ما يُحِبُّ لنفسه" .

قال حدّثنى شَبَابَةُ قال حدّثنا القاسمُ بنُ الحكم عن إسماعيلَ بن عيَّاشٍ عن هشام ابن عُرْوة عن أبيه عن عائشةَ رضى الله عنها قالت : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "أَعِنْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا ، إن كان مظلومًا فخُذْ له بحقه و إن كان ظالما فخُذْ له من نفسه" .

وحدّثنى القُومِسِىُّ[2] قال حدّثنا أبو بكر الطبرىّ عن عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح عن أبى الزاهرية عن جُبير بن نُفير قال قال معاذُ بن جبل : إذا آخيتَ أخًا فلا تُمَارِه ولا تُشارِه[3] ولا تَسأل عنه ، فعسى أن تُوافِقَ عدوًّا فيُخبِرَكَ بما ليس فيه فيُفرِّقَ بينكما .

وقال النَّمِرُ بنُ تَوْلَبٍ فى هذا المعنى :

جزى اللهُ عنّا حمزةَ بنـةَ نَوْفَلٍ[4] * جزاءَ مُغِـلٍّ[5] بالأمانةِ كاذبِ

بما سألَتْ عنّى الوُشاةَ ليكذِبوا * علىّ وقـد والَيتُها فى النوائبِ

(١) فى الجامع الصغير : «للمسلم على المسلم ست بالمعروف : يسلم عليه ...» : (٢) نسبة الى قومس (بضم القاف وفتح الميم ، وضبطه الصاغانى بكسر الميم وهو المشهور على السنتهم) صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل . (٣) لا تماره : لا تجادله . ولا تشاره : لا تلاحه وتغاضبه . (٤) فى الأصل : "حمزة ابنى نوفل" والتصويب عن اللسان مادة « غل » . (٥) المغـل : من الإغلال ، وهو الخيانة .

قال حدّثنى محمد بن داود [قال] حدّثنى سعد بن منصور عن جَرير عن عبد الحميد عن عَنْبَسةَ قال قال آبنُ سِـيرِين : لا تُكْرِمْ أخاك بما يكره، ولا تحمِلنّ كتابا الى أمير حتى تعلَم ما فيه .

وكان يقال : يُستحسَنُ الصـبرُ عن كلّ أحدٍ إلا عن الصديق .

وقال بعضُ الشعراء :

اذا ضَيَّقْتَ أمرًا ضاق جِدًّا * وإن هَوَّنتَ ما قد عزَّ هانَا

فلا تَهْلِكْ بشىءٍ فاتَ يأسًا * فكم أمرٍ تَصَـعَّبَ ثم لانَا

سأصبِرُ(١) عن رفيقى إن جفانِى * على كلّ الأذى إلا الهـوَانَا

وقال آبن المقفَّع : أَبْذُلْ لصديقك دَمَك ومالك ، ولمَعْرِفتك رِفْدَكَ ومَحْضَرك ، وللعامّة بِشرك وتحيّتَك ، ولعدوِّكَ عدلَك ، وضَنّ بدينك وعِرضكَ عن كلّ أحدٍ .

قال أبو اليَقْظانِ : وَلِىَ خالدُ بنُ عبدالله بن أبى بَكْرَة قضاءَ البصرة فجعل يُحابِى ، فقيل له فى ذلك ، فقال : وما خيرُ رجلٍ لا يَقطَعُ لأخيه قِطعةً من دينه ! .

قالوا : وقفَ رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم على عجوزٍ ، فقال : " إنها كانت تأتينا أيامَ خدِيجةَ ، وإنّ حسنَ العهد من الإيمانِ " .

قال إبراهيمُ النَّخعىّ : إنّ المعـرفةَ لتنفعُ عند الأسـد الهَصورِ والكلبِ العقورِ فكيف عند الكريم الحسيب ! . وقال الخليلُ بن أحمد :

وفَّيتُ كلَّ صديقٍ وَدَّنى ثمنًا * إلا المؤمَّلَ دُولَاتِى وأيامِى

وقال عمرُ بن أبى ربيعة فى مساعدة الصديق :

وخِلٍّ كنتُ عينَ النُّصح منه * إذا نظرَتْ ومُستَمِعًا سميعَا

(١) فى الكامل للمبرد طبع أوربا ص ١٩٢ ج ١ : «سأصبر من ... الخ» .

أطاف بِغَيّةٍ فنهيتُ عنها * وقلتُ له أرَى أمرًا شنيعا

أردتُ رشادَه جُهدِى فلمّا * أَبَى وعَصَى أتيناها جميعا

وقال بعضُ الكوفيين :

فإن يشرَبْ أبو فَرُّوخَ أشرَبْ * وإن كانت معتّقةً عُقارا

وإن يأْكُلْ أبو فرّوخَ آكلْ * وإن كانت خَنانِيصًا(١) صِغارا

٥

وقال رجل من الأعراب لأخٍ له : أما واللهِ رُبَّ يومٍ كتَنُّور الطَّاهِى رَقَّاصِ بشرَارِه، قد رميتُ بنفسى فى أجيجِ لَهَبِه فأحتمِلُ منه ما أكرَهُ لما تُحِبّ(٢) .

وأنشد ابن الأعرابىّ :

أُغَمِّضُ للصديق عن المساوِى * مخافةَ أن أعيشَ بلا صديقِ

١٠

وقال كُثَيّر :

ومن لا يُغَمِّضْ عينَه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتبُ

ومَن يَتَتَبَّعْ جاهِـدًا كلَّ عَثرةٍ * يَجِدْها ولا يَسلَمْ له الدهرَ صاحِبُ

وقال آخر :

إذا ما صديقِى رابَنِى سُوءُ فِعلِه * ولم يَكُ عمّـا ساءنى بمُفِيــقِ

صَبَرتُ على أشياءَ منه تَرِيبُنِى * مخافةَ أنْ أبقَى بغير صــديق

١٥

ومن المشهور فى هذا قولُ النابغة :

ولستَ بمُسْتَبقٍ أخًا لا تَلُمُّـــهُ * على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المهَذَّبُ

---

(١) الخنانيص : جمع خنوص وهو ولد الخنزير . (٢) فى الأصل : «لما يحب» بالياء المثناة من تحت .

وكان يقال : مَنْ لكَ بأخيك كُلِّه . وأنشدنى الرِّياشى :

إقْبَلْ أخاكَ ببعضه * قد يُقبَلُ المعروف نَزْرا
واْقبَلْ(١) أخاك فإنه * إن ساء عصرًا سرَّ عصرا

ونحوه قولُ الآخر :

أخٌ لِى كأيامِ الحياة إخاؤه * تَلَوَّنُ ألوانا علىَّ خُطُوبُها
إذا عِبتُ منه خَلَّةً فهجرتُه * دعَتْنِى اليه خَلَّةٌ لا أَعيبُها

وقال عبدُ الله بن معاويةَ بنِ عبد الله بن جعفر :

اِصبِرْ إذا عضَّكَ الزمانُ، ومَنْ * أَصبَرُ عند الزمانِ مِنْ رَجُلِهْ
ولا تُهِنْ للصَّديقِ(٢) تُكْرِمُه * نفسَكَ حتى تُعَدَّ مِنْ خَوَلِهْ
يَحمِلُ أثقالَه عليكَ كما * يحمِلُ أثقالَه على جَمَلِهْ
ولستَ مُستبقِيًا أخًا لكَ لا * تصفَحُ(٣) عما يكونُ من زَلَلِهْ
ليس الفتى بالذى يَحولُ عن الـ(٤) * ـعهدِ ويُؤتَى الصديقُ من قِبَلِهْ

وقيل لخالد بن صفوان : أىّ إخوانِك أحبُّ اليك ؟ قال : الذى يَغفِرُ زَلَلِى ، ويَقبَلُ عِلَلِى(٥) ويَسُدُّ خَلَلِى .

وقال بشّارٌ :

إذا أنتَ لم تَشرَبْ مرارا على القَذَى * ظَمِئتَ وأىّ الناسِ تَصفُو مَشارِبُهْ

وقال الخُرَيمىّ لأبى دُلَف :

تملك إن كنت ذا إربةٍ * من العالمين لشيخ وصيف(٦)

---

(١) كذا بالأصل ، ولعله : «وأقل أخاك» من إقالته العثرة والصفح عنه . (٢) فى حماسة البحترى : «ولا تهن للئيم» . (٣) فى الأصل : «فاصفح» . (٤) فى الأصل : «الذى» . (٥) العلل : الأعذار . (٦) كذا ورد بالأصل ، ولم نوفق اليه فى مصدر آخر .

الإنصاف في المودّة

كان يقال : لا خير لك فى صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له .

وقال جرير :

وإنّى لأستحيى أخى[1] أن أرَى له * علىّ من الحق الذى لا يرى لِيَا

وله أيضا[2] :

إذا أنت لم تُنْصِف أخاك وجدتَه * على طَرَفِ الهِجْرانِ إن كان يعقلُ

ويركب حدّ السيفِ مِن أن تَضِيمَه * إذا لم يكن عن شفرة السيف مَعْدِلُ[3]

سَتَقْطَعُ فى الدنيا إذا ما قطعتَنِى * يمينَك ، فانظر أىَّ كفٍ تَبَدّلُ

وقال آخر[4] :

ياضَمْـرُ أخبرنى ولستَ بمُخْبِرِى * وأخوك نافِعُـك الذى لا يَكْذِبُ

هـل فى القضـيّةِ أنْ إذا آستغنيتمُ * وأمِنْـتمُ فأنا البعيـدُ الأجنبُ

وإذا الشـدائدُ بالشـدائدِ مرّةً * أَشْجَتْكم فأنا المُحَبُّ الأقربُ

عجبًا لتِلك قضِـيّةً وإقامتى * فيـكم على تلك القضـيةِ أعجبُ

ولِمالكم طِيبُ البـلادِ ورِعْيُها[5] * ولِى الثِّمادُ[6] ورِعْيُهنّ المُجـدِبُ

---

(١) أستحيي : آنف . (٢) نسب المؤلف هذا الشعر لجرير ، وفى الحماسة طبع أوربا ص ٥٠٣ ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (طبع بولاق ص ٦٩٤) أنه لمعن بن أوس المزنى . (٣) فى الأصل : «يعدل» والتصويب عن حماسة البحترى ، وفى حماسة أبى تمام : «مزحل» . (٤) قال فى اللسان مادّة «حيس» : «هو لهنىّ بن أحمر الكنانى وقيل : هو لزرافة الباهلىّ» . (٥) ورد هذا البيت فى اللسان مادة «حيس» وشواهد العينى هكذا :

وبجندب سهل البلاد وعذبها * ولى الملاح وحزنهنّ المجدب

ثم قال العينى : «ويروى (ولمالكم أنف البـلاد ورعيها) ، والمراد بالمال هنا الإبل ، وبالأنف : ما لم يرع من النبت ، والرعى : المرعى» . وفى الأصل : «ألمالك» وهو تحريف . (٦) الثماد : جمع ثمـد (بالفتح وبالتحريك) وهو الماء القليل الذى لا مادة له ، وفى الأصـل : "ولى الثمار" بالراء وهو تحريف .

وإذا تكونُ كريهةٌ أُدْعَى لها * وإذا يُحاس الحَيْسُ(١) يُدْعَى جُنْدَبُ

هذا لعَمْرُكُمُ الصَّغارُ بعينه * لا أُمَّ لى إن كان ذاكَ ولا أبُ

وقال ابن عُيينة : سئل علىّ كرم الله وجهه عن قول الله تعالى : (إنَّ اللهَ يأمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)، فقال : العدلُ : الإنصاف، والإحسان : التفضُّلُ .

وقال الشاعر :

٥

صَبغَتْ أُميَّةُ فى الدماء رِماحَنَا * وطَوَتْ أُميَّةُ دوننا دُنياها

ويقال : مَنْ سَنَّ سُنَّةً فَلْيَرْضَ أن يُحكَمَ عليه بها، ومَنْ سأل مسئلةً فليَرْضَ بأن يُعطَى بقدرِ بذله .

وقال أبو العتاهية :

اذا ما لم يكن لكَ حُسنُ فهمٍ * أسَأْتَ إجابةً وأسأتَ سَمْعَا

١٠

ولَستَ الدّهرَ مُتَّسِعًا بفضلٍ * اذا ما ضِقتَ بالإنصاف ذَرْعَا

وقال حمّادُ عَجْرد :

ليتَ شعرِى أَىَّ حكم * قد أراكُمْ تحكمُونَا

أن تكونوا غيرَ مُعطِـ * ـينَ وأنتم تأخذُونَا

وقال آخر :

١٥

إذا كنتَ تأتِى المرءَ تعرِفُ حَقَّه * ويَجهَلُ منكَ الحقَّ فالترْكُ أجمَلُ

وفى العَيشِ مَنجاةٌ وفى الهجر راحةٌ * وفى الأرضِ عمّن لا يُؤَاتيكَ مَرْحَلُ(٢)

---

(١) الحيس : التمر والأقط يدقّان ويعجنان عجنا شديدا ثم يسوّى ذلك كالثريد . وفى الأصل : « وإذا يحاش الجيش » بالجيم والشين ، وهو تحريف . (٢) المرحل : المكان الذى يرتحل اليه ، ويحتمل أن يكون "مزحل" بالزاى بدل الراء ، والمزحل : المكان الذى ينتقل اليه .

٢٠

وقال بشارٌ :

إن كنتَ حاولتَ هَوانًا فما * هُنتُ وما فى الهُونِ لى من مُقَامْ

فى النَّاس أبدالٌ ولى مَرْحلٌ[1] * عن منزلٍ ناءٍ ومَرْعًى وَخَامْ[2]

لا نائلٌ منـكَ ولا موعِـدٌ * ولا رَسـولٌ، فعليكَ السـلامْ

وقال آخر[3] :

له حقٌّ وليس عليـه حقٌّ * ومهما قال فالحسنُ الجميلُ

وقد كان الرسولُ يَرَى حقوقا * عليه لغيره وهو الرسـولُ[4]

وقال أكثمُ بنُ صَيفِىّ : أحقُّ مَنْ يَشْرَكُكَ فى النِّعَم شُرَكاؤُكَ فى المكاره . أخذه دِعْبِلٌ فقال :

وإنّ أَولَى البرايا أن تُوَاسِيَهُ[5] * عند السرور لَمَنْ آساكَ فى الحَزَنِ

إنّ الكرامَ إذا ما أسهَلُوا ذَكَرُوا * مَنْ كان يألَفُهم فى المنزِلِ الخَشِنِ

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

فإنْ آثرَتْ بالوُدِّ أهـلَ بلادها * على نازحٍ من أهلها لا أَلومُها

فلا يَستوِى مَنْ لا تَرَى غيرَ لَمَّةٍ[6] * ومَنْ هو ثاوٍ عنـدها لا يَرِيمُها

وقال رجلٌ لبعض السلطان : أحقُّ الناسِ بالإحسان مَنْ أحسنَ اللهُ إليـه ، وأولاهم بالإنصاف مَنْ بُسِطَتِ القدرةُ بين يديه، فآستدِمْ ما أُوتيتَ من النعم بتأدية ما عليك من الحق .

قال المستهِلّ بنُ الكُمَيت لبنى العباس :

إذا نحن خِفنا فى زمان عدوّكم * وخِفناكُمُ إنّ البـلاءَ لرَاكدُ

---

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ بالصفحة السابقة . (٢) المرعى الوخام : الذى لا ينجع كلؤه لسوئه .
(٣) هو عبد الله بن مصعب الزبيرى ويسمى عائد الكلب ، قاله فى عبـد الله بن حسن بن حسن (انظر الكامل للمبرد طبع أوربا ص ٣١) . (٤) كذا فى الكامل . وفى الأصل : «لأهلها» .
(٥) (انظر العقـد الفريد ج ١ ص ٢٢٧) فقـد ورد فيه هـذا البيت ببعض مخالفة عما هنا .
(٦) اللمة : المرة من الإلمام، والإلمام الزيارة غبا . ولا يريمها : لا يفارقها ولا يتحول عنها .

مداراة الناس وحُسن الخُلُق والجِوار

قال حدّثنا الحسينُ بنُ الحسن [قال] حدّثنا عبدُ الله بن المبارك عن وُهيب قال : جاء رجل الى وهب بن منبّه فقال : إنّ الناس قد وقعوا فيما وقعوا فيه (١)، وقد حدّثتُ نفسِى ألّا أخالطَهُم؛ فقال له وهبٌ : لا تَفعلْ ، فإنه لا بدّ للناس منك ولا بدّ لك منهم؛ لهم إليكَ حوائجُ، ولكَ اليهم حوائجُ، ولكن كُنْ فيهم أصمَّ سميعًا، وأعمى بصيرًا، وسَكُوتًا نَطُوقًا .

قال وحدّثنا حسينُ بن الحسن قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عُلَىّ (٢) ابن رَبَاح (٣) قال : سمعت أبى يُحدّثُ عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : أربعُ خلال إن أُعطِيتَهُنَّ فلا يضرُّكَ ما عُدِلَ به عنكَ من الدّنيا : حُسْنُ خليقةٍ، وعَفَافُ طُعمَةٍ (٤)، وصِدقُ حديثٍ، وحِفظُ أمانةٍ .

قال : وبلغنى عن وَكيع عن مِسْعر عن حبيب بن أبى ثابت عن عبد الله بن بَابَاهْ قال : قال عبد الله بن مسعود : خالِطُوا الناسَ وزَايِلُوهُمْ (٥) .

عن وَكيع عن سـفيانَ عن حبيب بن ميمون قال : قال صعصعة بنُ صُوحان لابن أخيه : إذا لقيتَ المؤمنَ نخالِطه (٦)، وإذا لقيتَ الفاجرَ نخالِفه، ودِينَكَ فلا تَكْلِمنّه .

قال المسيحُ صلّى اللهُ عليه : "كُنْ وَسَطًا وآمشِ جانبًا" .

---

(١) فى الأصـل : « فقد » . (٢) كذا ضبطه فى تهذيب التهذيب بالتصـغير .

(٣) فى الأصل : « رياح » بالياء المثناة، والتصويب عن تهذيب التهذيب . (٤) الطعمة : وجه الكسب طيبا أو خبيثا . (٥) كذا فى النهاية لابن الأثير . وزايلوهم : فارقوهم . وفى الأصل : «وتزايلوهم» . (٦) كذا فى العقد الفريد، وفى الأصل : «نخالصه» بالصاد، وخالصه فى العشرة : صافاه . وهذا المعنى وإن صح على الجملة فالمخالطة فى هذا المقام أنسب .

وروى أبو معـاوية عن الأحوص بن حكيم عن أبى الزاهرية قال قال أبو الدَّرداء : إنّا لنَكْشِرُ[1] فى وجوه أقوام وإنّ قلوبنا لَتلعنُهمْ .

ودخل لبيدةُ العجلىّ[2] على عمـرَ رضى الله عنـه ، فقال له عمرُ : أَقتلت زيدا ؟ فقال : يا أمير المؤمنـين ، قد قتلتُ رجلا يسمّى زيدا ، فإن يكن أخاكَ فهو الذى أكرمه اللهُ بيدى ولم يُهِنّى به ؛ ثم لم يرَ مِن عمرَ بعد ذلك مكروها . ٥

قال محمدُ بن أبى الفضل الهاشمىّ : قلتُ لأبى : لِم تجلِسُ الى فلانٍ وقد عرفتَ عداوتَه ؟ فقال : أُخْبِى نارا وأقدَحُ عن وُدٍّ . وقال المهاجِرُ بن عبد الله الكِلابىّ :

وإنّى لَأُقْصِى المرءَ من غيرِ بِغْضَةٍ * وأُدنِى أخا البغضاءِ مِنّى على عَمْدِ

لِيُحدِثَ وُدًّا بعد بَغْضاءَ أو أرى * له مَصْرَعًا يُردِى به اللهُ مَنْ يُرْدِى

١٠ وقال عِقالُ بنُ شَبَّةَ : كنتُ رَدِيفَ أبى، فلَقِيه جريرٌ على بغلٍ فحيّاه أبى وألطفه ؛ فلمّا مضى قلتُ : أَبَعْدَ ما قال لنا ما قال ! قال : يابُنىّ ، أَفَأُوسِّعُ جُرْحِى ! .

قال ٱبنُ الحنفيّةِ : قد يُدفَعُ باحتمالِ مكروهٍ ما هو أعظمُ منه .

قال الحسنُ : حُسْنُ السؤالِ نصفُ العـلمِ ، ومُداراةُ النـاسِ نصفُ العقلِ ، والقصدُ فى المعيشة نصفُ المؤونةِ .

١٥ مدح ٱبنَ شِهابٍ شـاعرٌ فأعطاه ، وقال : مِن ٱبتغى الخـيرَ ٱتقى الشرّ .

---

(١) الكشر : ظهور الأسـنان للضحك يقال : كاشره اذا ضحك فى وجهه وباسطه . وفى رواية « وإنّ قلوبنا لتقليهم » بدل « تلعنهم » . (٢) لم نعثر على هذا الاسم وقد راجعنا ترجمة زيد بن الخطاب فى كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وفى تهذيب التهذيب لابن حجر ، وفيهما أن زيدا كان يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وجعل يشتدّ بالراية ويتقدّم بها فى نحر العدوّ ثم ضارب بسيفه حتى قتل ، وقيل إن قاتله ٢٠ الرحال بن عنفوة كما قيل إنه أبو مريم الحنفى .

وفى الحديث المرفوع : "أَوَّلُ ما يُوضعُ فى المِيزان الخلقُ الحسن". وقال : إنّ حسنَ الخُلُق وحُسنَ الجوارِ يُعَمِّران الديار، ويَزيدانِ فى الأعمار . وقال : مَنْ حَسَّنَ الله خَلْقَه وخُلُقَه كان من أهل الجنة .

قال الشاعر :

فَـتًى إذا نبَّهتَـه لم يَغْضَبِ * أبيضُ بَسَّامٌ وإن لم يَعْجَبِ

٥

مُوكَّلُ النفسِ بحفظ الغُيَّبِ * أقصى رفيقَيْه له كالأجنبِ [(١)]

وقرأتُ فى كتب العجم : حُسْنُ الخُلُقِ خيرُ قرينٍ، والأدبُ خيرُ مِيراثٍ، والتَّوفيقُ خيرُ قائدٍ .

وقالت عائشةُ رضى الله عنها : ما تُبالى المرأةُ اذا نزلَتْ بين بيتينِ من الأنصار صالحين ألَّا تنزلَ مِنْ أبوَيْها .

١٠

وقال جعفر بن محمد : حسنُ الجوارِ عِمارةٌ للدار ، وصَدقةُ السرِّ مَثْراةٌ للمـال .

وقال عبدُ الله بن عمرو بن العاص : ثلاثةٌ من قريشٍ أحسنُها أخلاقا وأصبحُها وجوها وأشدُّها حياءً، إن حدّثوك لم يَكذِبوكَ، وإن حدّثتَهم بحقّ أو باطل لم يُكذّبوك : أبو بكر الصدّيقُ، وأبو عبيدةَ بنُ الجرّاح، وعثمانُ بنُ عفّانَ رضى الله عنهم .

وقال يزيد بنُ الطَّثْرِيَّة :

١٥

وأبيضَ مثلِ السيفِ خادمِ رُفقةٍ * أشمَّ ترى سِرْبَالَهُ قـد تَقَـدَّدَا [(٢)]

كريمٍ على علّاتِه [(٣)] لو تَسُـبُّهُ * لَفَـدَّاك رِسْلًا لا تراه مُرْبَدَّا [(٤)]

يُجيبُ بِلَبَّيْـهِ [(٥)] إذا ما دعوتَه * ويحسبُ ما يُدعَى له الدهرَ أرشَدا

(١) لعله : « كالأقرب» ليستقيم المعنى . (٢) تقدد : تقطع وبلى . (٣) فى الشعر والشعراء : «غزاته» . (٤) مربد : متغير الوجه من الغضب . (٥) كذا بالأصل، والأصل فى هذه الكلمة أن تضاف الى ضمير المخاطب (انظر شرح الأشمونى على الألفية فى باب الإضافة) .

٢٠

وقرأت فى كتابٍ للهند : مَنْ تزوّد خمسًا بلّغته وآنسته : كفُّ الأذى ، وحسنُ الخُلقِ ، ومجانبةُ الرِّيَبِ ، والنُّبلُ فى العمل ، وحسنُ الأدب .

وقال المرّار فى مداراة القرابة :

ألا إنّمـا المولى كعظْمٍ جَبَرْتَهَ * فلا يَخْرُقِ المولى ولاجابرُ العظمِ

وقال آخر فى مداراة الناس :

وأنزلَنِى طولُ النّـوى دارَ غُرْبةٍ * إذا شئتُ لاقيتُ آمرأً لاأُشاكِلُهْ

فحـامقتُه حتى يقـالَ سَجِيّـةٌ * ولو كان ذا عقلٍ لَكنتُ أعاقِلُهْ

وقال بشّارٌ :

خليـلىّ إنّ العسرَ سوف يُفِيـقُ * وإنّ يسارا فى غـدٍ لَخَليقُ

وما أنا إلا كالزمان إذا صحا * صَحَوتُ وإن ماقَ الزّمانُ أَمُوقُ

التلاقى والزيارة

حدّثنا محمد بن عُبيد قال حدّثنا الفضلُ بن دُكينٍ عن طلحةَ بن عمرَ عن عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «زُرْ غِبًّا تَزدَدْ حُبًّا» .

وقال الأصمعىّ : دخل حبيبُ بنُ سُويدٍ على جعفر بن سليمانَ بالمدينة، فقال جعفر : حبيب بن سويد وادُّ الصّديقِ ، حَسَنُ الثّناءِ ، يكره الزيارةَ المُمِلّةَ ، والقَعْدةَ المُنسِـيَةَ .

وقرأت فى كتاب للهند : ثلاثة أشياءَ تَزيد فى الأنس والثّقة : الزيارةُ فى الرَّحْل[1] ، والمؤاكلة ، ومعرفة الأهلِ والحَشَم .

وقال الطائىّ :

وحَظُّكَ لَقْيَةٌ فى كل عامٍ * مُوافقةً على ظهر الطريقِ

(١) الرحل : منزل الرجل ومسكنه وبيته ، يقال : دخلت على الرجل رحله أى منزله .

قال أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم الصوّاف عن موسى بن يعقوب السَّدوسيّ عن أبي السِّنان عن عثمانَ بن أبي سَوْدةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ عاد مريضًا أو زار أخا ناداه مُنادٍ من السماء : أن طِبتَ وطاب ممْشاكَ تبوَّأْتَ من الجنة منزلًا".

٥ كتب رجل الى صديق له : مَثَلُنا، أعزَّك الله، فى قُرْب تجاوُرِنا و بُعْد تزاوُرِنا ما قال الأوّلُ :

ما أقربَ الدارَ والجوارَ وما * أبعدَ معْ قُربِنا تلاقِينا

وكلُّ غفلةٍ منك محتمَلةٌ ، وكل جَفوةٍ مغفورةٌ ، للشّغف بك ، والثِّقةِ بحسن نيّتكَ ، وسآخذ بقول أبي قيس (١) :

١٠ ويُكرِمُها جاراتُها فيَزُرْنَها (٢) * وتعتلُّ عن إتيانهنّ فتعذرُ

وقالت أعرابية :

فلا تَحمَدُونِي فى الزيارة إنّني * أزوركُمُ إذ لم أجِدْ متعلَّلَا

وكتب رجل الى صديق له يستزيره : طال العهدُ بالاجتماع حتى كِدْنا نتناكَرُ عند التلاقِي ، وقد جعلك الله للسّرورِ نظاما ، وللأنس تماما ، وجعلَ المَشاهدَ مُوحِشَةً ١٥ إذ خلتْ منك .

وقال سهل بن هارون :

وما العيشُ إلّا أن تَطُولَ بنائلٍ * وإلا لقاءُ المرءِ ذِى الخُلُق العَالِي

---

(١) هو أبو قيس بن الأسلت والأسلت ، لقب أبيه ؛ واسمه عامر بن جشم بن وائل الخ (أنظر الأغانى ج ١٥ طبع بولاق) . (٢) كذا فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٤٨ والأغانى ج ١٥ ٢٠ ص ١٦٦ طبع بولاق ، وفى الأصل «و يكرمنها» باثبات النون وهى لغة رديئة .

وقال بشار :

تسقُط الطيرُ حيث تَلتقِطُ الحَبَّ[1] * وتُغشَى منازلُ الكُرَماءِ

قال رجل لصديق له : قد تَصدّيتُ للقائكَ غيرَ مرّةٍ فلم يُقْضَ ذلك ، فقال له الآخرُ : كلُّ بِرٍّ تأتيه فأنت تأتى عليه .

٥ قال ٱبن الأعرابىّ :

وأَرْمِى الى الأرض التى من ورائكم * لِتَرْجِعَنِى يومًا عليكَ الرواجعُ

وقال آخر :

رأيتُ أخا الدنيا و إن بات آمنا * على سفرٍ يُسْرَى به وهو لا يَدْرِى

تثاقَلْتُ إلا عن يدٍ أستفيدُها * وزَوْرةِ ذى وُدٍّ أشُدُّ به أَزْرِى

١٠ وقال آخر :

أزورُ محمـدا و إذا ٱلتقينا * تكلمتِ الضمائرُ فى الصدورِ

فأرجِعُ لم أَلُمْـه ولم يَلُمْـنِى * وقد رضِىَ الضميرُ عن الضميرِ

كان سفيانُ بن عُيينةَ يقول : لا تعفُّروا الأقدامَ إلا الى أقدارها ، وأنشد :

نضعُ الزيارة حيث لا يُزْرِى بنا[2] * شَرَفُ الملوكِ ولا تَخيبُ الزُّوَرُ

١٥ وكان يقال : اِمْشِ مِيلًا وعُدْ مريضا ، وٱمشِ مِيلين وأصلِح بين اثنين ، وٱمش ثلاثةَ أميال وزُرْ أخا فى الله .

وقال بعض المحدَثين :

إذا شِئتَ أن تُقْلَى فَزُرْ متتابِعًا * و إن شئت أن تزدادَ حُبًّا فزُرْ غِبًّا

(١) الذى فى الأغانى فى ترجمة بشار : «يَنْتَثِرُ الحَبُّ» . (٢) فى الأصل : «يضع الزيارى» وهو تحريف .

وقال آخر :

أقلِلْ زيارتك الصديـ * ـق يراك كالثوب استجدَّه[1]

إن الصديق يُمِلُّه * ألَّا يزالَ يراك عندَهْ

قال رجل لصديق له : ما أخلو وإن كان اللقاءُ قليلا من سؤالٍ أو مُطَالعةٍ لكَ ، فقلبى يقوم مَقام العِيانِ .

٥

وقال آخر لصديق له : قد جمعتْنا و إياكَ أحوالٌ لا يُزْرِى بها بعدُ اللقاءِ ولا يُخِلّ بها تَنازُحُ الديار .

وقال آخر : لولا ما فى بَديه اللقاءِ من الحَيْرَةِ والتعرّض به قبل معرفة العَينِ للجفوة ، لم أتوقّف على مُطَالعةٍ حتى أصيرَ اليك .

١٠

وقال الشاعر :

ومالىَ وجهٌ فى اللئام ولا يدٌ * ولكنّ وجهى فى الكِرام عريضُ

أَصِحّ اذا لاقيتُهم وكأنّنى * اذا أنا لاقيتُ اللئامَ مريضُ

وقال علىّ بن الجَهْم :

أَبلغْ أخًا ما توَلّى اللهُ صحبتَنا * أنّى وإن كنتُ لا ألقاهُ ألقاهُ

١٥

وأن طَرْفِىَ موصولٌ برؤيته * وإن تباعدَ عن مَثوايَ مَثواهُ

اللهُ يعلَمُ أنى لستُ أذكره * وكيف أذكره إذ لستُ أنساهُ

(١) كذا فى نهاية الأرب ج٢ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية ، وقد نسب فيه هذا الشعر لمسلم بن الوليد وفى الأصل : «تكن كثوب تستجده» .

المعاتبـــة والتجنّى

قال حدّثنا محمدُ بن داود عن المَضَاءِ عن فرج بن فَضَالةَ عن لقمانَ بن عامر قال قال أبو الدَّرْداء : معاتبـةُ الأخ خيرٌ من فقده ، ومَنْ لك بأخيكَ كلِّه ! .

وكان يقال : التجنّى وافدُ الصّرْم .

٥ وقرأت فى الإنجيل : إن ظلمك أخوكَ فٱذهبْ فعاتبـه فيما بينك و بينه ، فإن أطاعك فقـد ربِحتَ أخاكَ و إن هو لم يُطِعْك فٱستتبعْ رجلا أو رجلين يشهدان ذلك الكلام ، فإن لم يستمع فَأَنْهِ أمرَه الى أهل البِيعةِ (١) ، فإن لم يستمعْ من أهـل البِيعةِ فليكن عندكَ كصاحب المَكْس .

وقال ابن أبى فَنَنٍ :

١٠ إذا كنتَ تغضبُ من غيرذنبٍ * وتعتِبُ من غير جُرمٍ عليّا

طلبتُ رضاك فإن عزّنى * عددتُكَ مَيْتاً وإن كنتَ حيّا

قنِعتُ وإن كنتُ ذا حاجةٍ * فأصبحتُ من أكثرالناس شيّا

فلا تعجبَنَّ بمـا فى يديكَ * فأكثرُ منـه الذى فى يَدَيّا

وقال أبو نَهْشَل يعاتب صديقًا له :

١٥ عَدلتَ عن الرّحاب الى المَضيق * وزرتَ البيتَ من غيرالطريقِ

وتَظلِمُ عنـد طاعتـك المُوالى * وليس الظلمُ من فعل الصديقِ

تجودُ بفضـل عدلكَ للأقاصى * وتمنعُه من الخِلِّ الشـفيقِ

أمَا والراقِصـاتِ (٢) بذات عِرق (٣) * وربِّ البيت والركنِ الوثيـقِ

لقـد أطلقْتَ لى تُهمًا أراها * ستَحملُنى على مَضَضِ العُقوقِ

(١) البيعة : (بالكسر) متعبد النصارى . (٢) الراقصات : النوق ، لأنها ترقص فى خببها .

٢٠ (٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

وقال آخر :

فدعِ العتابَ فرُبَّ شرٍّ هاجَ أوّلُهُ العِتابُ

وقال الجَعْدِيّ :

وكان الخليلُ اذا رابني * فعاتبتُه ثم لم يُعتِبِ (١)

هَوايَ له وهَوَى قلبِه * سواى وما ذاكَ بالأصوب

فإني جرىءٌ على صُرْمه * اذا ما القرينةُ لم تُصْحِبِ (٢)

قال رجلٌ لصديق له يعاتبه : ما أشكوكَ إلا اليكَ ، ولا أستبطِئُك إلّا لكَ ، ولا أستزيدكَ إلا بكَ ، فأنا منتظرٌ واحدةً من آثنتين : عُتْبى تكون منكَ ، أو عُقْبَى الغِنَى عنك .

وقال آخرُ : قد حميتُ جانبَ الأمل فيكَ وقطعتُ الرجاء لك ، وقد أسلمني اليأسُ منك الى العَزاء عنك ، فإن نزَعتَ من الآن فصفحٌ لا تَثْرِيبَ فيه ، وإن تماديتَ فهجرٌ لا وصلَ بعده .

وقال بعض الشعراء :

ولا خيرَ فى قُرْبى لغيركَ نفعُها * ولا فى صديق لا تزالُ تُعاتِبُهْ

يخونُكَ ذو القربى مِرارا وربما * وفَى لكَ عند الجَهْد مَنْ لا تُناسِبُهْ

وقال آخر وهو أوسُ بنُ حَجَر :

وقد أُعتِبُ آبنَ العمِّ إن كان ظالما * وأغفرُ عنه الجهلَ إن كان أجهلا

وكتب رجل الى صديق له : الحالُ بيننا تحتملُ الدَّالَّةَ ، وتُوجِبُ الأُنسَ والثِّقةَ ، وتبسط اللسانَ بالاستزادة .

---

(١) أى لم يرضِى ، من أعتب الرجلُ صاحبَه اذا أرضاه . (٢) القرينة هنا : النفس ، وأصحبت : انقادت .

وكتب رجل آخرُ الى صـديق له : قـد جعلك اللهُ ممن يحتمل الدَّالَّةَ الكبيرة لذى الحُرمةِ اليسيرةِ، ورفعكَ عن أن تبلغ ٱستزادةَ المستزيد بعُنْفِ الحَمِيَّة .

والعرب تقول لمن عُوتِب فلم يُعتِبْ : «لك العُتْبى بأن لا رضِيتِ»(١) .

ونحوه قول بشر بن أبى خازم :

٥ غَضِبَتْ تميمٌ أن تُقَتَّلَ عامِرٌ * يوم النِّسارِ(٢) فَأُعتِبُوا بالصَّيْلَمِ

وقال أوسُ بن حارِثةَ لٱبنـه : العِتابُ قبل العِقاب . وهذا نحو قول الآخر : ليكن إيقاعُكَ بعد وعيدك، ووعيدُكَ بعد وَعْدك .

وقال إياسُ بن معاويةَ : خرجتُ فى سفر ومعى رجل من الأعراب، فلمّا كان ببعض المناهل لقِيَه ٱبنُ عمٍّ له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهِما شيخٌ من الحىّ، فقال لهما

١٠ الشيخ : أنعِمَا عيشًا، إنّ المعاتبةَ تبعَثُ التجنّى، والتجنِّىَ يبعثُ المخاصمةَ، والمخاصمة تبعثُ العداوةَ، ولا خيرَ فى شىءٍ ثمرتُه العداوةُ، فقلت للشيخ : مَن أنتَ؟ قال : أنا ٱبن تَجرِبَةِ الدهرِ ومَنْ بَلَا تلوّنَه، فقلت له : ما أفادكَ الدّهرُ؟ قال : العلم به، قلت : فماذا رأيتَ أحمدَ؟ قال : أن يُبقِىَ المرءُ أحدوثةً حسنة بعده، قال : فلم أبرَحْ ذلك الماءَ حتى هلكَ الشيخُ وصلّيت عليه .

١٥ وقال رجل لصـديق له : أنا أُبقِى على مودّتك من عارضٍ يغيره(٣) وعتابٍ يقدَح فيه، وأُؤمّل نائيًا من رأيك يُغنِى عن ٱقتضائكَ .

---

(١) أى أن إعتابى إياك بقولى لك : لا رضيت، على وجه الدعاء أى لا رضيت أبدا .

(٢) يوم النسار : ذكره أبو عبيدة فقال : تحالفت أسد وطيء وغطفان فغزوا بنى عامر فقاتلوهم قتالا شـديدا فغضبت بنو تميم لقتل بنى عامر فتجمعوا وحلفاءهم يوم الفجار فقتلوا طيئا أشدّ ما قتلت عامرا يوم

٢٠ النسار . والصيلم : السيف . (٣) لعله ذكر الضمير باعتبار أن مرجعه الود .

وقرأتُ فى كتاب العتّابى : تأنّينا إفاقتكَ من سكر غفلتِك، وترقّبنا انتباهكَ من وَسَنِ رَقدتك، وصبرنا على تجرّع الغيظ فيك حتى بان لنا اليأسُ من خيرك، وكشف لنا الصبرُ عن وجه الغلط فيك، فها نحن قد عرفناكَ حقَّ معرفتكَ فى تَعَدّيك لِطويل حَقِّ مَنْ غَلِط فى اختيارك .

وقال الشاعرُ : ٥

فأيُّهما يا ليـلَ إن تَفعلِى بنا * فآخِرُ مَهجورٍ وأوَّلُ مُعتبِ

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب : يَجب على المرءوس اذا تجاوزَ به الرئيسُ حقَّ مرتبته بعمله، وكان تفضيلُه إنما وقع له بخفته على القلب ومحلِّه من الأدب، أن يقابل ذلك بمثله إن كان مُحامياً على محلّه، وإلا فلن يؤمَنَ عليه . معنى بيتِ شريح : ١٠

فإنى رأيتُ الحبَّ فى الصّدر والأذى * اذا اجتمعا لم يَلْبَث الحبُّ يَذهَبُ

باب الوَداع

قال حدّثنى محمد بن خالد بن خِداش قال حدّثنا مسـم حدّثنا سَلْمُ بن قتيبة عن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن يزيدَ(١) بن أمية عن نافع عن ابن عمر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم كان يقول اذا ودّع رجلا "أَستودِعُ اللهَ دينَـكَ وأمانتكَ وخواتيمَ عملِكَ وآخر عمرِكَ(٢)" . ١٥

قال وحدّثنى محمد بن عبد العزيز قال حدّثنا مسلم بن ابراهيم عن سعيد بن أبى كعب الأزدِىّ عن موسى بن مَيْسرة عن أنس بن مالك : أن رجلا أتى النبىَّ

(١) كذا فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى والخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى فيمن اسمه إبراهيم . وفى الأصل : «إبراهيم بن عبد الرحمن عن زيد بن أمية» وهو تحريف . (٢) ذكر هذا الحديث فى الجامع الصغير ج ١ ص ١٠٠ ولم تذكر فيه هـذه الجملة الأخيرة . ٢٠

صلى الله عليه وسلم فقال : إنّى أُريدُ سفرًا غدًا فقال " فى حفظِ اللهِ وكنَفِه زودك اللهُ التقوى وغفرَ ذنبَكَ ووجّهكَ للخير حيثُ كنتَ " .

المعتمِرُ عن إياس بن دَغْفَلٍ قال : رأيت الحسَنَ ودَّع رجلا وعيناه تَهْمِلان وهو يقول :

٥ وما الدهرُ إلا هكذا فٱصطَبِرْله * رَزِيئَـةُ مالٍ أو فِراقُ حبيبِ

قال وودّع رجلٌ صديقا له وهو يقول :

وَدَاعُكَ مثـلُ وداع الربيع * وفقدُكَ مثـلُ ٱفتقاد الدِّيَمِ(١)

عليكَ السلامُ فكَمْ من وفاءٍ * نُفَارِقُه منكَ أو من كَرَمْ

وقال الطائى :

١٠ بيَّنَ البينُ فَقْدَها، قلّما تعـ * ـرِفُ فقدًا للشمسِ حتى تغيبا

وقال جريرٌ :

يا أختَ ناجيةَ السلام عليكمُ * قبلَ الرحيل وقبلَ لَوْمِ العُذَّلِ

لوكنتُ أعلم أنّ آخرعهـدكم * يومُ الرحيل فعلتُ ما لم أفعلِ

أوكنتُ أرهبُ وَشْكَ بَيْنٍ عاجلٍ * لقنِعتُ أو لسألتُ ما لم يُسْأَلِ

١٥ وبلغنى عن بكر المازنىّ أنه قال : دخلتُ على الواثق حين أمر بحملى، فقال لى : ما ٱسمُك؟ فقلت : بكرٌ، قال : مَنْ خلّفت وراءك، قلتُ(٢) : بُنَيّةٌ، قال : ما قالت عند وداعك؟ قلتُ : قالت :

اذا غِبتَ عنّا وخلّفتنا * فإنّا سواءٌ ومَنْ قد يَتِمْ

---

(١) الديم : جمع ديمة وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . (٢) فى الأصل : «قال» .

أَبَانا فلا رِمْتَ مِنْ عندنا(١) * فإنا بخــيرٍ اذا لم ترِمْ
أبانا(٢) اذا أضمرتكَ البِلا * دُ نُجْفَى وتُقطَعُ منَّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها أنتَ؟ قال : قلت ما قال جرير :

ثِقِي بالله ليس له شريكٌ * ومِنْ عندِ الخليفة بالنَّجاحِ

كان لبنى عُقَيلٍ عبــدٌ رضيع بلِبَانِ بعضهم فباعوه، فقال حين شَخَص به مواليه ٥
شــعرا :

أشوقًا ولمَّا يَمْضِ بى غيرَ ليــلةٍ(٣) * فكيف إذا سار المطيُّ بنا شهرَا

وقال مسلمُ بن الوليد :

وإنّى وإسماعيــلَ عنــد وَدَاعه * لكالغِمْدِ يومَ الرَّوْع زايَله النَّصلُ
فإن أغشَ قوماً بعــدهم وأزورهم * فكالوحش يُدْنِيها من الأَنَسِ(٤) المَحْلُ ١٠

وقال آخرُ عند توديعه :

عجبتُ لتطويح النّوى مَنْ نُحِبُّهُ * وتدنو بمَنْ لا يُســتَلَذُّ له قُربُ

وقال آخر :

مالتْ تُودّعنى والقلب يَغْلِبُها * كما يَمِيل نسيمُ الريح بالغُصُنِ
ثم آستمرّتْ وقالتْ وهى باكيةٌ * ياليتَ معــرفتى إيّاكَ لم تكنِ ١٥

وقال آخرُ لرجل ودّعه : بقِى علينا أن نَكُفَّ من غَرْبِ(٥) الشُّؤونِ، ونَستعينَ على فُرْقةِ الوَحْشة بالكُتُبِ، فإنها ألسُنٌ ناطقة، وعيونٌ رامقة .

---

(١) يقال : ما رمت من عند فلان أى ما برحت . (٢) الذى فى اللسان مادّة «ضمر» : أرانا اذا أضمرتك الخ بدل «أبانا» . وقال : وأضمرته الأرض : غيبته إمّا بموت أو سـفر .
(٣) الرواية المشهورة : أشـوقا ولم يمض لى غير ليـلة * فكيف اذا خب المطى بنا عشرا ٢٠
(٤) الأنس : الإنس . (٥) الغرب : مسيل الدمع ، والشؤون : الدموع .

وقال البُحترى :

اللهُ جارُكَ فى ٱنطِلاقِكْ * تِلْقاءَ شامِكَ أو عِراقِكْ

لا تَعـذُلَنّى فى مَسِـيـ * ـرِى يوم سِرتُ ولم أُلاقِكْ

إنّى خشِيتُ مَوَاقِفًا * للبَيْنِ تسفحُ غَرْبَ ماقِكْ

وعلمتُ ما يَلقَى المـوَدِّعُ عند ضَمِّك[1] وٱعتِناقِكْ

فتركتُ ذاكَ تعمُّدًا * وخَرَجْتُ أهرُبُ من فِراقِكْ

الهـــدايا

قال حدّثنا يزيدُ بن عمرو قال حدّثنا عُمير بن عِمْران قال حدّثنا الحارث بن عتبة عن العَلَاء بن كَثِيرٍ عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تصافَحُوا فإنّ المصافَحةَ تُذْهِب غِلَّ الصدور، وتَهادَوْا فإنّ الهديّةَ تَذهَبُ بالسَّخِيمةِ[2]" .

وحدّثنى أبو الخطاب قال حدّثنا بِشْربن المفضَّل عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو أُهدِيَتْ لى ذِراعٌ[3] لَقَبِلت، ولو دُعيتُ الى كُرَاعٍ[4] لأجبتُ" .

وفى حديث آخر : " تهادَوْا تحابُّوا فإنّ الهديةَ تفتحُ البابَ المُصْمَتَ[5] وتَسُلُّ سَخِيمةَ القلب " .

قال حدّثنا عبـد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال : سمعْتُ نافعا يحـدّث قال : كان ابن عمر يقول : الهدايا من أمراء الفتنة .

(١) كذا فى ديوان البحترى . وفى الأصل : «شمك» . (٢) السخيمة : الضغنية والحقد. (٣) كذا فى الأصل والمحاسن والأضداد ص ٣٦٦ ؛ وقد ورد هذا الحديث فى البخارى ج ٣ ص ١٥٤ هكذا : "ولو دعيت الى ذراع أو كراع لأجبت ولو أهدى إلىّ ذراع أو كراع لقبلت" . (٤) الكراع بالضم : يد الشاة . (٥) المصمت : المغلق .

وروى الزُّبيرُ بن بَكَّار عن عمه قال : كان الحارث بن عبد الله بن أبى رَبيعة يجلس وعمرو بن عبيد الله بن صَفْوانَ، ما يكادان يفترقان ، وكان عمرو يبعثُ الى الحارث فى كلّ يوم بقِرْبةٍ من ألبان إبله ، فاختلفَ ما بينهما فأتى عمرٌو أهلَه [فقال] (١) : لا تبعَثُوا للحارث باللبَن فإنا لا نأمنُ أن يَرُدَّه علينا ، وٱنقلب الحارثُ الى أهله فقال : هل أتاكم اللبنُ؟ قالوا : لا ، فلما راح الحارثُ بعمرو قال : ياهذا لاتجمعنَّ علينا الهجرَ (٢) وحبسَ اللبن ، فقال : أمّا اذ قلتَ هذا فلا يحملُها (٣) اليك غيرى ، فحملها من رِدْمِ (٤) بنى جُمَح الى أجياد (٥) .

وبعث النضرُ بن الحارث الى صديق له يسكن عَبَّادانَ (٦) بنعلين مخصُوفتين وكتب اليه : بعثتُ اليك بهما وأنا أعلمُ أن بكَ عنهما غِنًى ، ولكنّى أحببتُ أن تعلَمَ أنكَ منى على ذُكْرٍ .

وقال بعضُ الشعراء :

إنّ الهـديّةَ حُلوةٌ * كالسِّحرِ تجتلبُ القلوبَا

تُدنِى البغيضَ من الهوى * حتى تُصَـيِّرَه قريبَـا

وتُعيدُ مُضطغِنَ العـدَا * وةِ بعـد نُفْرَته حبيبَا

أهدى رجلٌ إلى صديق له عبدا أسودَ ، فكتب إليه : أما بعد ، فلو علمتَ عددًا أقلَّ من واحد أو لونا شرًّا من الأسود لبعثْتَ به إلىّ . وهذا نظيرُ قول الآخر

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) فى الأصل : «فقال» . (٣) فى الأصل : «لا» . (٤) ردم بنى جمح : موضع بمكة سمى بذلك لوقعة كانت فيه بين بنى جمح بن عمرو وبين محارب بن فهر رُدِمَ فيه كثير من بنى جمح . (٥) أجياد : موضع بمكة ، يلى الصفا ، واختلف فى سبب تسميته بهذا الاسم فقيل : سمى بذلك لأن تبعًا لما قدم مكة ربط خيله فيه ، وقيل غير ذلك . (٦) عبادان (بفتح العين وتشديد الباء) : جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين فى بحر فارس .

وقد سُئل كم لك من الولد ؟ قال : خبيثٌ قليل ، قيـل : وكيف ؟ فقال : لا أقلّ من واحد ولا أخبثَ من بنت .

أهـدى رجلٌ الى بعض الأمراء هديةً ، فكتب اليه الأميرُ : قد قبلتُها بالموقع ورددتُها بالإبقاء .

وكان ابن عباس يقول : مَنْ أُهدِيتْ اليه هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ، فأهدَى اليه صديقٌ ثيابا من ثياب مصر وعنـده أقوام فأمر برفعها ، فقال له رجل : ألم تُخبِرنا أنّ مَن أُهديَتْ له هديّةٌ وعنده قومٌ فهم شركاؤه فيها ! فقال : إنما ذلك فيما يؤكَلُ ويُشربُ ويُشم ، فأمّا فى ثياب مصر فلا .

وقال خلفُ الأحمرُ :

أتانى أخٌ من غَيْبـةٍ كان غابها * وكنتُ اذا ما غاب أنشُـده رَكْبا[1]

فجاء بمعـروفٍ كثيرٍ فدسّـه * كما دسّ راعى السَّوءِ فى حِضنه الوَطْبا[2]

فقلت له هـل جئتنى بهـديّة * فقال بنفسى قلت أتحِفْ بها الكلبا

هى النفسُ لا أرثِى لها [من] بليّةٍ[3] * ولا أتمـنى أن رأيتُ لها قُـربا

أهدى رجل إلى صديق له وكتب إليه : الأُنسُ سهّل سبيلَ الملاطفة ، فأهديتُ هديّةَ من لا يَحتشِم ، إلى من لا يَغْتنِم .

وحدّثنا أحمد بن الخليل قال حدّثنا أبو سَلَمة عن حُبَابة بنت عَجْلان عن أمّها أم حفص عن صفيّة بنت جرير عن أم حكيم بنت وَدَاع الخُزاعيّـة قالت : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : ما جزاءُ الغنىّ من الفقير ؟ قال : " النصيحة والدعاء "

---

(١) نشده : عرّفه وسأل عنه . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) تكملة يقتضيها المعنى والوزن .

قلت : يُكْرَه ردُّ اللَّطَف[1] ؟ قال : "ما أقبَحه ، لو أُهـديتْ إلىّ ذِراع لقَبلتُ ، ولو دُعيتُ إلى كُرَاع لأجبتُ ، تهادَوْا فإنه يُضْعِفُ[2] الحُبَّ ويَذْهَب بغوائل القلوب".

وحدّثني محمد بن سَلّام الجُمَحِىّ قال حدّثني خلّاد بن يزيد الباهلىّ قال : أُهدِيتْ ليزيد بن عمر بن هُبَيْرة فى يوم المِهْرَجان هدايا وهو أمير العراق فصُفّت بين يديه ، فقال خلف بن خليفة وكان حاضرا :

كأنّ شماميسَ فى بِيعـةٍ * تسبّح فى بعض عِيـداتِها
وقد حضرتْ رسلُ المِهرجا * نِ وصَـفُّوا كرِيمَ هَدِيّاتِها
علوتُ برأسىَ فوق الرءوس * فأشخصته[3] فـوق هاماتِها
لأَكسِبَ صاحبتى صَحْفَةً * تغيظ[4] بهـا بعضَ جاراتِها

فأمر له بجامٍ من ذهب ، ثم أقبل يفرّق بين جلسائه تلك الهدايا ، ويُنشد :

لا تبخَلَنّ بدُنيـا وهى مقبِـلةٌ * فليس ينْقُصها التبذيرُ والسَّرَفُ
فإنْ تولّتْ فأَحْرَى أن تجودَ بها * فالحمدُ منها اذا ما أدبرتْ خَلَفُ

كتب رجلٌ من أصحاب السـلطان الى بعض العمال يَستهدِيه مِهارةً[5] من ناحية عمله . فكتب اليه العامل : أمّا المِهارةُ فإن أهل عملنا يصونونها صيانةَ الأعراض ، ويسترونها سَـتْرَ الحُرَم ، ويسومون بهـا مهور العقائل ، وأنا مستخلِص لك منهـا ما يكون زينَ المَرْبِط وحُمْلانَ[6] الصديق ، إن شاء الله .

---

(١) اللطف : اسم من ألطفه بكذا اذا برّه . (٢) يضعف الحب : يضاعفه .
(٣) كذا فى الشعر والشعراء ، وفى الأصل : «فأشخصتها» والرأس مذكر . (٤) كذا فى الشعر والشعراء . وفى الأصل «تفيض» : وهو تحريف . (٥) المهارة : جمع مهر بالضم ، وهو ولد الفرس . (٦) الحملان : ما يوهب من الدواب كالفرس ونحوه مما يحمل عليه .

وقال بعضهم : الهديّة اذا كانت من الصغير الى الكبير، فكلّما لَطُفتْ ودقّت كان أبهى لها، واذا كانت من الكبير الى الصغير، فكلّما عَظُمتْ وجلّت كان أوقع لها وأنجع .

وكتب أبو السِّمْط :

بدولةِ جعفرٍ حَسُنَ الزمانُ * لنا بك كلَّ يومٍ مهْــرجانُ

٥ ليومِ المهرجانِ بك آختيالٌ * وإشراقٌ ونورٌ يُستبانُ

جعلتُ هديّتى لك فيه وَشْياً * وخيرُ الوَشْيِ ما نَسَج اللسانُ

أهدى حُسَام بن مِصَكّ الى قَتَادَةَ نعلاً رقيقة، فجعل قتادة يَزِنُها بيده، وقال : إنك تعرف سُخْفَ عقلِ الرجل فى سخف هَدِيّته .

وقال الشاعر :

١٠ ســقى مُجَاجَنــا نَوْءُ الثريّا * على ماكان من بُخْلٍ ومَطْلِ

هُمُ جمعوا النعالَ وأحرزوها * وســدُّوا دونهــا بَاباً بقُفْلِ

فإن أهديتُ فاكهةً وجدياً * وعشرَ دجائج بعثُوا بنعــلِ

ومِسْــواكَيْنِ طولُهما ذِراعٌ * وعشرٍ من رديءِ المُقْلِ[1] حُسْلِ

فإن أهــديتُ ذاك ليحملونى * على نعــلٍ فــدقّ الله رِجْلى

١٥ أُناس تائِهون[2] لهــم رُواءٌ * تَغِيم سماؤهم من غير وَبْلِ

اذا آنتسبوا ففرعٌ من قريشٍ * ولكنّ الفِعالَ فِعالُ عُــكْلِ[3]

كتب رجل الى صـديق له : لولا أنّ البضـاعة قَصّرت بى عن بلوغ الهِمة لأتعبتُ المسابقين الى بِرّك . وكَرِهتُ أن تُطْوَى صحيفةُ البرّ، وليس لى فيها ذِكر،

(١) المقل : ثمر الدوم، وحسل : جمع حسيل، والحسيل : رذال الشىء. (٢) تائهون : متكبرون، وصف من التيه . (٣) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة و يستحمق : عكلىّ .

٢٠

فبعثت اليك بالمبتدأ بِيُمنه و بركتِه، والمختومِ بِطيبه ورائحتِه : جرابِ مِلْح، وجراب أُشْنان (١) .

أهدى الطائىّ الى الحسن بن وهب قلماً وكتب اليه :

قد بعثنا إليك أكرمك اللـ * ـه بشئٍ فكن له ذا قَبُولِ
لا تقِسْه الى نَدَى كفّك الغَمْـ * ـرِ ولا نَيْلِك الكثيرِ الجزيلِ
وٱغتفِر قِلّةَ الهـديّةِ مِنّى * إنّ جهدَ المُقِلِّ غيرُ قليلِ

وبعث أبو العَتاهِيَة الى الفضل بن الربيع بنعلٍ وكتب معها :

نعـلٌ بعثتُ بهـا لتلبَسَها * تسعى بها قدمٌ الى المجـدِ
لو كان يمكن أن أُشَرِّكَها (٢) * جِلْدِى جعلتُ شِراكَها خَدِّى

وقال بعض الشعراء فى نحو ذلك :

أَوَ ما رأيتَ الـوردَ أَتحفَنا به * إتحافَ مَنْ خَطَرَ الصـديقُ ببالِهِ
لو كان يُهْـدَى لٱمرئٍ ما لا يُرَى * يُهْـدَى لعُظْم فِراقـه وزِيالِه
لرددتُ تُحفتَه عليـه و إن علتْ * عن ذاك وٱستهديتُ بعضَ خِصالِهِ

وقال المهدىّ :

تفّاحةٌ من عنـد تفّاحةٍ * جاءتْ فماذا صنعتْ بالفؤادْ
واللهِ ما أدرى أأبصـرتُها * يقظانَ أم أبصرتُها فى الرّقادْ

قال : وكتب بعض العمال إلى صديق له : إنى تصفّحتُ أحوالَ الأتْباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السّادة فى مثل هـذا اليوم والتأسِّى بهم فى الإهداء ، و إن قَصّرتِ الحالُ عن قَدْرك ، فرأيتُنِى إن أهديتُ نفسى فهى مِلكٌ لك لا حظّ فيها لغيرك ،

(١) الأشنان : نبات وهو أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، وتغسل به الثياب وغيرها .
(٢) أشركها : أجعل لهـا شراكا ، والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

ورميتُ بطَرْفي الى كرائم مالى فوجدتُ أكثرَها منك، فكنت إن أهديتُ شيئًا منه كالمُهْـدِى مالَك إليك ومُنفِق نفقتِك عليك، وفزِعتُ الى مودّتى وشكرى فوجدتُهما خالصَيْنِ لك قديمين غيرَ مستحدثَيْن، ورأيتُ إن أنا جعلتُهما هديّتى لم أُجَدِّد لهـذا اليوم الجديد بِرًّا ولا لَطَفا. ولم أَقِسْ منزلةً من شكرى بمنزلةٍ من نعمتك إلا كان الشكر مُقصِّرا عن الحق، وكانت النعمةُ زائدةً على ما تبلُغه الطاقة، ولم أسلك سبيلا ألتمس بها بِرًّا أعتــدّ به أو لَطَفا أتوصّل إليه، إلا وجدتُ رِضاك قد سبقنى اليه ، فجعلتُ الاعتراف بالتقصير عن حقك هديّةً اليك، وقد قلت فى ذلك :

إنْ أُهْدِ نفسى فهى من مِلْكِه * أو أُهْــدِ مالى فهو من مالِهِ

لمـا قَدِم معاويةُ المدينةَ مُنصرِفا من مكة، بعث إلى الحسن والحُسَين وعبدِ الله ابن جعفر وعبدِ الله بن عمر وعبدِ الله بن الزُّبَير وعبد الله بن صَفْوان بن أُمَيّة بهدايا من كُسًى وطِيبٍ وصِلاتٍ من المال، ثم قال لرسله : ليحفَظْ كلُّ رجلٍ منكم ما يرى ويسمع من الردّ . فلما خرج الرسل من عنـده، قال لمن حضر : إن شئتم أنبأتكم بما يكون من القوم، قالوا : أخبِرْنا يا أمير المؤمنين، قال : أمّا الحسن فلعله يُنيـل نساءَه شيئًا من الطِّيب ويُنْهِب ما بَقِيَ مَنْ حَضَره ولا ينتظر غائبا . وأما الحسـين فيبدأ بأيتامِ من قُتِل مع أبيه بِصفِّين ، فإن بَقِيَ شيء نَحر به الجُزُر وسَقى به اللبن. وأما عبـد الله بن جعفر فيقول : يا بُدَيح[1] ! اقْضِ به دَيْنى ، فإن بقى شىء فأنفِذْ به عِداتى . وأما عبد الله بن عمر فيبـدأ بفقراء عَدِىّ بن كعبٍ، فإن بقِىَ شىء ادّخره لنفسه ومانَ به عيالَه . وأما عبد الله بن الزبير فيأتيه رسولى وهو يسبّح فلا يلتفت إليه ثم يعاوده الرسولُ فيقول لبعض كُفَاته : خذوا من رسول مُعاوية ما بعَث به، وصَله الله وجَزاه خيرا، لا يلتفت اليها وهى أعظم فى عينه من أُحُدٍ، ثم ينصرف الى أهله

(١) بديح : اسم مولى كان لعبد الله بن جعفر .

فيَعْرِضُها على عينه ويقول: آرفعوا، لعلّى أن أعودَ بها على ابن هِند يوما ما .
وأما عبد الله بن صفوان فيقول: قليلٌ من كثير، وما كل رجلٍ من قريش وصل اليه
هكذا، رُدّوا عليه، فإن ردّ قَبِلناها . فرجع رسلُه من عندهم بنحو مما قال معاوية،
فقال معاوية : أنا ابنُ هند! أعلم بقريش من قريش .

٥ قال يونس بن عُبَيد : أتيتُ آبنَ سِيرِينَ فدعوتُ الجارية ، فسمعتُه يقول :
قولوا له : إنى نائم — يريد: سأنام —، فقلت : معى خَبِيص[(١)]، فقال : مكانَك حتى
أخرج إليك .

قال رجل لأبى الدَّرْداء : إن فلانا يُقْرِئك السلام، فقال : هديّةٌ حسنة
ومَحْمَل خفيف .

١٠ وبعث رجلٌ الى جارية يقال لها «راح» براحٍ، وكتب اليها :

قل لمن يملك الملو * كَ وإن كان قد مُلِكْ
قد شَرِبناكِ فآشرَبِى * وبعثنا إليكِ بِكْ

أهدى رجل الى عُبيد بن الأخطل[(٢)] شاةً مهزولة ، فكتب اليه عُبَيد :

وهبتَ لنا يا أخا مِنْقَرٍ * وعِجْلٍ وأكرمَها أوّلَا
١٥ عجوزًا أضرَّ بها دهرُها * وأنزلها الذُّلُّ دارَ البِلَى

(١) الخبيص : نوع من الحلواء يصنع فى الطناجير، وهو أنواع كثيرة ذكرها ووصف كيفية صنعها صاحب كتاب الأطعمة فراجعها فى نسخته المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٢ علوم معاشية .

(٢) نسب أبو الفرج هذا الشعر فى الأغانى (ج ٣ ص ٢٢٧ طبع دار الكتب) لبشار بن برد، وروى أنه بعث به الى فتى من بنى منقر أمه عجلية ، وكان يبعث الى بشار فى كل عام بأضحية من الأضاحى التى كان أهل
٢٠ البصرة يسمونها سنة وأكثر للأضاحى ، فأمر وكيله فى بعض السنين أن يجريه على رسمه فأرسل اليه نعجة عبدلية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول ، فأرسل اليه بشار بهذه الأبيات . وقد وردت هذه القصيدة فى الأغانى باختلاف فى بعض الأبيات والكلمات عما هنا .

سـلوحًا (١) حسِبتُ بأنّ الرِّعاء * سَـقَوْها الغَرِيقَوْن (٢) والحنظَلَا

وأجدبَ من ثور زَرَاعةٍ (٣) * أصاب على جوعه سُنْبُلَا

وأزهـدَ من جيفةٍ لم تدَعْ * لها الشمسُ من مَفْصِلٍ مَفْصِلا (٤)

فأهـوتْ يمينى الى جنبهـا * تَخلتُ حراقِيفَها (٥) جَنْـدَلا

وأهوتْ يَسَارى لعُرْقوبهـا * تَخلتُ عَرَاقيبَهـا مِغْـزَلا

فقلت أبيـع فـلا مشْـرِبًا (٦) * تُؤَدِّى إلىّ ولا مَأْكَلَا

أم اَجعـلُ من جلدها حَنْبَلًا (٧) * فأقْـذِرْ بحنبلها حنبـلا

إذا هى مَرّت عـلى مجلسٍ * من العُجْبِ كبّر أو هـلّلَا

رأَوْا آيةً خلفـها سائقٌ * يَحُثّ وإن هرولتْ هرولَا

فكنتَ أمرتَ بها ضَخْمـةً * بشحمٍ ولحـمٍ قد اَسْتَكْمَلَا

ولكنّ رَوْحًا عَدَا طَـوْرَه * وما كنتُ أحسب أن يفـعلَا

فعَـضّ الذى خانَنى حاجتى * بإستِ اَمّـه بَظْرَها الأغرَلَا (٨)

فلولا مكانُك خَضّبتُها * وعَلقتُ فى جِيـدها جُلْجُلا

فجـاءت لكيما ترى حالَهَا * فتعـلمَ أنّى بهـا مُبتـلَى

سألتُـك لحمًا لصِبيانِنا * فقـد زِدتَنى فيهـم عَيّـلَا

فخُـذْها وأنت بهـا مُحسِنٌ * وما زلتَ بى مُحسِنًا مُجْمِلَا

---

(١) سلوح : وصف من السلح ، وهو للطير والبهائم كالتغوط للإنسان ، وقد يستعمل للإنسان تجوزا

(٢) الغريقون : ترياق للسموم مفتح مسهل . (٣) الزراعة : موضع الزرع كالملاحة لموضع الملح .

(٤) فى الأصل : «من مفصل يفصلا» وهو تحريف . (٥) الحراقيف جمع حرقفة وهى رأس الورك . (٦) كذا فى الأغانى اعتمادا على بعض أصوله الخطية . وفى الأصل : «فلا مشترى» وهو تحريف . (٧) الحنبل : الفرو . (٨) الأغرل : الذى لم يختن .

وبعث رجل إلى دِعْبِل بأُنحِيّة، فكتب إليه :

بعثتَ إلىّ بأُضحيّــةٍ * وكنتَ حَرِيًّا بأن تفعلَا
ولكنها خرجتْ غَثّــةً * كأنك أرعيتَهـا حَرْمَلَا (١)
فإن قَبِــل الله قُرْبانَها * فسبحانَ ربِّك ما أعدلَا

٥ قيل لرجل قَدِم من مكة : كيف أثمان النِّعال بمكة؟ قال : أثمان الحِداء (٢) بالعراق .

وقال مُسْلم بن الوليد :

جَزَى الله من أهدَى التُّرُنْج (٣) تحيةً * ومَنَّ بمـا يهوى عليــه وعَجّلا
أتتنا هدايا منــه أشبهن رِيحَه * وأشبَهَ فى الحسن الغزالَ المكحّلَا
ولو أنه أهــدَى إلىّ وِصالَه * لكان إلى قلبى ألذَّ وأوصلا

١٠ وكتب رجل الى صديق له شَرِب دواءً :

تأنّق فى الهــديّةِ كلُّ قومٍ * إليــك غداةَ شُرْبِكَ للدواءِ
فلمّــا أنْ هَممتُ به مُدِلًّا * لموضِع حُرْمتى بك والإخاءِ
رأيتُ كثير ما أُهْدِى قليــلًا * لعبدك فاقتصرتُ على الدُّعاءِ

وكتب رجل الى صــديق له : وجدتُ المودّة منْقطعة ما كانت الحِشْمةُ عليها ١٥ متسـلِّطة ، وليس يُزِيل سلطانَ الحِشمة إلا المؤانسـةُ، ولا تقع المؤانســةُ إلا بالبِرّ والملاطفــةِ .

العيـــــادة

قال حدّثنا يزيد بن عمــرو قال حدّثنا يزيد بن هارون قال حدّثنــا شَرِيك عن أبى نُصَيْر عن أنَس بن مالك، قال : عاد رسولُ الله صلى الله عليــه وسلم رجلا من

٢٠ (١) الحرمل : حب نبات كالسمسم يمتنع عن الأكلة، ولا يأكله إلا المعزى، وقد يداوى به المحموم.
(٢) الحداء : جمع حدى . (٣) الترنج : ثمر شجر بستانى من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

الأنصار من رَمَدٍ كان بعينه . ومن حديث أبي هُرَيرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : "ثلاثة لا يُعَادُون صاحبُ الدُّمّل والرمد والضرس" .

وحدّثني القاسم بن الحسن عن ابن الأصبهانيّ عن إسماعيل بن عيّاش عن أَرْطأةَ بن المُنْذِر : أن أبا الدرداء عاد جاراً له نصرانيا .

٥ قال الشّعْبِيّ : عِيادةُ النَّوْكَى أشدّ على المريض من وَجَعه .

شَيْبان عن أبي هَـدِيّة عن أبي هِلَال قال : قال بكر بن عبد الله لقوم عادوه فأطالوا عنده : المريضُ يُعاد، والصحيحُ يُزار .

عاد قومٌ عليـاً فأطالوا عنده، فقال لهم : إن كان لكم في الدار حقٌّ فخـذوه وآنصرِفوا .

١٠ عاد رجل رَقَبَةَ، فنعى رجالًا آعتلّوا مثلَ عِلّتـه، فقال له رقبة : إذا دخلتَ على مريضٍ فلا تَنْعَ إليه الموتى، وإذا خرجتَ من عندنا فلا تَعُدْ الينا .

عاد أعرابيّ أعرابيـاً فقال : بأبي أنت! بلغني أنك مريض، فضاق والله عليّ الأمرُ العريض، وأردتُ إتيانَك فلم يكن بي نهوض ؛ فلما حملتْني رِجلان، وليستا تحملان، أتيتُك بجُرْزَةِ[1] شيح ما مسّها عِرْنِين[2] قطّ، فآشْمُمْها وآذكر نجداً، فهو الشفاء

١٥ بإذن الله .

قال كُثَيّر :

أَلَا تلك عزّةُ قـد أقبلتْ * تقلِّبُ للبين طَرْفًا غَضيضَا

تقـول مَرِضتُ وما عُدْتَنا * فقلتُ لها لا أُطيق النهوضا

كلانا مَريضانِ في بلدةٍ * وكيف يعودُ مريضٌ مريضا

---

٢٠ (١) الجرزة : الحزمة . (٢) العرنين : الأنف .

وقال آخر[1] :

إذا مَرِضْنا أتيناكم نعودكُمُ * وتُذْنبون فنأتيكم فنعتذِرُ

وقال بشّار :

لوكانت الفِدْيةُ مقبولةً * لقلتُ بى لا بك حُمّاكا

وكتب آخر الى عليل : ٥

نُبِّئتُ أنّك معتلٌّ فقلتُ لهم * نفسي الفِداءُ له من كلّ محذورِ

ياليتَ علّتَه بى غيرَ أنّ له * أجرَ العليلِ وأنّى غيرُ مأجورِ

وكتب آخر الى عليل :

أقولُ بحقٍّ واجبٍ لك لازمٍ * وإخلاصِ شكرٍ لا يغيّره الدهرُ

بِيَ السوءُ والمكروهُ لا بك كلّما * أراداك كانا بى وكان لك الأجرُ ١٠

وقال آخر فى مثله :

فإنْ تكُ حُمّى الغِبِّ[2] شَفّك وِرْدُها[3] * فعُقْباكَ منها أن يطولَ لك العمرُ

وَقيناكَ ! لو نُعْطَى المُنَى فيك والهَوَى * لكان بى الشكوَى وكان لك الأجرُ

وفى الحديث المرفوع "حَصِّنوا أموالكم بالزكاة، وداوُوا مَرْضاكم بالصدقة، واستَقْبِلوا البلايا بالدعاء". وفى حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال يومًا لأصحابه : ١٥ "مَنْ أصبح منكم صائما؟" قال عمر : أنا، قال : "فمن شَيّع جنازةً؟" قال عمر: أنا، قال : "فمن عاد مريضا؟" قال عمر : أنا، قال : "فمن فيكم تصدّق بصدقة؟" قال عمر : أنا، فقال صلى الله عليه وسلم : "وجبتْ وجبتْ وجبتْ". وفى حديث

---

(١) هو المؤمل بن أميل (نهاية الأرب ج ٣ ص ٩٢ طبعة أولى). (٢) حمى الغب : التى تنوب المريض يوما بعد يوم. (٣) الورد من أسماء الحمى وقيل : هو يومها الذى تأخذ فيه صاحبها. ٢٠

آخر : أنه صلى الله عليـه وسلم قال : " إتمامُ عيادتكم المريضَ أن يَضَع أحدكم يده على جَبْهته أو على رأسه أو يده فى يده ويسأله كيف هو، وتمـامُ تحيّاتكم المصافحة " .

وقال الشاعر :

إن كنتُ فى ترك العِيادةِ تاركًا * حَظِّى فإنى فى الدعاءِ لجاهـدُ

فلربمـا ترَكَ العيادةَ مُشْـفِقٌ * وأتى على غِلِّ الضميرِ الحاسدُ ٥

أبو حاتم قال حدّثنا العُتْبِىّ عن أبيـه قال : كان يقال : إذا آشـتكى الرجلُ ثم عُوفِى ولم يُحْدِث خيرًا ولم يَكُفّ عن سُـوء، لقيتِ الملائكةُ بعضُها بعضًا وقالت : إن فلانًا داويناه فلم ينفَعْه الدواء .

وقال أبو حاتم حدّثنا القَحْذَمىّ قال : أَطْلَع[1] معاويةُ فى بئر بالأَبْواء[2] فأصابتْه لَقْوة[3]، فآعتمّ بعِمامةٍ سوداء وسدَلها على الشقّ الذى أُصيب فيه ، ثم أذِن للناس فقال : أيها ١٠ الناس، إنّ ابن آدم بعَرَض بلاء : إما مُعاتَبٌ ليُعْتِب، وإما مُعاقَب بذنب، أو مبتلًى ليؤجَر، فإن عُوتبتُ فقـد عُوتب الصالحون قبلى، وإنى لأرجو أن أكون منهم؛ وإن عُوقبتُ فقـد عوقب الخطّاءُون قبلى، وما آمن أن أكون منهم؛ وإن مَرِض عضو منّى فما أُحْصِى صحيحى ولمّـا عُوفيتُ أكثر، ولو أن أمرِى الى ما كان لى على ربّى أكثرُ ممـا أعطانى . وإنى وإن كنتُ عاتبًا على خاصّ منكم فإنى حَدِب على ١٥ جماعتكم، أُحبّ صلاحكم . وقد أُصبتُ بمـا ترَوْن، فرحم الله آمرأً دعا لى بعافية ! فرفعوا أصواتهم بالبكاء والدعاء .

---

(١) أطلع : أشرف . (٢) الأبواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة ممـا يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا، وقيـل : الأبواء : جبل عن يمين آرة ويمين الطريق للصعد الى مكة .

(٣) اللقوة (بالفتح) : داء يصيب الوجه يعوج منه الشدق إلى أحد جانبى العنق . ٢٠

مَرِض أبو عمرو بن العَلاء مَرْضةً، فأتاه أصحابه وأبطأ عنده رجل منهم، فقال: ما يُبْطِئ بك ؟ قال : أُريد أن أُسَاهِرَك ، قال : أنت مُعافىً وأنا مبتلىً ، فالعافية لا تدعُك تسهر والمرض لا يدعنى أنام، فأسألِ اللهَ أن يسوق الى أهل العافية الشكر، والى أهل البلاء الصبرَ والأجر .

٥ حدّثنى عبد الرحمن عن الأصمعىّ قال : اشتكى رجل من الأعراب ، فجعل الناسُ يدخلون عليه فيقولون : كيف أصبحت وكيف كنت ؟ فلما أكثروا عليه قال : كما قلتُ لصاحبك .

قال : وقَع رجل من أهل المدينة فوَثِئتْ[1] رجلاه ، فجعل النـاسُ يدخلون عليه ويسألونه ، فلما أكثروا عليه وأُضْجِر كتب قصّته فى رُقعةٍ ، فكان اذا دخل عليه [عائد][2] ١٠ وسأله دفع اليه الرقعة .

الهَيْثم بن عَدِىّ قال : كان رجل من أهل السّوَاد مجهودا[3] لا يَقْصِد فى شىء إلا انصرف عنه ، فغاب مرّةً فأطال ، فلما قَدِم أتاه الناس فجعلوا يسألونه عن حاله وما كان فيه ، وكان فيه بَرَمٌ ، فأخذ رُقعةً فكتب فيها :

وما زلتُ أقطع عَرْضَ الفلاةِ * من المَشْرِقينِ الى المَغْرِبَيْنِ
١٥ وأطوِى الفيافِىَ أرضًا فأرضًا * وأستمطر الجَدْىَ والفَرْقَدَيْنِ
وأطوِى وأنشُر ثوبَ الهمومِ * الى أن رجعتُ بخُفَّىْ حُنَينِ

---

(١) وثئت رجله أو يده : أصابها وهن لا يبلغ أن يكون كسرا . (٢) زيادة يقتضيها السياق .
(٣) المجهود : هو الذى نكد عيشه . وفى الأصل « مجدود » بالدال ، والمجدود : المحظوظ ، والسياق يأباه .

فقــيرًا وَقيرًا[1] أخا عُسْرةٍ * بعيدًا من الخير صِفرَ اليدينِ
كئيبَ الصّديق بهيجَ العدوِّ * طويلَ الشَّقا زانِى الوالدينِ

وطرحها فى مجلسه، فكلّ من سأله عن حاله دفع اليه الرقعة .

قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه أن نَبَطيًّا وقع من موضع عالٍ، فدخلوا يسألونه :
٥ كيف وقعت ؟ فلما أكثروا عليه أخذ جَرّةً وألقاها من يده وقال : هكذا وقعتُ .

أبو الخطاب قال : كان عنـدنا رجلٌ أحدبُ فسقَط فى بئر فذهبت حَدَبتـه
فصار آدر[2]، فدخلوا يسألونه ويهنئونه بذهاب حَدَبتـه ، فجعل يقول : الذى جاء
شرٌّ من الذى ذهب .

المدائنىّ قال : سقط ابن شُبْرُمة القاضى عن دابّته فوَثِئتْ رِجلُه، فدخل يحيى
١٠ ابن نوفل الحِمْيرىّ عليه فقال :

أقول غداةَ أتانى الخبـير * فـدسّ أحاديثَـه الهَيْنَمَهْ[3]
لك الويلُ من مُخبِرٍ ماتقول؟ * أبِنْ لِى وعَدِّ عن الجَمْجَمـهْ[4]
فقال خرجتُ وقاضى القضا * ةِ مُشــقَلةٌ رِجلُه مُؤلَمَـهْ
فقلت وضاقت علىّ البلاد * وخِفتُ المُحَـلَّةَ المُعظَمَهْ
١٥ فَغَزْوانُ حرٌّ وأمّ الوليـد * إنِ اللهُ عافى أبا شُـبْرُمَهْ
جزاءً لمعـروفه عنـدنا، * وما عِتقُ عبدٍ له أو أَمَـهْ ؟

قال : وفى المجلس جار ليحيى بن نوفل يعـرف منزلَه ، فلما خرج تبِعه وقال :
يا أبا معمر، مَنْ غزوان وأم الوليد ؟ فضحك وقال : أوَ ما تعرفهما؟ هما سِنَّوْرانِ
فى البيت .

٢٠ (١) الوقير : الذليل المهان . (٢) الآدر : المصاب بانتفاخ فى إحدى خصيتيه .
(٣) الهينمة : الصوت الخفىّ . (٤) الجمجمة : عدم الإبانة فى الكلام .

قال حدّثنا الرِّيَاشيّ عن أبي زيد قال دخلنا على أبي الدُّقَيش وهو شاكٍ ، فقلنا له : كيف تجـدُك ؟ قال : أجِدُنى أجد ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجِد ، ولقد أصبحتُ فى شرّ زمانٍ وشرّ أُناسٍ : مَنْ جاد لم يَجِدْ ومن وَجَد لم يَجُد .

قيل : لعمرو بن العاص وقد مَرِض مرةً : كيف تجِدُك؟ قال أجِدنى أذوب ولا أثوب، وأجد نَجْوِى أكثرَ من رُزْئى[1] ، فما بقاءُ الشيخ على هذا ! .

سئل عليلٌ عن حاله فقال : أنا مُبِلٌّ غير مُستقِلّ، ومتماثِلٌ غير متحامِل .

وقيل لآخر : كيف تجدك ؟ قال أجِدُنى لم أرض حياتى لموتى .

وقيـل لرجل من العجم : ما حالك ؟ قال : ما حال منْ يريد سفرًا طويلًا بلا زادٍ! ويَنزل منزلًا مُوحِشا بلا أنيس! ويَقْدَم على جَبّار قد قدّم العذرَ بلا حجّة ! .

قيل لِعِكْرِمة: كيف حالك ؟ قال : بِشرٍّ، أصبحت أجرَبَ مبسورا[2] .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: قيل لشيخ من العُبّاد : كيف أنت، وكيف أحوالُك ؟ فقال : ما كلُّها كما أشتهى .

قيـل لآخر : ما تشتكى ؟ قال : تمـامَ العِدّة وانقضاءَ المدّة .

وبلغنى عن مُعاوية بن قُرّة قال : مَرِض أبو الدَّرْداء، فعاده صديقٌ له فقال: أىَّ شىء تشتكى ؟ قال : ذُنوبى، قال : فأىَّ شىء تشتهى ؟ قال : الجنة، قال : فندعو لك بالطبيب ؟ قال : هو أمرضنى .

سئل رجلٌ عن حاله فقال :

كنّا اذا نحن أردنا لم نَجِـدْ * حتى اذا نحن وجدنا لم نُرِد

(١) النجو : ما يخـرج من البطن من ريح أو غائط، والرزء : ما يناله الانسان من الطعام .

(٢) مبسورا : به داء البواسير .

أَرْجف الناسُ بعلّة معاوية وضعفِه ، فدخل عليه مَصْقَلة بنُ هُبَيرة ، فأخذ معاوية
بيده ثم قال يا مَصْقل :

أبقى الحـــوادثُ من خليـــلك مثل جَنْدلة المَـــرَاجِمْ
قـــد رامنى الأقـــوامُ قبـــلك فامتنعتُ من المظالمْ

٥ فقال مَصْقَلة : أمّا قولُ أمير المؤمنين : «أبقى الحوادث من خليلك» ، فقد أبقى الله
منك جبلًا راسيًا وكَلأً مَرِعيًّا لصديقك وسمًّا ناقعًا لعدوك . وأما قولك : «قد رامنى
الأقوام قبلك» ، فمن ذا يَرُومك أو يظلمك ! فقد كان الناس مشركين فكان أبو سفيانَ
سيّدَهم ، وأصبح الناس مسلمين وأصبحتَ أميرَهم ؛ فأعطاه معاوية فخرج ؛ فسئل عنه
فقال : والله لغَمَزنى غمزةً كاد يَكسِر منها يدى وأنتم تزعُمونه مريضا .

١٠ وقال المَدائنىّ : دخل كُثَيِّر عَزّة على عبدالملك بن مروان ، فقال : ياأميرالمؤمنين ،
لولا أنّ سرورك لا يَتمّ بأن تَسْلَم وأسقَم لدعوتُ الله أن يَصْرِف ما بك إلىّ ،
ولكن أسألُ الله لك أيها الأمير العافيةَ ولى فى كَنَفك النعمةَ ؛ فضحك وأمر له
بمال ؛ فقال :

ونعودُ سيّدَنا وسيّدَ غيرِنا * ليت التَّشَكِّى كان بالعُوّادِ
١٥ لو كان يُقْبَلُ فِديةٌ لفديتُه * بالمصطفَى من طارِفى وتِلادى

وقال آخر :

لا تَشْكُوَنْ دهرًا صَحِحتَ به * إنّ الغِنَى فى صحة الجسمِ
هَبْكَ الخليفةَ ، كنتَ منتفعًا * بلذاذة الدنيا مع السُّقْمِ؟

اعتلّ المِسْوَر فجاءه ٱبنُ عباس يعوده نصفَ النهار، فقال المسور: يا أبا عباس[1] هلّا ساعةً غيرَ هـذه! قال ٱبن عباس: إنّ أَحَبَّ الساعاتِ إلىّ أنْ أُؤَدِّىَ فيها الحقّ أشقُّها علىّ.

وكتب رجل إلى صديق له: كيف أنت؟ بنفسى أنت! وكيف كنت؟ لازلت! وكيف قوّتك ونشاطك؟ لا عَدِمتَهما ولا عَدِمْنا هما منك، وأعادك الله الى أحسنِ ما عوّدك! لولا عوائقُ يُوجب العذرَ بها تَفَضُّلُك لم أدَعْ تعرّفَ خبرك بالعين، فإنها أشفى للقلب وأنقع للغليل وأشدُّ تسكينا للاعج الشوق.

وقرأت فصلا فى كتاب[2]: لئن تخلّفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلّة لما أغفل قلبى ذِكرَك ولا لسانى فحصًا عن خَبَرك فى مُمْساك ومُصْبَحك وتنقل الحال بك تبعث من تقسم جوارحه وصبك وزاد فى ألمها ألمك ومن تتّصل بك أحواله فى السراء والضراء. ولما بلغتنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية مخبرًا بالعذر، معفيًا من الجواب إلا بخبر السلامة إرسالا.

وقال عبد بنى الحَسْحَاس:

تَجَمَّعْنَ من شَتَّى ثلاثٌ وأربعٌ * وواحدةٌ حتى بلغنَ ثمانيا
سُلَيْمى وسَلْمَى والرَّبابُ وزينبٌ * وهنـدٌ ودَعْدٌ والمُنَى وقطامِيا
وأقبلنَ من بعض الخيام يَعُدْنَنِى * أَلَا إنّ بعضَ العائداتِ دوائيا

(١) أبو العباس: كنية عبد الله ابن العباس. (٢) كذا ورد هذا الفصل بالأصل، ولم نوفق اليه فى مصدر آخر سوى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٤١) وورد فيه هكذا: «لئن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبى ذكرك ولا لسانى فحصا عن خبرك يحب أن تقسم جوارحه وصبك وإن زاد فى ألمها ألمك وأن تتصل به أحوالك فى السراء والضراء. ولما بلغتنى إفاقتك كتبت مهنئا بالعافية معفيا من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله». وظاهر أن رواية العقد أوفق من رواية الأصل غير أن فيها كلمة «يحب» نابية، ولعل أصل العبارة: وكيف بمن يحب الخ أو نحو ذلك.

وقال عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيرِىّ :

ما لى مَرِضتُ فلم يَعُدْنى عائد * منكم ويمـرَضُ كلبكم فأعـودُ

فسُمِّى «عائدَ الكلب» ، وولدُه الآن يسمَّوْن «بنى عائد الكلب» .

التعازى وما يُتَمَثَّل به فيها

٥ حدّثنى محمد بن داود عن غسّان بن الفَضْل قال قال عبد الوهاب الثَّقفِىّ : أتانى ٱبن جُرَيج بمكة يُعَزِّينى عن بعض أهلى، فقال : إنه مَنْ لم يَسْلُ أهلَه إيمانًا وٱحتسابا سلا كما تسلُو البهائم .

كتب إبراهيم بن يحيي الأَسْلمىّ إلى المهـدىّ يعزِّيه عن ٱبنته : أما بعـد، فإن أحقَّ مَنْ عرَف حقَّ اللهِ فيما أَخَذ منه من عَظَّم حقَّ الله عليه فيما أَبْقى له .

١٠ وٱعلم أنّ المـاضى قَبلَك هو البـاقى بعـدك ، وأنّ أجر الصـابرين فيما يُصابون به أعظم عليهم من النعمة فيما يُعَافَوْن منـه .

ونحوه قول سهل بن هارون : التهنئةُ على آجل الثواب ، أولَى من التَّعْزِية على عاجلِ المصيبة .

وقال بعض الشعراء :

١٥ كَمْ مِنْ يدٍ لا يُسْتَقَلُّ بشكرها * لِلهِ فى ظِلِّ المَكارهِ كامِنـهْ

وسقطت مَقاديمُ فم معاوية فشَقّ ذلك عليه، فقال له يزيد بن مَعْمَر السّلَمىّ : والله يا أمير المؤمنين، ما بلغ أحدٌ سِنَّك إلا أبغض بعضُه بعضًا، ففُوك أهونُ علينا من سمعك وبصرك .

وقال صالح المُرِّىُّ لرجلٍ يعزِّيه : إن لم تكن مصيبتُك أحدثتْ فى نفسك مَوْعِظةً فمصيبتُك بنفسك أعظم . ونحوه : شرٌّ من المرْزِئة سوءُ الخلف عنها . ومثله قول الشاعر :

إن يكن ما به أُصبتَ جليلًا * فلَفَقْدُ العزاء فيه أجلّ

عَزَّى شَبِيبُ بن شَيْبة المَهْدِىَّ عن بانُوقة[1]، فقال : يا أمير المؤمنين، ما عند الله خير لها مما عندك، وثوابُ الله خيرٌ لك منها . ٥

عزَّى رجلٌ عبدَ الله بنَ طاهر عن ابنته فقال : أيها الأمير، ممّ تجزع ؟

* الموتُ أكرمُ نزّال على الحُرَمِ *

وقال جرير :

وأهونُ مفقودٍ اذا الموتُ ناله * على المرء مِنْ أصحابه من تَقَنَّعَا ١٠

وقال آخر :

ولم أرَ نعمةً شَمِلتْ كريمًا * كنعمة عورةٍ سُترت بقبرِ

وعزَّى رجل رجلا فقال : لا أراك الله بعد هذه المصيبة ما يُنسيكها .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز :

تعزَّ أميرَ المؤمنين فإنه * لِمَا قد ترى يُغْذَى الصغيرُ ويولَدُ ١٥

هَل ابنُك إلّا من سُلالةِ آدمٍ * لكلٍّ على حوض المنيّةِ مَوْرِدُ

عزّى أبو بكر عمرَ رضى الله عنهما عن طفل أُصيب به ، فقال : عوّضك الله منه ما عوّضه منك .

وقال محمودُ الورّاق :

يمثّل ذو اللبّ فى نفسه * مصائبَه قبل أن تنزلَا ٢٠

---

(١) بانوقة : بنت كانت للمهدىّ .

فإن نزلتْ بغتـــةً لم تَرُعْه * لِمَـا كان فى نفسه مثّــلا
رأى الهمَّ يُفْضِى الى آخرٍ * فصـــيَّر آخره أوّلا
وذو الجهـــل يأمَنُ أيامَه * ويَنْسَى مصارعَ من قدخلا
فإن بدَهَتْهُ صروفُ الزمانِ * ببعض مصائبــه أعْوَلا
٥ ولو قــدَّم الحزمَ فى أمره * لعلّمه الصــبرَ عنــد البَلا

عزَّى موسى بنُ المهدىّ سليمانَ بنَ أبى جعفر عن آبنٍ له، فقال: أَيَسُرُّك وهو بليَّة وفتنة، ويُحْزِنك وهو صلاة و رحمة!.

وعزَّى رجل موسى بنَ المَهْدِىّ عن آبن له فقال: كان لك من زِينة الحيـاةِ الدنيا، وهو اليومَ من الباقياتِ الصالحات.

١٠ توفّى سُهَيل بن عبد العزيز بن مروان، فكتب الى عمر بنِ عبد العزيز بعضُ عمّاله وأَطْنب فى كتابه؛ فكتب اليه عمر:

حَسْبِى حياةُ الله من كلّ ميّتٍ[1] * وحسبِى بقاءُ الله من كلّ هالك
إذا ما لَقِيتُ اللهَ عـنِّى راضياً * فإنّ شفاءَ النفس فيما هنـالك

كتب آبنُ السَّمَّاك الى الرشيد يعزّيه بآبنٍ له[2]: أما بعدُ، فإن آستطعتَ أن يكون ١٥ شـكرُك لله حين قبضَــه أكثر من شكرِك له حينَ وهبه[3]، فإنّه حينَ قبضه أحرَز لك هِبتَه، ولو سلِم لم تَسْلَم من فِتْنته؛ أرأيتَ حزَنك على ذهابه وتلهُّفَك لفراقه! أَرضيتَ الدارَ لنفسك فترْضَاها لآبنــك! أمّا هو فقد خلَص من الكدر، وبقِيتَ أنت معلَّقا بالخَطَر. وآعلم أن المصيبةَ مصيبتان إن جزِعْتَ، وإنمـا هى واحدة إن صبرت، فلا تجمَع الأمرين على نفسِك.

٢٠ (١) دخله الخرم وهو حذف فاء فعولن. (٢) كذا فى الأصل ولعله «يعزيه عن ابن له». (٣) حذف هنا الجواب وهو مفهوم من سياق الكلام.

كتب عبدُ الله بن طاهر إلى أبي دُلَف : المصائب حالَّةٌ لابدّ منها ، فمنها ما يكون رحمة من الله ولطفا بعبده، وآيةُ ذلك أن يوفّقه للصبر ويُلْهِمَه الرضا ويَبْسُطَ أملَه فيما عنده من الثواب الآجل والخلف العاجل . ومنها ما يكون سُخْطا وآنتقاما، أوّله حُزْن وأوسطُه قُنُوط وآخرُه ندامة،وهي المصيبةُ حقًّا الجامعةُ لخُسْران الدنيا والآخرة . ولم تَزَلْ عادةُ الله عندك الإخلافَ والإتلاف . وإن يَكُ ما نالك الآن أعظمَ مما أتى عليك في مَوَاضِي الأيام، فالأجرُ المأمولُ على قدر ذلك .

وكتب أبو دُلَف اليه : إن تكن المصيبةُ جلّتْ ،فإنّ فيما أكرمني الله به مِنْ جَميل رأيِ الأمير وما وضح للناس من فضل عنايته وآبتدائه[1] إيّايَ بكُتُبه، ما عجّل العِوضَ من المفقود .

وفي كتاب آخر: لئن كانت المصيبة جلَّت، إن فيما أبقى الله ببقاء الأمير عِوضا وافيا وخَلَفا كافيا . وحقيقٌ بمن عظُمت النعمةُ عليه فيما أبقى الله أن يَحْسُن عَزَاؤُه عما أُخِذ منه . وأحقُّ ما صُبِر عليه ما لا يُستطاع دفعُه .

وقرأت في كتابٍ لبعض الكُتّاب في تَعْزِيةٍ : أسأل الله أن يَسُدّ بك ما ثلمتِ الأيامُ من مكانه، ويعمّر ما أَخْلتْ من مَشاهِده وأوطانه حتى لا يعْفُوَ الدائر، وأن يَسْتَقبِلَ لكم أيّامكم بأحسنِ ما أَمْضاها لمن مضَى منكم، فيجعلكم الخَلَفَ الذي لا وحشةَ معه ولا وحشةَ عليه، ويتولّاكم ويتولانا فيكم بما هو أهله ووليُّه .

وقرأت في كتابِ تَعْزِيةٍ : لا لومَ على دمعةٍ لا تُملَك أن تَسْفَحها، ولا على ألمٍ في القلب لا يُدْفع أن يظهرَ فيك، ولا عذر في سواهما مما أَحْبَط أجرَك وأَشْمت عدوّك وضعَّف رأيَك، ولم يرجع إليك فائتا ولا الى شقيقك بمكانه رُوحًا ولا الى من خلَّف

(١) في الأصل : « ... وما وضح للناس فإن فضل عنايته وابتدايته إياي ...الخ » .

حفظا . واعلم أن فرقَ ما بين ذى العقلِ وذى الجهل فى مصيبتهما تعجُّل العاقلِ من الصبر ما يتأجّل الجاهلُ .

وقرأتُ فى كتاب تعزية : لو كانت النوائب مدفوعة عن أحدٍ بكثرة مَنْ يَقِيه ذلك من إخوانه ويَفْدِيه منه بالأخَصّ من أَعِزّته والأنفَسِ من ماله ، سلِمْتَ من مُلِمِّها ، وكان سَبْقِى الى ذلك أبرزَ سَبْق ، وحظّى بالتقدّم فيه أوفرَ حظّ .

وقرأت فى كتاب : مصيبتُك لى مصيبةٌ ، وما نالك من ألمها لى مُوجِع . ولو كان فى الوُسْع أن أعلم كُنْهَ ما خامر قلبَك من ألمِها لحَمَلتُ مثلَه على نفسى ، فإنى أُحِبّ أن أكون أُسْوتَك فى كل سارٍ وغامٍّ ، وألّا أتمتّعَ بأيام غُمُومِك ، ولا أقصّرَ فيها عن مقدار حالك .

وقرأت فى كتاب : نسأل الله حسنَ الآستعدادِ لما نتوكّفُه(١) ونتوقّع حلولَه ، وألّا يَشْغَلَنا بما يَقِلُّ الآنتفاعُ به وتَعْظُمُ التَّبِعةُ فيه عمّا نحتاجُ اليه يومَ تجد كلُّ نفس ما عَمِلت من خيرٍ مُحْضَرا ، وما عمِلتْ من سُوءٍ تَودّ لو أنّ بينَها و بينَه أمدًا بعيدا ، وأن يجعل ما وهب لنا من الصبر والعزاء إيمانًا و إيقانا ، ولا يجعلَه ذُهُولًا ونِسْيانا .

قال أسماءُ بنُ خارِجة اذا قَدُمتِ المصيبةُ تُرِكت التعزية ، واذا قدُم الإخاء قَبُح الثناء .

قيل لأعرابية مات آبنها : ما أحسن عزاءَك ! فقالت : إن فَقْدِى إياه أمّننى من المصيبةِ بعده . ونحوه قول الشاعر(٢) :

وكنتُ عليه أحذَر الموتَ وحدَه * فلم يبق لى شىء عليه أُحاذِر

(١) نتوكفه : نتوقعه . (٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، وهذا البيت من أبيات قالها فى محمد الأمين ، وقبل هذا البيت :

طوى الموت ما بينى و بين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر

ومثـــله :

وقد كنتُ أستعفِى الإلٰه اذا اشتكَى * من الأجرِ لى فيه و إن سرّنى الأجرُ

وقال أبو العَتاهِيَة :

وكما تبْـــلى وجوهٌ فى الثَّرَى * فكذا يبـلَى عليهن الحَـزَنْ

وفى الحديث : "مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه"(١).

ويقال : المصيبة المُوجِعة تُدِرّ ذِكْرَ الله فى قلب المؤمن .

قال الأصمعى : مررتُ بأعرابيـة وبين يديها فتىً فى السِّيَاق(٢)، ثم رجعتُ ورأيتُ فى يدها قدَح سوِيق تشربه ، فقلت لهـا : ما فعل الشابّ ؟ فقالت : وارَيْناه ؛ فقلت : فما هذا السَّوِيق ؟ فقالت :

على كلِّ حالٍ يأكل القومُ زادَهم * على البؤس والبَـلْوَى وفى الحَدَثانِ

قيـل لأعرابىّ : كيف حزنُك اليوم على ولدك؟ فقـال : ما ترك حبُّ الغَدَاء والعَشَاء لى حزنا .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنما الجَزَعُ قبلَ المصيبةِ ، فإذا وقعتْ فالْهُ عمّا أصابك .

اِشتكى بعضُ أهل محمد بن علىّ بن الحسين فجَزِع عليه ، ثم أُخبِر بموته فسُرِّىَ عنه ؛ فقيل له فى ذلك ، فقـال : ندعو الله فيما نحبّ ، فإذا وقع مانكره لم نخالف الله فيما أَحبّ .

لمـا مات عُتْبة بن مسعود قال عبد الله : إذا ما قضَى اللهُ فيه ماقضى فما أُحبُّ أنّى دعوتُه فأجابنى .

---

(١) يصب منه : يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها . (٢) السياق : نزع الروح كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

قال رجل من طيِّئ :

فلولا الأُسَى(١) ما عِشتُ فى الناس ساعةً * ولكن إذا ما شئتُ أسعَدنِى مِثـلِى

وقال آخر :

إذا أنت لم تَسْلُ ٱصطبارًا وحِسْبةً * سلوتَ على الأيام مثلَ البهائم

٥ عزّى محمدُ بن الوليد بن عُتْبة الوليدَ بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين، لِيَشْغَلْكَ ما أقبل من الموت اليك، عمن هو فى شُغُل(٢) مما دخل عليك، وأَعِدْ لنزوله عُدّة تكون لك حجابا من الجزع وسترًا من النـار . فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيتَ غَفْلة تُنبّه عليهـا ولا جزعًا يُستَر منه، وما توفيقى إلا بالله. فقال محمد : يا أمير المؤمنين، إنه لو ٱستغنى أحدٌ عن مَوْعظةٍ بفضلٍ لكُنْتَه، ولكنّ الله يقول : ﴿ وَذَكِّرْ فإنّ

١٠ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الطائىّ :

ويفـرَح بالشىء المُعَـارِ بقـاؤه * ويحـزن لمـّا صار وهو له ذُخْرُ

عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبَسٌ * فإنّ ٱبنَك المحمودَ بعد ٱبنِك الصَّبرُ

وقال أيضا :

١٥ أمالِكُ إنّ الحـزنَ أحلامُ نائمٍ * ومهما يَدُمْ فالوجدُ ليس بدائم

تأمّلْ رُوَيْدًا هل تَعُدَّنَّ سالمـًا * الى آدمٍ أم هل تَعُدُّ ٱبنَ سالم

وقال آخر :

اِصبِرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجـلَّدِ * وٱعلم بأن الدهر غيرُ مخـلَّدِ

---

(١) الأسى : جمع أسوة (بالضم ويكسر) وهى ما يتعزى به الحزين . (٢) كذا فى الأصل

٢٠ ولعله : «عما» .

أوَ ما تَرى أنّ الحوادثَ جمّةٌ * وتَرى المنيةَ للعباد بمَرْصَدِ
واذا أتتْك مصيبةٌ تَشْجَى بها * فاْذكر مُصابَك بالنبيّ محمدِ

عزّى رجل الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين، كان لك الأجرُ لا بك، وكان العزاءُ منك لا عنك .

يعزّى أهلُ نَجْرانَ بعضُهم بعضًا بهذا الكلام : لا يُحْزِنْكم الله ولا يَفْتِنْكم، أثابكم الله ثوابَ المتّقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة .

عزّى بعضُ الزُّبَيْرِيِّين رجلا فقال : لا يَصْفَرْ(١) رَبْعُك ، ولا يُوحِشْ بيتك ، ولا يَضِعْ أجرُك ، رحِم الله متوفّاك ، وأحسن الخلافةَ عليك .

قال بعض الشعراء :

أسُكّانَ بطنِ الأرض لو يُقْبَلُ الفِدَى * فَدَيْنا وأعطينا بكم ساكنَ الظهر
فياليت مَنْ فيها عليها وليت مَنْ * عليها ثوى فيها مقيمًا الى الحَشْرِ
وقاسمنى دهرِى بَنِيَّ بشَطْرِه * فلما توفّى شطرَه مال فى شَطْرِى
فصاروا ديونا للمنايا ومن يكن * عليه لها دين قضاه على عُسْرِ
كأنّهمُ لم يعرِف الموتُ غيرَهم * فثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قبرِ
وقد كنتُ حىّ الخوفِ قبلَ وفاتهم * فلما تُوُفُّوا مات خوفى من الدهرِ
فلله ما أعطى ولله ما جزى * وليس لأيام الرَّزِيّة كالصبرِ
فَحَسْبُك منهم مُوحِشًا فقدُ بِرِّهم * وحَسْبُك منهم مُسْلِيًا طلبُ الأجرِ

عزّى شَبيبُ بن شَيْبة رجلا من اليهود فقال : أعطاك الله على مُصيبتك أفضل ما أعطى أحدًا من أهل مِلّتك .

---

(١) لا يصفر : لا يخلو .

وقال العُتْبِيّ :

ما عالج الحزَنَ والحرارةَ فى الـ * أحْشـاءِ مَنْ لم يَمُتْ له ولدُ
فُجعتُ بابنىَّ ليس بينهمـا * إلا ليالٍ ليستْ لهـا عـدَدُ
وكلُّ حزنٍ يَبْلَى على قِدمِ الـدَّهرِ وحُـزنِى يُجِدُّه الأبدُ

٥ وقال أيضا :

ألا يَزْجرُ الدهرُ عنا المَنُونا * يُبَقِّى البنـاتِ ويُفْنِى البنينا
وأنْحَى عـلىَّ بِلا رحمـةٍ * فلم يُبْقِ لى فى جُفونى جفونا
وكنتُ أبا سبعةٍ كالبدورِ * أُفَقِّى بهـم أعينَ الحاسدينا
فمـرُّوا على حادثاتِ الزمان * كمَـرِّ الدراهـمِ بالناقدينا
١٠ فأفْنتهـمُ واحدًا واحـدًا * الى أن أبادتهمُ أجمعينا
وألْقَيْنَ ذاك الى ضارحٍ (١) * وألْقَيْنَ هـذا الى دافِنينا
وما زال ذلك دأْبَ الزما * ن يُفْنِى الأوائلَ فالأولينـا
وحـتّى بكى لىَ حُسّـادُهم * فقد أقْرحُوا بالدموعِ الجفونا
وحَسْبُك من حادثٍ بآمرئ * تَرَى حاسـدِيه له راحمينـا
١٥ وكـانوا على ظهرها أنجُماً * فأضْحَوْا الى بطنهـا يُنْقَلونا
فمن كان يُسْليه مَرُّ السنين * فحُزْنِى يجدِّده لى السـنونا
وممـا يسكِّن وجدِى بهـم * بأن المَنُونَ ستَلْقَى المنونا

كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عزَّى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبةٌ ولامع الجزع فائدة، الموت أهون مما قبله وأشدُّ مما بعده، اذكروا فقدَ رسول الله صلى الله ٢٠ عليه وسلم تَصْغُرْ مصيبتُكم، وعظَّم الله أجركم .

---

(١) الضارح : وصف من ضرح للميت اذا حفر له .

وكان على رضى الله عنه إذا عزّى رجلا يقول : إن تَجْزَعْ فأهلُ ذلك الرَّحِمُ، وإن تصبِرْ ففى الله عِوَضٌ من كل فائتٍ؛ وصلى الله على محمد، وعظّم الله أجرَكم .

وقال أعرابىّ :

أَيُغسَل رأسِى أو تَطِيبُ مَشَارِبِى * ووجهُك معفورٌ وأنت سَليبُ

نَسيبُك من أمسى يُناجِيك طرفُه * وليس لمن وارَى الـتراب نَسيبُ ٥

وإنى لأستحيي أخى وهو ميّتٌ * كما كنتُ أَسْتحيِيه وهو قريبُ

وقال أعرابىّ :

وما نحن إلا مثلُهم غيرَ أننا * أقمنا قليلاً بعدهم وتقـدّموا

وقال آخر :

وقد كنتُ أستعفى الإله إذا اشتكى * من الأجرِ لى فيه وإن سرَّنى الأجرُ ١٠

وأجزع أن يَنْأَى به بَيْنُ ليـلةٍ * فكيف ببَيْنٍ صار مِيعادَه الحشرُ

وقال آخر :

وإنّا وإخواناً لنا قد تتابعوا * لكالمغتـدِى والرائح المتهجِّرِ

وقال سليمان الأعجمىّ :

ربّ مغروسٍ يُعاش به * عَدِمتْـه كفُّ مغترِسِهْ ١٥

وكذاك الدهر مأتمُـه * أقربُ الأشياءِ من عُرُسِهْ

وتمثّل معاويةُ بن أبى سفيان يوما فقال :

إذا سار مَنْ خلفَ آمرئٍ وأمامَه * وأَوْحش من جيرانه فهـو سائرُ

وقال آخر :

و إذا قيل مات يوماً فلانٌ * راعنا ذاك ساعةً ما نُحِـيرُ
نذ كُرالموتَ عندذاك ونَنْسا * ه اذا غيَّبتْه عنا القبــورُ

وقال آخر :

نُراع من الجنائز قابلْتنا * ونلهـو حين تَخْفَى ذاهباتِ
كَرَوْعةِ ثَلَّةٍ(١) لمُغَـارِ سـبع * فلمـا غاب ظلَّت راتعاتِ

وقال أبو نواس :

سبقونا الى الرَّحيـ * ـلِ و إنّا لبالأَثَرْ

وكتب رجل الى بعض الأمراء فى تعزية : الأمير أَذْكَرُ لله من أن يُذَكَّر به ، وأعلَمُ بما قضَاه على خلقه من أن يُدَلَّ عليه ، وأسلكُ لسبيل الراشدين فى التسليم لأمره والصبر على قَدَره والتنجُّز لوعده ، من أن يُنَبَّه من ذلك على حظّه ، أو أن يَحْتاج معزِّيه عند حادثِ المصيبة الى أكثرَ من الدعاء فى قضاء حقّه . فزاده الله توفيقاً الى توفيقه ، وأَحْضره رشدَه ، وسدّد للصواب غرضَه ، وتولّاه بالحُسْنى فى جميع أموره ، إنه سميعٌ قريب . وقد كان من حادث قضاء الله فى المتوفَّى ما أَنْقَضَ(٢) وأَرْمض ، وفجَع وأَوْجع ، علما بما دخل على الأمير من النقص ، وعلى سروره من اللوعة ، وعلى أُنْسه من الوحشة ، الى ما خصَّنِي منـه بماسِّ الرَّحِم وأوشَجِ القَرَابة . فأَعْظم اللهُ للأمير الأجر ، وأَجْزل له الذُّخر ، وعصَـمه باليقين ، وأنجزله ما وعد الصابرين ؛ ورحِم المتوفَّى ولقَّاه الأمنَ والرَّوْح ، وفسح له فى المَضْجَع ، وجمَعـه و إيّاه(٣) بعد العمر الطو يل فى الدار التى لا خوفٌ عليهم فيها ولا هم يحزنون .

---

(١) الثلة (بالفتح) : جماعه الغنم الكثيرة ، والثلة (بالضم) جماعة الناس . (٢) أنقض : أثقل وأرمض : أوجع . (٣) فى الأصل : «وجمع له و إياه» .

وفى كتاب : نحن نحمَدُ اللهَ أيها الأمير إذ أخَذ[1] على ما أبْقَى منك، وإذ[1] سلَب على ما وهَب بك، فأنت العِـوَض من كل فائت، والجابر لكل مصيبة، والمؤنِس من وَحْشة كلّ فَقْد، وحقٌّ لمن كنت له وليًّا وعَضُدًا أن يَشْغَله حمدُ الله على النعمة بك عن الجزع على غيرك .

٥ وكتب سَعيد بن حُميد الى محمد بن عبد الله : ليس المعزِّى على سـلوك السبيل التى سلَكها النـاسُ قبله والمُضِىّ على السنّة التى سنّها صالحو السلف له ؛ وقد بلغنى ما حدث من قضاء الله فى أمّ الأمير، فنالنى من ألم الرَّزِيّة وفاجع المصيبة ما ينال خَدَمَه الذين يخصُّهم ما خصّه من النعم، و يتصرفون معه فيما تناوله اللهُ به من المِحَن. فأعظم الله للأمير الأجر، وأجزل له المثوبة والذخر، ولا أراه فى نعمةٍ عنده نقصا، ووفّقه

١٠ عنـد النعم للشكر الموجِب للزيد، وعنـد المِحَن للصبر المحرز للثواب، إنه هو الكريم الوهاب. ورحم الله المـاضيةَ رحمةَ مَنْ رضِىَ سعيَه وجازاه بأحسن عمله . ولو كانت السبيل الى الشـخوص الى باب الأمير سهلة ، لكان الله قد أجلّ الأمـيرَ عن أن يعزّيه مثـلى بالرسول دون اللقاء، و بالكتّاب دون الشِّفَاه، ولكن الكتاب لقاءُ مَنْ لا سبيل له الى الحركة، وقبول العذر عمَّن حِيل بينه و بين الواجب .

١٥ ولابن مكرم : ومما حرّكنى للكتّاب تعزيتُك بمن[2] لا ترميك الأيامُ بمثل الحادث فيه، ولا تعتاض مما كان الله جمعه لك عنده من الميل اليك والصبر على مكروه جفائك، مع ما كان اللهُ أعاره من قوة العقل وأَصالة الرأى، ومدّ له من عِنانه الى قُصْوَى الغايات، فإنا لله و إنا اليه راجعون على ما أفاتتْنا الأيامُ منه حين تمّ واستوى، وغالَى فى المروءة وتناهى، وعند الله يُحتسب المصاب به، وعظّم الله لك فيه الأجر، ومهّل لك فى العمر،

(١) فى الأصل : «إذا» .   (٢) لعله «عمن» .

٢٠

وأجزل لك العوض والذُّخر. فكلّ ماضٍ من أهلك فأنت سِدَادُ ثُلمته وجابر رزيّته.
وقد خلّف من أنت أحقُّ الناس به من عجوزٍ وليتْ تربيتك وحِياطتَك فى طبقات
سِنّك، وولَدٍ رُبُوا فى حِجْرك ونبَتوا بين يديك، ليس لهم بعد الله مرجع سواك، ولا
مَقيل إلا فى ذَرَاك؛ فأَنْشُدك اللهَ فيهم فإنه أَحْرب أحوالَهم بِعِمارة مروءته، وقطَعهم
٥ بصلة فضله، والله يَجْزيه بجميل أثره ويُخْلِفه فيهم بما هو أهله.

وفى فصل من كتاب: وقد جرى قضاءُ الله فى هذه النازلة ما نطق عما[1] نالك
وأَبْقَ عندك، وهو حقُّ مِثْلِها وقَدْر مُلِمِّها.

وفى فصل آخر: لو كان ما يَمَسُّك من أذى يُشترى أو يُفتدى، رجوتُ أن أكون
غيرَ باخلٍ بما تَضَنُّ به النفوس، وأن أكون سِترًا بينك وبين كل مُلِمٍّ ومحذورٍ.
١٠ فأَعْظم الله أجرَك، وأَجْزل ذُخْرك، ولا خذَل صبرك ولا فتَنك؛ ولا جعل للشيطان
حظًّا فيك ولا سبيلا عليك.

المدائنى قال: قدِم رجل من عَبْسٍ، ضَريرٌ محطوم الوجه، على الوليد؛ فسأله
عن سبب ضُرّه، فقال: بِتُّ ليلةً فى بطن وادٍ ولا أعلم على الأرض عبسيًّا يزيد مالُه على
مالى، فطرَقنا سيلٌ فأذهب ما كان لى من أهلٍ ومالٍ وولد إلا صبيًّا رضيعا وبعيرا صعبًا،
١٥ فندّ[2] البعيرُ والصبىُّ معى فوضعتُه وٱتَّبَعْتُ البعيرَ لأحبِسه، فما جاوزتُ إلّا ورأسُ
الذئب فى بطنه قد أكله، فتركتُه وأتْبَعْتُ البعيرَ، فٱستدار فرمَحنى رَمْحةً حطَم بها وجهى
وأذهب عينى، فأصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا ولد. فقال الوليد: ٱذهبوا به إلى عُرْوة
ليعلمَ أن فى الناس من هو أعظم بلاءً منه؛ وكان عروة بن الزُّبَير أُصِيب بٱبنٍ
له وأصابه الداء الخبيث فى إحدى رجليه فقطعها، فكان يقول: كانوا أربعة —

---

٢٠ (١) لعله: «بما». (٢) ندّ البعير: شرد.

يعنى بنيه — فأبقيتَ ثلاثة وأخذتَ واحدا، وكُنَّ أربعا — يعنى يديه ورجليه — فأخذتَ واحدة وأبقيتَ ثلاثاً. أحمدُك(١)، لئن كنتَ أخذتَ لقد أبقيت، ولئن كنتَ أبقيت لقد عافيتَ. وشخص الى المدينـة فأتاه الناس يبكون ويتوجّعون، فقال: إن كنتم تَعـدُّونني للسِّباق والصِّراع فقد أوْدَى، وإن كنتم تعـدُّونني للّسان والجاه فقد أبقى الله خيرا كثيرا.

وقال علىّ بن الجَهْم :

مَنْ سبَق السَّلوةَ بالصبرِ * فاز بفضل الحمـدِ والأجرِ

يا عَجبًا من هَلِعٍ جازعٍ * يُصبح بين الذمّ والوِزْرِ

مصيبةُ الإنسان فى دِينـه * أعظمُ من جائحة الدهرِ

وقال بعض(٢) الشعراء :

ليتَ شعرى ضَلَّةً * أىُّ شىءٍ قتَلَكْ

والمنايا رَصَـدٌ * للفتى حيث سلَكْ

كُلُّ شىء قاتلٌ * حين تلقَى أجلَكْ

ليت نفسى قُدِّمتْ * للمنايا بَـدَلَكْ

أىُّ شىءٍ حسَنٍ * للفتى لم يَكُ لكْ

وقال آخر :

غُرَّ آمرؤٌ منّتْه نفـ * ـسُ أن تدومَ له السلامَهْ

هيهاتَ! أعيا الأوّلِيـ * ـن دواءُ دائك يادِعامه

(١) فى الأصل : «ثلاثة» باثبات التاء . (٢) كذا بالأصل . وفى شرح أشعار الحماسة (ص ٤١٤ طبعة أوروبا) أن هذه الأبيات لأم تأبط شرّا، ويقال لأم السليك بن السلكة، وأوّلها :

طاف يبغى نجوة * من هلاك فهلك

ورجح التبريزى فى نهاية الأبيات أنها لأم السليك وذكر لهذا خبرا .

وقالت صفيّة الباهليّة فى أختها :

كنّا كغصنين فى جُرْثومةٍ[(١)] سَمَوا * حِينًا بأحسنِ ما تسمُو له الشجرُ

حتّى إذا قيل قد طالتْ فروعُهما * وطاب قِنْواهما[(٢)] وآستُنْظِرَ الثمـرُ

أخنى على واحدى ريبُ الزمانِ ولا * يُبقِي الزمانُ على شىءٍ ولا يَذَرُ

٥ كنّا كأنجـمِ ليـلٍ وَسْـطَنا قمـرٌ * يجلو الدُّجى فهوى من بيننا القمرُ

ومن هذا أخذ الطائىّ قوله :

كأنّ بنى نَبْهانَ يومَ وفاته * نجومُ سماءٍ خرّ من بينها البـدرُ

وقال آخر :

لكلّ أُناسٍ مَقْبرٌ[(٣)] بفنائهـم * فهم ينقُصون والقبورُ تَزِيدُ

١٠ وما إن يزالُ رسمُ دارٍ قد آخلقتْ * و بيتٌ لميّتٍ بالفِنـاء جديدُ

هُمُ جِيرةُ الأحياء أمّا جِوارُهم * فدانٍ وأمّا الملتقَى فبعيـدُ

وقال آخر :

لا يُبعِد اللهُ أقوامًا لنـا ذهبُوا * أفنـاهمُ حَدَثانُ الدهرِ والأبدُ

نَمُدُّهم كلّ يومٍ من بقيّتنا * ولا يَؤُوبُ الينـا منهـمُ أحدُ

١٥ وقال النابغة :

حَسْبُ الخليلَينِ أنّ الأرضَ بينهما * هـذا عليها وهــذا تحتها بالِى

وقال آخر :

وقد كنتُ أرجُو أن أُمَلَّاكَ[(٤)] حِقْبةً * فحال قضاءُ الله دون رجائيـا

ألا لِيَمُتْ مَنْ شاءَ بعدَك إنما * عليك من الأقدارِ كان حِذارِيا

---

٢٠ (١) جرثومة الشىء : أصله . (٢) القنو : العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .

(٣) المقبر : موضع القبور . (٤) أملاك : أمتع بك، يقال : ملاك الله حبيبك أى متعك به وأعاشك معه طويلا .

وقال آخر :

لَعَمْرُك ما وارَى التراب فِعالَهُ * ولكنه وَارَى ثيابا وأعظُما

فَضَالةُ بن شَرِيك[١] :

رمى الحِدْثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ * بفادحةٍ سَمَدْنَ[٢] لها سُمُودا

فردّ شعورهنّ السودَ بِيضًا * وردّ وجوههن البِيضَ سُودا

وقال آخر :

أمّا القبورُ فإنّهنّ أوانِسٌ * بجِوارِ قبرِك والديارُ قبورُ

عمّتْ مصيبته فعمّ هلاكُه * فالناسُ فيه كلُّهم مأجورُ

ردّتْ صنائعُه[٣] عليه حياتَه * فكأنه من نَشْرِها منشورُ

منصور النَّمَرِيّ :

فإنْ يكُ أفنته الليالِي فأوشكتْ * فإنّ له ذكرًا سيُفْنِي اللياليَا

وقال طُفَيْلٌ يذكر الموت :

مَضَوْا سَلَفًا قصدُ السبيل عليهم * وصَرْفُ المنايا بالرجال تَقَلَّبُ

وقال هشام أخو ذى الرُّمَّة :

تَعَزَّيتُ عن أوفَى بغَيْلانَ بعده * عزاءً وجفنُ العينِ مَلآنُ مُتْرَعُ

ولم تُنْسِنِي أوفَى المصيباتُ بعده * ولكنّ نَكْءَ[٤] القَرح بالقرح أوجعُ

(١) نسب هذا الشعر فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٥ طبعة دار الكتب) للكميت بن معروف الأسدى. ونسب فى شرح أشعار الحماسة (ص ٤٢٧ طبعة أوروبا) وشرح القاموس مادة سمد لعبد الله بن الزبير الأسدى.

(٢) السمود : الغفلة وذهاب القلب ومنه قوله تعالى : (وأنتم سامدون) أو هو تغير الوجه من الحزن كأنه أصابها السهاد. وقيل معناه رفعن رءوسهن ينحن. (٣) كذا فى نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٧٨ طبع دار الكتب المصرية) وهو الذى يستقيم به معنى الشعر. وفى الأصل : «إلى». (٤) النكء : مصدر نكأ القرحة اذا قشرها قبل أن تبرأ فنديت.

وفى فصل من كتاب لبعض الكتّاب : لست أحتاج مع علمك بما فى الصبر عند نازل المصيبة من الفضيلة، وما فى الشكر عن حادث(١) النعمة من الحظ، الى أكثر من الدعاء فى قضاء الحقّين، ولا إلى إخبارك عمّا أنا عليه من الأرتماض(٢) لضرّائك والجَذَلِ بسرائك، لمعرفتك بشركتى لك واتصال حالك بى فى الأمرين .

٥

التهانى

حدّثنى زيد بن أَخْزَم(٣) قال حدّثنا أبو قُتَيبة قال حدّثنا ميمون [قال] حدّثنا أبو عبد الله النّاجِى قال : كنت عند الحسن ، فقال رجل : لِيَهْنِئْكَ الفارسُ ؛ فقال : لعله يكون بَغّالا(٤) ، ولكن قل : شكرتَ الواهبَ ، وبُورك لك فى الموهوب ، وبلغ أَشُدّه ، ورُزِقتَ بِرّه .

قال مُجاهِد : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا دعا لمتزوّج قال : "على اليُمْن والسعادة والطير الصالح والرزقِ الواسع والمودّة عند الرحمن" .

١٠

قال أبو الأسود لرجل يهنّئه بتزويج : باليمن والبركة ، وشدّة الحركة ، والظفر فى المعركة .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَنْهَى أن يقال : « بالرِّفاء والبنين » .

وكان يقال : إن أوّل مَنْ هنّأ وعزّى فى مَقامٍ واحد عَطَاءُ بن أبى صَيْفِىٍّ الثّقفى ، عَزّى يزيدَ بنَ مُعَاوية بأبيه وهنّأه بالخلافة ، ففتح للناس بابَ الكلام ، فقال : أصبحتَ رُزِئتَ خليفةً وأُعطيتَ خلافةَ الله . قضى معاويةُ نحبه ، فغفر الله ذنبه ؛ ووَلِيتَ الرياسة ، وكنتَ أحقَّ بالسياسة ؛ فاحتسبْ عند الله أعظمَ الرزيّة ، واشكر الله على أعظم العطيّة . وعَظّمَ اللهُ فى أمير المؤمنين أجرَك ، وأحسنَ على الخلافة عَوْنَك .

١٥

وقالت أعرابيّة للمنصور فى طريق مكة بعد وفاة أبى العبّاس : أعظم الله أجرَك فى أخيك ، لا مصيبةَ على الأمة أعظمُ من مصيبتك ، ولا عِوَضَ لها أعظمُ من خِلافتك .

(١) لعله : « عند » . (٢) الارتماض : الحزن . (٣) أخزم بمعجمتين .

٢٠

(٤) البغال : راكب البغال ، والبغال تعجز عن شأو الأفراس .

قال الحجّاج لأيّوبَ بن القِرِّيّة: اخطُبْ عليّ هندَ بنتَ أسماء، ولا تَزِدْ على ثلاث كلمات. فأتاهم فقال: أتيْتُكم من عند مَنْ تعلمون، والأميرُ مُعطيكم ما تسألون، أفتُنْكِحون أم تَرُدّون[1]؟ قالوا: بل أنكحْنا وأنعمْنا. فرجع ٱبنُ القِرِّيّة الى الحجّاج فقال: أقرّ الله عينكَ، وجمَع شملَك، وأنبت رَيْعَك، على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات، جعلها الله وَدُودا وَلُودا، وجمع بينكما على البركة والخير.

كتب بعضُ الكُتّاب إلى رجل يهنئه بدار انتقل إليها: بخير مُنْتَقَلٍ، وعلى أيمنِ طائر، ولأَحْسنِ إبّان، أنزلك الله عاجلاً وآجلاً خيرَ منازلِ المُفْلِحين.

وقال ٱبن الرِّقاع لمتزوّج:

قمرُ السماء وشمسُها ٱجتمعا * بالسَّعدِ ما غابَا وما طَلَعَا
ما وارتِ الأستارُ مثلَهما * فيمن رأيناه ومَنْ سُمِعَا
دام السُّرور له بها ولها * وتهنّأا طولَ الحياةِ معَا

وكتب رجل الى صديق له يهنئه بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيّأ الله لك من ٱجتماع الشَّمْل، بضمّ الأهل، فشَرِكْتُكَ فى النعمة، وكنتُ أُسوتَك فى السرور، وشاهدتُك بقلبي، ومثّلتُ ما أنت فيه لعيني، فحَلَلْتُ بذلك محلَّ المُعايِن للحال وزينتها، فهنيئًا هنأك الله ما قَسَم لك، وبالرِّفاءِ والبنين، وعلى طول التعمير والسنين.

وكتب آخرُ من الكُتّاب الى عامل: نحن من السرور، بما قد ٱستفاض من جميل أثرك فيما تَلِي من أعمالك، وخطْمِك وزَمِّك إيّاها بحزْمِك وعَزْمِك، وٱنتياشِك أهلها من جور من وَلِيهم قبلَك، وسرورهم بتطاوُل أيّامك والكونِ فى ظلّ جناحك، فى غاية مَنْ تخصّه وتَعُمّه نعَمُك، وتَجُولُ به الحال حيث جالت بك. فالحمد لله الذى جعل العاقبةَ لك، ولم يرُدْ علينا آمالَنا منكوسةً فيك، كما ردّها على غيرنا فى غيرك. وهنيئًا هنأك الله نعمه خاصّها وعامّها، وأوزَعك شكرها، وأوجب لك بالشكر أحسنَ المزيدِ فيها.

---

(١) فى الأصل: «أو تردون» والمقام هنا يقتضى «أم» المتصلة.

وكتب رجلٌ من الكتّاب إلى نَصْرانىّ قد أسلم يهنئه : الحمـدُ لله الذى أرشَدَ أمرَك ، وخصّ بالتوفيق عزمَك ، وأوضح فضيلةَ عقلك ، ورَجَاحةَ رأيك ؛ فما كانت الآدابُ التى حويتَها ، والمعرفةُ التى أُوتيتَها ، لتدوم بك على غَوَايةٍ وديانةٍ شائنةٍ لا تليق بلُبّك ، ولا يبرح ذَوُو الحِجا من موجبى حقّك يُنكرون إبطاءَك عن حظّك وتركَكَ البِدارَ الى الدّين القيِّم الذى لا يقبَـل الله غيرَه ولا يُثيب إلا به ، فقال : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، وقال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . والحمد لله الذى جعلك فى سابق علمه ممن هَدَاه لدينه ، وجعله من أهل وِلَايته ، وشرّفه بوَلَاء خليفته . وهنأك الله نعمتَه ، وأعانك على شكره ؛ فقد أصبحتَ لنـا أخًا نَدين بمودّته ومُوالاته بعد التأثّم من خُلْطتك ومخالفةِ الحقّ بمشايعتك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ او إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ .

وكتب رجلٌ من الكتّاب تهنئةً بحجٍّ : الحمدُ لله على تمامِ مُهاجَرِكَ ، وسلامةِ بَدْأتك ورَجْعتك ، وإعظامه المِنّةَ بأوْبتك ؛ وشكر الله سعيَك ، وبَرّ حجّك ، وتقبّل نُسكك ؛ وجعلك ممن قلبه مُفْلِحا منجِحا ، قد رَبِحتْ صفقتُه ، ولم تبُرْ تجارتُه ، ولا أعدمَك نيّةً تفضُلُ عملَك ، وتوفيقًا يحُوط دِينَك ، وشكرا يرتبط نعمتك ؛ فهنأكم الله النعمةَ ، وجمعكم فى دار الخِلافة ، وجعلكم ساسةَ الامّة والمتقدّمين عند الإمام — أيده الله بالطاعة والنصيحة — فإنّكم زَيْنُ السلطان ، وعُمْدةُ الإخوان ، وأضدادُ أكثرِ أهلِ الزمان .

وكتب الى رجلٍ عن صديق له يهنِّئه بفِطام مولود : أنا — أعزّك الله — لمـا حمّلنى الله من أياديك ، وأودعنى من إحسانك ، وألزمنى من شكرك ، آخذ نفسى بمراعاة أمورك ، وتفقُّد أحوالك ، وتَعرُّفِ كلِّ ما يُحدثه الله عندك ، لأقابلَه بما يَلزمنى ، وأقضى

الحَقّ فيه عنّى بِمَبْلَغ الْوُسْع ومقدارِ الطاقة ، و إن كانا لا يبلُغان واجبَك ، ولا يستقِلّان بِثِقَل عارفتك . وكلُّ ما نَقَّل الله الفتى [و] بلّغه من أحوال البلوغ ورقّاه فيه من درجات النمو ، فنعمةٌ من الله حادثةٌ تُلزِم الشكرَ ، وحقٌّ يجب قضاؤه بالتهنئة . وكتب الى وكيلى المقيم ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفِطَام ، وصَلاح جسمه عند الطعام ، وسَلْوتِه عن أوّل الغذاء ، وسرورك ومَنْ يليك بما وهب الله فى هذه ٥ الحال من عافيته وحسنِ المدافعة عنه ؛ فأكثرتُ لله الحمدَ ، وأسهبتُ فى الدعاء والرغبة ، وتصدّقت عنه بما أرجو أن يتقبّله ، وكتبت مهنئا بتجدّد النعمة عندكم فيه . فالحمدُ لله المتطوّلِ علينا قِبلَه بما هو أهله ، والمُجْرى لنا فيما يُولِيك على حسن عادته . وهَنّأك الله النعم ، وصانها عندك من الغِيَر ، وحرَسها بالشكر ، و بلَغ بالفتى أقصى مبالغ الشرف ، وجعلك من الأمل فيه والرجاء له على العِيَان واليقين ، بمنّه وفضله . ١٠

وكتب بعض الكُتّاب تهنئةً بحجٍّ الى صاحبه : الحقُّ للسادة عند ما يجدّده اللهُ لهم من نعمه فى الدعاء ، من جلائل حقوقهم على أوليائهم . وقد خص اللهُ حقّك بما لا يَسَعُنى معه ادّخارُ مجهودٍ فى تعظيمه وشكره . ولولا أنّ الطاعة من حدوده ، لم أنتظر إذنَك لى فى تلقّيك راجلًا بالأَوْبة ، إذ كان الكِتَابُ بها دون السعى بأبلغ نصيبٍ من التقصير . وأنا أسأل الله الذى أوفدك الى بيته الحرام ، وعمَر بك مَشَاهِدَه العِظَام ، وأوردك حَرَمَه سالما ، وأصدرك عنه غانما ، ومنّ بك على أوليائك وخدمك ، ١٥ أن يَهنِئَك بما أنعم به عليك فى بَدْأتك ورَجْعتك ، بتقبُّل السعى ونُجح الطَّلِبة وتعريف الإجابة .

وكتب بعض الكُتّاب تهنئةً بولاية : فإنه ليس من نعمةٍ يجدّدها الله عندك ، والصنعُ الجميلُ تُحدثه لك الأيّام ، إلّا كان آرتياحى له وآستبشارى به وآعتدادى ٢٠ بما يَهَب الله لك من ذلك ، حَسَبَ حقّك الذى توجبه ، و بِرّك الذى أشكره ، و إخائك

الذى يَعِزّ ويَجِلّ عندى موقعُه، فجعل الله ذلك فيه وله، ووصَله بتقواه وطاعتِه.

وبلغنى خبرُ الوِلاية التى وَلِيتَها، فكنتُ شريكَك فى السرور وعديلَك فى الارتياح، فسألت الله أن يُعَرِّفك يُمْنَها وبركتَها، ويرزُقَك خيرَها وعادتَها، ويُحسِنَ معونتَك على صالح نِيّتِـك فى الإحسان إلى أهـل عملك والتألُّف لهم، واستعمالِ العـدِل فيهم،

٥ ويرزقَك محبتَهم وطاعتَهم، ويجعلهم خيرَ رعيّة.

وكتب رجلٌ الى معزول: فإن أكثرَ الخير(١) فيما يقع بكُرْه العباد، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾. وقال أيضا: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. وعندك بحمد الله من المعرفة بتصاريف الأمور، والاستدلالِ بما كان منها على مايكون، مَغْنًى عن الإكثار

١٠ فى القول. وقد بلغنى انصرافُك عن العمل على الحال التى انصرفتَ عليها من رضا رعيّتك ومحبّتهم وحسنِ ثنائهـم وقولهم، لِمَا(٢) بقّيتَ من الأثرِ الجميل عند صغيرهم وكبيرهم، وخلّفتَ من عَدْلك وحسنِ سِـيرتك فى الدانى منهـم والقاصى من بلدهم؛ فكانت نعمةُ الله عليك فى ذلك وعلينا، نعمةً جلّ قدرُها ووجب شـكرُها. فالحمـدُ لله على ما أعطاك، ومَنَح فيك أولياءك وأرغم به أعداءك، ومكّن لك من الحال عنـد مَن

١٥ وَلّاك؛ فقد أصبحنا نعتدّ صَرْفَك عن عملك مِنْحا(٣) مجدِّدا، يجب به تهنئتُك، كما يجب التوجّعُ لغيرك.

وكتب رجلٌ من الكتّاب فى تهنئة بحجّ: لولا أنّ عوائقَ أشغالٍ يوجبُ العذرَ بها تفضُّلُك ويَبْسُطه احتمالُك، لكنتُ مكانَ كتابى هذا مهنِّئًا لك بالأَوْبة، ومجدِّدًا

---

(١) فى الأصل: «الخيار». (٢) فى الأصل: «ما بقيت». (٣) بالأصل: «منعا» بالعين المهملة.

٢٠

بك عهدًا، ومُحييًا نفسى بالنظر اليك. وأنا أسأل الله أن يشكُر سعيَك، ويتقبَّل حجَّك، ويُثبِت فى عِلِّيِّين أثرَك، ولا يجعله من الوِفادةِ اليه آخرَ عهدِك .

وكتب بعض الكتّاب : لا مُهَنِّئَ أولَى ما يكون مهنِّئا، تعظيمًا لِنعمه فيما جدّد الله لك يامولاى بالولاية، منّى؛ إذ كنتُ أرجو بها ٱنضمامَ نَشْرى، وتَلافِىَ الله بعناياتك المتشتِّتَ من أمرى . فهنأَك الله تجدُّدَ النعم، وبارك لك فى الوِلاية، وٱفتتحها لك بالصُّنْع الجميل، وختَمها لك بالسلامة، إنه سميع قريب .

باب شِرار الإخوان

ذكر خالدَ بن صَفوان شَبيبُ بن شيبة فقال[1] : ذاك رجلٌ ليس له صديقٌ فى السرِّ ولا عدوٌّ فى العلانِيَة .

وقال الشاعر :

وإنّ من الخُلّان مَنْ تَشْحَطُ النَّوى * به وهو داعٍ للوِصال أمينُ
ومنهم صديقُ العينِ أمّا لِقاؤُه * فحُلْوٌ وأمّا غيْبُه فظَنُونُ[2]

أقبل عُيَينة بن حِصْن الى المدينة قبل إسلامه، فلقيه ركبٌ خارجون منها؛ فقال : أخبرونى عن هذا الرجل (يعنى النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم)، فقالوا : الناسُ فيه ثلاثةُ رجال : رجل أسلم فهو معه يقاتل قريشًا وأَفْناء العرب[3]، ورجل لم يُسلم فهو يقاتله، ورجل يُظهر الإسلامَ إذا لقى أصحابَه ويُظهر لقريش أنه معهم اذا لقيهم؛ فقال : ما يسمَّى هؤلاء؟ قالوا : المنافقون؛ قال : فٱشهدوا أنّى منهم، فما فيمن وَصَفْتم أحزمُ من هؤلاء .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣٨) : «وسئل شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان فقال : ذاك رجل الخ»، وهى تزيد الضبط الذى أثبتناه . (٢) ظنون : لا يوثق به .
(٣) أفناء العرب : أخلاطهم النزاعون من هاهنا وهاهنا ولا يُدرى من أىّ القبائل هم .

وكان رجل يدعو فيقول: اللّهم ٱكْفِنى بوائقَ الثِّقات، وٱحفَظْنى من الصَّديق.

وكتب رجلٌ على باب داره: جَزَى الله مَنْ لا يعرِفنا ولا نَعـرِفه خيراً، فأمّا أصدقاؤنا فلا جُزُوا ذلك، فإنّا لم نؤتَ قطّ إلا منهم.

وكتب إبراهيم بن العبّاس الى محمد بن عبد الملك الزّيات:

٥ وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ * فلما نَبَـا صِرتَ حربًا عَوَانَا

وقد كنتُ أشكو اليك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذُمُّ الزمانا

وكنت أُعِـدُّك للنائبـات * فهأنا أطلبُ منـك الأمانا

وقال محمد بن مهدىّ:

كانَ صديق وكان خالصتِى * أيّامَ نجرِى مجارِىَ السُّـوَقِ

١٠ حتى اذا راحَ والملوكَ معـا * عَدّ ٱطِّراحِى من صالحِ الخُلُقِ

خَلَّيتُ ثوب الفِراقِ فى يده * وقلتُ هذا الوداعُ فانطلِقِ

لَبِستهُ لِبسةَ الجديدِ على الـ * ـفقرِ وفارقتُ فُرْقـةَ الخَـلَقِ

وقال آخر:

إذا رأيتَ ٱمرأً فى حال عُسْرتِهِ * مُواصِـلًا لك ما فى وُدّه خَلَلُ

١٥ فلا تَمَنَّ له أنْ يستفيدَ غِنًى * فإنه بانتـقال الحالِ ينتـقلُ

وكتب رجلٌ الى صديق أعرض عنـه: لولا أنِّى أشفقتُ من أشتات ظنى [فى] إجابتك إلى ما يعلم الله براءتى منه فيك ولك لمعجبك ولكفيتك مُؤنتى[1]، ثقةً بأنّ ٱزديادَك من معرفة الناس سـتردّك إلىّ، فان رجعتَ قَبِلتُ وتمسّكتُ وٱغتبطتُ، وإن أصررتَ لم أتبَـعْ مُولّيًا، ولم آسَ على مُدْبِر، ولم أسامح نفسى على تعلّقها بك،

٢٠ (١) كذا بالأصل ولم نوفق الى هذا الكتاب فى مصدر آخر بعد طول البحث عنه فى مظانّه.

ولم أُساعِدْها على نِزاعها اليك . فكم من زمانٍ تركتُك فيه وسَوْمَك ثم أبى قلبى ذلك، فكررتُ وعطفتُ أسًى على أيّامى معك وما تَوَكَّدَ بينى و بينك . وما من كَرّةٍ لى اليك إلا وهى داعيةٌ إلى ما أكرَهُه من آستخفافك ونُفورك. ولو فهمتَ ما آستحققتُ به عليك ما أشكوه لخَفَّ مَحْمَلُ ما يكون منك علىّ ولا جمت(١) فى عتباك و رضاك .

وفى جواب كتاب : وقد وزَعنى ما ضربتَه لى من الأمثال فى كتابك عن آستبطائك . على أنى لا أستزيد إلا من أحتاج الى صَلاحه وأرغب فى بقيّته؛ وقد قيـل :

يأبَيْنَ إلا جفوةً وظلمًا * من كثرة الوصل تَجنّى(٢) الجُرْمَا

وفى كل ما أجبتنى ظلمت فى معارضتى عن مَسْخى جوابَك بإيحاشى، وفى اعتدادك علىّ بما أنت جانيه وعليك الحجة فيه . وما أُنكر الخلافَ بين الأب وآبنه والأخ وشقيقه اذا وقعت المعاملة ، ولذلك سبب لا أعرفه بينى و بينك قطّ ، فإنى لم أُخالفك ولم أشاحِكَ ولم أنازعكَ ولم أعارض نَعَمَكَ بِلَا ولا أمرَك بنهى .

وقال الحسن بن وَهْب :

سأُكرِمُ نفسى عنك حَسْبَ إهانتى * لها فيك إذ قرّت وكفّ نِزاعُها
هى النّفسُ ما كلّفتُها قطُّ خُطّةً * من الأمر إلا قلّ منه امتناعُها
صدَقت لعمرى أنتَ أكبرُ همِّها * فأجهَدُها إذ قلّ منك آنتفاعُها
هَبْ آنّنى أعمى فاتتِ الشمسُ طَرْفَه * وغُيِّبَ عنه نورُها وشُعاعُها

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

رأيتُ فُضَيلًا كان شيئًا مُلَفَّفًا * فكشّفه التمحيصُ حتى بَدَا لِيَا

---

(١) كذا بالأصل . (٢) أصله تتجنى حذفت إحدى تاءيه .

فأنت أخى ما لم تكن لى حاجةٌ * فإن عرضتْ أيقنتُ أنْ لَا أخَالِيَا
فلا زاد ما بينى و بينك بعـــد ما * بلوتُك فى الحـاجات إلا تمـادِيَا
فلستَ براءٍ عيبَ ذى الوُدّ كلَّه * ولا بعضَ ما فيه إذا كنتَ راضيا
فعين الرضـا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ * ولكنّ عينَ السُّخط تُبدى المَساوِيَا
٥ كِلانا غَنِيٌّ عن أخيه حيـاتَه * ونحن إذا مُتْنا أشـدُّ تَغَانِيَـا

وكتب أيضا الى بعض إخوانه : أما بعدُ، فقد عاقنى الشكّ فيك عن عزيمة الرأى فى أمرك، اِبتـدأتَنى بلطف عن غير خِبرة،(١) ثم أعقبتَنى جفاءً من غير ذنب، فأطمعنى أوّلُك فى إخائك، وآيسنى آخرُك من وفائك؛ فلا أنا فى غير الرجاء مُجمِعٌ لك آطِّراحا، ولا أنا فى غدٍ وآنتظارِه منك على ثقة؛ فسبحانَ مَنْ لو شاء كشف بإيضاح
١٠ الرأيِ فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك، فأقمنا على آئتلاف، أو آفترقنا على اختلاف.

وكتب رجلٌ الى صديقٍ له : نحن نسـتكثرك بآعتزالك ، ونسـتديم صلتك بجفائك، ونرى الزيادةَ فى الغمّ أدوَمَ(٢) لجميل رأيك . ومثلُه قول كُثَيِّر :

و إن شَحطتْ يومًا بكيتُ و إن دَنتْ * تدلّلتُ وآسـتكثرتُها بآعتزالها

ونحوه قولُ الكُمَيْت :

١٥ وقد يخذُلُ المولى دُعائى ويجتدى * أذاتى و إن يَعدِلْ به الضيمُ أغضَبِ
فأُونِس من بعضِ الصـديق ملالةَ الدُّنُوِّ — فأ ستبقيهـم — بالتجنُّب

وقال آخر :

إنك ما أعــلمُ ذو مَـلّةٍ * يُذهلك الأدْنى عن الأقدمِ

---

(١) كذا فى المحاسن والمساوى للبيهقى والمحاسن والأضداد للجاحظ . وفى الأصل : «ابتدأتنى بلطف
٢٠ عن غير حرمة» . (٢) كذا فى الأصل ولعله : « ونرى الزيارة فى الغب أدوم الخ » .

وقال عبد الرحمن بن حَسّان :

لا خيرَ فى الودّ ممن لا تزال له * مستشعراً أبدًا من خِيفةٍ وَجَلا

اذا تغيّب لم تَبرحْ تُسيء به * ظَنًّا وتسأل عمّا قال أو فعلا

وقال مُرّة بن مَحْكَان :

ترى بيننا خُلُقًا ظاهراً * وصدراً عدوًّا ووجهاً طليقا ٥

ونحوه قول المرّار :

كَذِبٌ تَخَرَّصه علىّ لقومه * سَلْمُ اللسانِ محارِبُ الإسرار

وحدّثنى أبوحَمْزَةَ الأنصارىّ قال : حدّثنا العُتْبِىّ قال : قالت أعرابية لابنها :
يا بنىّ ، إياك وصُحْبَةَ مَن مودّته بِشْرُهُ فإنه بمنزلة الريح .

وكان يقال : الإخوان ثلاثة : أَخٌ يُخْلِص لك وُدَّه ، ويبلُغ فى محبتك جهدَه . ١٠
وأَخٌ ذو نِيّة يقتصر بك على حُسْن نيّته ، دون رِفْده ومَعُونته . وأخ يُلَهْوِقُ لك لسانه[(١)] ،
و يتشاغل عنك بشانِه ، ويُوسعك من كذِبه وأَيْمانه .

وقال المُثَقَّب العَبْدىّ :

فإمّا أن تكونَ أخى بصدقٍ * فأعرِفَ منك غَثّى من ثَمِينى

وإلا فاْجتنبْنى واتّخِذْنى * عدوًّا أتّقيك وتتّقِينى ١٥

وقال أَوْسُ بن حَجَر :

وليس أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذى * يسوءكَ إن ولّى ويُرضيك مُقْبِلاَ

ولكن أخوكَ النائى مادمتَ آمنا * وصاحبُكَ الأدنى إذا الأمرُ أَعْضلا

---

(١) كذا فى الأصل ولعله : «بلسانه» واللهوقة والتلهوق : أن يبدى الانسان غير ما فى طبيعته و يتزين
بما ليس فيه من خلق ومروءة وكرم . ٢٠

وقال آخر :

لَعَمْــرُكَ ما وُدُّ اللسان بنــافعٍ * إذا لم يكن أصلُ المودّة فى القلب

وقال أبو حارِثة المَدَنىّ : ليس لمملولٍ صديقٌ ، ولا لحسودٍ غِنًى ، والنظرُ فى العواقب تلقيح العقول .

قال العباس بن الأحْنَف :

أشكو الذين أذاقونى مودّتَهم * حتى اذا أيْقظونى فى الهوى رقَدُوا

وٱستنهضونى فلمّـا قمتُ مُنتهِضًا * بثِقْلِ (١) ما حمّلونى فى الهــوى قعَدُوا

ونحوه قول المجنون :

وأَدْنَيْتِنى حــتى إذا ما سَبَيْتِنى * بقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ (٢) سَهْلَ الأباطح

تجافيتِ عَنّى حين لا لِىَ حِيـلةٌ * وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح (٣)

وقال آخر :

ولا خــير فى وُدّ إذا لم يكن له * على طول مَرّ الحادثات بقــاءُ

وأنشد ٱبنُ الأعرابىّ :

لحا الله مَن لا ينفع الودُّ عنـــده * ومَن حبلُــه إن مُدّ غيرُ متين

ومن هو إن يُحدِثْ له الغيرُ نظرةً * يُقطِّعْ بها أسبابَ كلِّ قرين

---

(١) فى الأصل : « لثقل » باللام وليس هذا مقامها ، ورواية الديوان :

واستنهضونى فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملوا من ودّهم قعدوا

(٢) العصم : جمع أعصم ، والأعصم من الظباء والوعول : ما فى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . (٣) نسب القالى فى أماليه (ج ٢ ص ٢٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) هذين البيتين لكثير ، وقد نسبهما أبو الفرج فى الأغانى (ج ٢ ص ٩٠ طبعة دار الكتب) للمجنون .

ويقال : صاحب السوء جذوةٌ من النار .

وقال علىّ عليه السلام : "لا تؤاخ الفاجر فإنه يزيّن لك فعله ويحبّ لو أنك مثلُه ويزيّن لك أسوأ خِصاله ، ومَدْخَلُه عليك ومَخْرَجُه من عندك شَيْن وعار . ولا الأحمقَ فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك وربما أراد أن ينفعك فيضرُّك ، فسكوتُه خيرٌ من نطقه ، وبعدُه خير من قُرْبه ، وموته خير من حياته . ولا الكذّابَ فإنه لا ينفعك معه عيش ، يَنقُل حديثَك وينقل الحديثَ إليك حتى إنه ليحدِّث بالصدق فما يُصَدَّق" .

قال أبو قَبِيل : أُسِرتُ ببلاد الروم فأَصبتُ على ركن من أركانها :

ولا تَصْحَبْ أخا الجهل * وإيّاك وإيّاهُ

فكم من جاهل أَرْدَى * حليماً حين آخاهُ

يُقاسُ المرءُ بالمرء * إذا ما هو ماشَاهُ

وللشىء على الشىء * مقاييسٌ وأشباهُ

وللقلب على القلب * دليلٌ حين يلقاهُ

وقال عَدِىّ بن زيد :

عن المرء لا تسألْ وأبْصِرْ(1) قرينَه * فإنّ القرينَ بالمُقارن مقتدِى

وأنشد الرِّياشىّ :

إن كنتَ لا تَصْحَب إلا فتىً * مثلَك لم تُؤتَ بأمثالكا

(١) ورد هذا البيت فى حماسة البحترى (ص ٣٠٧ طبعة أوروبا) بلفظ : «وسل عن قرينه» وكتب بهامشه : «خ : وأبصر قرينه» إشارة الى نسخة أخرى . وورد فى ديوان طرفة بن العبد (ص ١٥٣ طبع مدينة شالون سنة ١٩٠٠م) ضمن الأبيات المنسوبة اليه والراجح أنه لعدىّ بن زيد ، من داليته المشهورة ، وهى من مجمهرات أشعار العرب التى ذكرها أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى فى كتابه «جمهرة أشعار العرب» (ص ١٠٢ طبعة بولاق) ومطلعها :

أتعرف رسم الدار من أمّ معبد * نعم ورماك الشوق قبل التجلد

إنّ لك الفضـــلَ على صُحْبتى * والمسكُ قد يَسْتَصْحِب الرَّامِكَا[1]

هَبْنِى آمرأً جئتُ أُريد الهدى * فَجُــدْ على ضَعْفى بإسلامكا

وكتب يحيى بن خالد : أُحبّ أن تكونَ على يقين أنّى بك ضَنِين ، أُريدك ما أردتَنى ، وأُريدك أن تتوبَ عنِّى ما كان ذلك بى وبك جميلا يَحْسُن عند إخواننا ، وإن وقعت المقــادير بخلاف ذلك لم أَعْدُ ما يجب . والذى هاجنى على الكتاب أنّ أبا نوح معروفَ بن راشد سألنى أن أبوح له بمــا عندى ، وآلله يعلم أنّى ما تبدّلت وما حُلْتُ عن عهد ، فجمَعنا الله وإيّاك على طاعته ومحبّة خليفته .

وقرأتُ فى كتاب للهند : ثِق بذى العقل والكرم وآطمَئنّ إليه ، وواصل العاقل غيرَ ذى الكرم ، وآحترس من سيِّئ أخلاقه وآنتفـع بعقله ، وواصـل الكريم غير ذى العقل[2] وآنتفع بكرمه وآنفعه بعقلك ، وآهرُب من اللئيم الأحمق .

وقال حمّاد عَجْرَد :

كَمْ من أخٍ لك لستَ تُنْكِرُه * ما دمتَ من دنياك فى يُسْرِ

مُتَصــنِّع لك فى مَــوَدّته * يَلْقــاك بالتّرحيب والبِشْر

يُطْرِى[3] آلوَفاءَ وذا آلوفاء ويَلْـ * ـحَى الغَدْر مجتهِدا وذا الغدر

فإذا عدا ، والدهرُ ذو غِيَرٍ ، * دهرٌ عليك عَدَا مع الدهر

فارفُضْ بإجمــالٍ أُخُوّةَ[4] مَنْ * يَقْلِى المُقِلّ ويَعْشَقُ المُثْرِى

وعليــك مَنْ حالاه واحِدةٌ * فى العُسر إمّا كنتَ واليسر

لا تَخْلِطَنّهــم بغــيرِهم * من يَخْلِطُ العِقْيانَ بالصُّفْر[5]!

(١) الرامك : شيء أسود كالقار يخلط بالمسك . (٢) فى الأصل : «العاقل» وهو تحريف . (٣) كذا فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) . وفى الأصل : «يطوى» وهو تحريف . (٤) فى الأغانى (ج ١٣ ص ٩٠) : «مودّة» . (٥) الصفر : النحاس الأصفر .

وقال سُوَيْدُ بن الصامِت[(١)] :

أَلَا رُبَّ مَن تدعُو صديقا ولو تَرَى * مَقالتَه بالغَيْبِ ساءَك ما يَفْرِى

مَقالتُه كالشَّحْمِ ما كان شاهِدا * وبالغيب مأثورٌ[(٢)] على ثُغْرةِ النَّحْرِ

تُبِينُ لك العَيْنانِ ما هو كاتِمٌ * من الضِّغْنِ والشَّحْناءِ بالنَّظَرِ الشَّزْرِ[(٣)]

فَرِشْنِى بخيرٍ طالَمَا قد بَرَيْتَنِى * وخيرُ الموالى من يَرِيشُ ولا يَبْرِى ٥

وقال آخر :

وصاحبٍ كان لى وكنتُ له * أَشْفَقَ من والدٍ على وَلَدِ

كُنّا كساقٍ تَسْعَى بها قَدَمٌ * أو كذِراعٍ نِيطتْ الى عَضُدِ

حتى اذا دانتِ[(٤)] الحوادثُ من * خَطْوِى وحلّ الزمانُ من عُقَدِى

احْوَلَّ عنّى وكان ينظر من * عَيْنى ويَرْمِى بساعدِى ويَدِى ١٠

وكان لى مُؤنِسا وكنتُ له * ليست بنا وَحْشةٌ الى أحدِ

حتى إذا ٱسترفَدَتْ يدِى يَدَه * كنتُ كمسترفِدٍ يَدَ الأسدِ

وقال بعض الأعراب :

إخوانُ هذا الزمان كلُّهُمُ * إخوانُ غَدْرٍ عليه قد جُبِلوا

طَوَوْا ثيابَ الوفاء بينهمُ * وصار ثوبُ الرِّياء يُبْتَذَلُ[(٥)] ١٥

أخوهم المستحِقُّ وَصْلَهمُ * مَن شربوا عنده ومَن أكلوا

وليس فيما عَلِمْتُ بينهمُ * وبين مَن كان مُعْدِما عَمَلُ

---

(١) ذكر اللسان فى مادّة «نشر» هذه الأبيات مع أبيات أخرى من القصيدة ونسبها لعمير بن حباب .

(٢) كذا فى اللسان ، والمأثور : الذى يؤثر عنه شرّ وتهمة ، وفى الأصل : «مأمون» وهو تحريف ؛ وثغرة النحر : نقرته ؛ يريد أنه يطعنه فى غيبته . (٣) كذا ورد هذا الشطر فى اللسان . وفى الأصل ورد هكذا : * ولاجن بالبغضاء والنظر الشزر * (٤) دانت : قاربت . (٥) يبتذل : يلبس كثيرا ، ومنه البذلة والمبذلة من الثياب : ما يلبس ويمتهن ولا يصان . ٢٠

قال رجل لآخر : بلغنى عنك أمرٌ قبيح ، فقال : يا هذا ، إنّ صُحْبةَ الأشرار ربما أورثت سوءَ ظنٍّ بالأخيار .

وقال دِعْبِل :

أبا مُسْـلم (١) كنّا حَلِيفَىْ مودّة * هَوَانا وقَلْبَانَا جميعا معًا معَا

٥ أحوطُك بالوُدّ الذى لا تَحُوطُنى * وأرأبُ منك الشَّعبَ أن يتصدّعَا

فلا تَلْحَيَنّى لم أجد فيك حِيلةً * تَخَرَّقتَ حتى لم أجد فيك مَرْقعَا

فهَبْك يمينى آستأكلتْ (٢) فآحتسبتُها (٣) * وجشّمتُ قلبى قطعها (٤) فتخشّعا

وقال يزيد بن الحَكَم الثَّقفىّ :

تُكَاشِرُنى (٥) كُرْها كأنّك ناصحٌ * وعينُك تُبْدِى أنّ قلبَك لى دَوِى (٦)

١٠ لِسانُك مَاذِىٌّ (٧) وقلبــك عَلْقَمٌ * وشَرُّك مبسوطٌ وخيرُك مُنْطَوى (٨)

عَدُوُّك يَخْشَى صَوْلتى إن لَقِيتُه * وأنت عدوّى ليس ذاك بمستوِى (٩)

أراكَ إذا لم أهوَ أمرًا هَوِيتَه * ولستَ لما أَهوَى من الأمر بالهَوِى

---

(١) كذا بالأصل . وفى الأغانى (ج ١٨ ص ١٤٧) : « أبا مخلد » . (٢) كذا بالأصل ولم نجد هـذه الصيغة فى كتب اللغة الا بمعنى استأكل الشىء طلب منه أن يأكله ، والمستأكلة : الذين يأخذون أموال الضعفاء كاليتامى و يعيشون عليها ، والظاهر أن المراد هنا فى الشعر تأكّل يده ، والصيغة الدالة على هذا المعنى فى كتب اللغة هى ائتكل وتأكّل . (٣) فى الأغانى طبع بولاق ج ١٨ ص ٤٧ : «فقطعتها» . (٤) فى الأغانى : * وجشمت قلبى صبرة فتشجعا *
(٥) تكاشرنى : تضاحكنى من قولهم : كشر عن أسنانه اذا كشف عنها . (٦) دوٍ : مُضطغنٌ .
(٧) الماذىّ : العسل الأبيض . (٨) كذا فى الأمالى ج ١ ص ٦٨ طبع دار الكتب ورواية البيت فيه :

لسانك ماذىّ وغيبك علقم * وشرّك مبسوط وخيرك منطوى

(٩) وفى الأصل : «ملتوى» : روى هذا البيت فى حماسة البحترىّ :

تــودّ عــدوّى ثم تزعم أننى * صديقك ليس الفعل منك بمستوى

أراكَ ٱجْتَوَيْتَ الخيرَ منّى وأجْتَوِى * أذاكَ فَكُلٌّ يجتوى قُرْبَ مُجْتَوِى[١]

وكم مَوْطِنٍ لَوْلاىَ[٢] طِحْتَ كما هَوَى * بأجرامِهِ من قُلَّةِ[٣] النِّيقِ مُنْهَوِى

ويقال : إيّاك ومَن مَوَدّتُه على قَدْرِ حاجته فعند ذَهابِ الحاجة ذَهاب المودّة .

وقال الحكيم : ثلاثة لا يُعرَفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا فى الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه .

قال جرير :

فأنت أخى ما لم تكن لِىَ حاجةٌ[٤] * فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخا لِيَا

تَعَرَّضتُ فٱسْتَمْرَرْتَ من دون حاجتى * فحالُكَ إنى مستمرٌّ لحالِيَا

وإنّى لَمَغْرورٌ أُعلَّل بالمُنَى * ليالِىَ أرجو أنّ مالكَ مالِيَا

بأىّ نِجادٍ[٥] تحمِلُ السيفَ بعدما * نزعتَ سِنانا من قَناتِكَ ماضِيَا

ألالا تخافا نَبْوَتِى فى مُلِمَّةٍ * وخافا المنايا أن تفوتَكُما بِيَا[٦]

(١) المجتوى : الكاره . (٢) كذا فى أمالى القالى . وفى الأصل : «لولاك» .

(٣) القلة : أعلى الجبل ، والنيق : أرفع موضع فيه . (٤) روى هذا البيت فى النقائض ص ١٧٧ طبع أوروبا :

فأنت أبى ما لم تكن لى حاجة * فان عرضت فإننى لا أباليا

وهو من قصيدة طويلة مذكورة فى النقائض بين جرير والفرزدق مطلعها :

ألا حىّ رهبى ثم حىّ المطاليا * فقد كان مأنوسا فأصبح خاليا

وقد ذكر المؤلف هذا البيت فيا تقدّم من هذا الجزء ص ٧٥ لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما ذكر فى كثير من كتب الأدب مثل الكامل للبرد والعقد الفريد وزهر الآداب ضمن شعر مطلعه :

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا * فكشّفه التمحيص حتى بدا ليا

(٥) النجاد : حمائل السيف ، وقد ورد هذا الشعر فى الأغانى (ج ٧ ص ٥٢) والنقائض (ص ١٧٧) هكذا :

بأى نجاد تحمل السيف بعدما * قطعت القوى من محمل كان باقيا

بأىّ سنان تطعن القوم بعدما * نزعت سنانا من قناتك ماضيا

(٦) يقول : لا تخافا أن أنبو عنكما إن ألمّت بكما ملمة ما عشت وخافا ذلك منّى اذا مت (راجع كتاب النقائض ص ١٧٨) .

وقال أبو العَتَاهِيَة :

أنتَ ما ٱستغنيتَ عن صا * حبــك الدّهرَ أَخُـوهُ

فإذا ٱحتجتَ إليــه * ساعــةً مجّــكَ فُــوهُ

وقال آخر :

٥ مَوَالينــا إذا ٱفتقَروا إلينــا * وإن أَثْرَوْا فليس لنا مَوَالِى

والعرب تقول فيمن شَرِكَك فى النِّعمة وخذَلَك عند النائبة : يرِبِضُ[١] حَجْرةً[٢] ويرتعُ وَسَطًا .

قال المـدائنىّ : لحن الحجاجُ يوما ، فقال الناس : لحن الأميرُ ، فأخبره بعضُ مَن حضر ، فتمثّل بشعر قَعْنَب بن أمِّ صاحب :

١٠ صُمٌّ إذا سَمِعـوا خيرا ذُكِرْتُ به * وإن ذُكِرت بسُوء عندهم أَذِنُوا[٣]

فَطَانَةٌ فَطَنوها لو تكون لهم * مروءة أو تُقًى لله ما فَطَنُــوا

إن يسمعوا سَيِّئا طاروا به فَرَحًا * منّى وما سمعوا من صالح دَفَنُـوا

باب القرابات والولد

حدّثنى زَيْد بن أَخْزَم قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا إسحاق بن سَعيد القُرَشىّ

١٥ من ولد سعيد بن العاص قال أخبرنى أبى قال : كنتُ عند ٱبن عبّاس ، فأتاه رجل فَمتّ إليه بِرَحِم بعيدةٍ ، فَلاَنَ له وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اِعرِفُوا أنسابَكم تَصِلوا أرحامَكم فإنه لا قُرْبَ بالرَّحِم اذا قُطِعَتْ وإن كانت قريبةً ولا بُعْدَ بها إذا وُصِلَتْ وإن كانت بعيدةً" .

---

(١) فى الأصل : «تربص» بالتاء والصاد المهملة وهو تحريف . (٢) الحجرة : الناحية .

٢٠ (٣) أذنوا : استمعوا .

حدّثني شَبَابة قال حدّثني القاسم بن الحَكَم عن إسماعيل بن عَيّاش عن عبد الله ابن دينار قال : احذروا ثلاثا ، فإنهنّ معلّقات بالعرش : النعمةَ تقول يا ربّ كُفِرتُ ، والأمانةُ تقول يا ربّ أُكِلتُ ، والرَّحِمُ تقول يا ربّ قُطِعتُ .

حدّثني الزِّيادىّ قال حدّثنا عيسى بن يونس قال قال مُحارِب بن دِثار : إنما سُمُّوا أبرارا لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء ، وكما أنّ لوالدك عليك حقًّا ، فكذلك لولدك عليك حقٌّ .

حدّثني أبو سفيان الغَنَوىّ عن عبدالله بن يزيد عن حَيْوَة بن شُرَيح عن الوليد ابن أبي الوليد عن عبدالله بن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أَبَرُّ البِرِّ أن يَصِلَ الرجلُ أهلَ وُدِّ أبيه " .

حدّثني القُومَسِىّ قال حدّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس قال حدّثنا كَثِيربن زيد عن أبيه عن جدّه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "ابنُ أُختِ القومِ من أنفُسِهم ومَوْلى القوم من أنفسهم وحَلِيفُ القومِ من أنفسهم(١) " .

وحدّثني أيضا عن خالد بن مَخْلَد عن سليمان بن بِلَال عن عبدالله بن دِينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : "الرَّحِمُ شُجْنَةٌ(٢) من الرحمن قال لها مَنْ وَصَلكِ وَصَلتُه ومَن قطعكِ قطعتُه" .

حدّثني الزِّيادىّ قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن حبيب عن ابن سِيرِين قال قال عثمان : كان عمر يمنع أَقْرِباءه ابتغاء وجه الله ، وأنا أُعطِى قَرَاباتى لوجه الله ، ولن يُرى مثلُ عمرَ .

---

(١) ورد فى الجامع الصغير : « منهم » بدل « من أنفسهم » ولعلها رواية . (٢) الشجنة : الشعبة من كل شيء ، يقال : بينهما شجنة رحم .

حدّثنى أحمـد بن الخليـل قال حدّثنا ابراهيم بن موسى قال حدّثنا محمد بن ثَوْر عن مَعْمَر[١] عن أبى إسحاق عن عاصم بن ضَمْرة عن علىّ عليه السلام عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "مَنْ سَرّه أن يُمَدّ له فى عُمْره و يُوَسَّعَ له فى رزقه فَلْيَصِلْ رَحِمَه" .

حدّثنى أحمـد بن الخليل قال حدّثنا أبو نُعَيم قال حدّثنا سفيان عن عبدالله ابن عيسى عن عبيد بن أبى الجَعْد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يَزيد فى العُمرِ إلا البِرُّ ولا يردّ القَدَر إلا الدعاءُ و إنّ الرجلَ لَيُحرَمُ الرزق بالذّنب يُصيبُه" .

حدّثنى محمد بن يحيى القُطَعىّ قال حدّثنا عبد الأعلى قال حدّثنا سعيدٌ عن مَطَر عن الحَكَم بن عُتَيْبة[٢] عن النَّخَعىّ عن آبن عمر قال : أتى رجل النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ والدى يأخذ منّى مالى وأنا كاره ؛ فقال : "أَوَ مَا عَلِمتَ أنكَ ومالَكَ لأبِيكَ" .

حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعىّ قال : أخبرنى بعضُ العرب : أن رجلا كان فى زمن عبد الملك بن مَرْوان ، وكان له أب كبير ، وكان الشابّ عاقا بأبيه ، وكان يقال للشابّ "مَنَازِلُ"[٣][٤] فقال الشيخ :

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِى و بين مَنَازِلٍ * جزاءً كما يَسْتَنْجِزُ الدَّيْنَ طالبُـهْ
تَرَبَّتْ[٥] حتى صار جَعْدًا شَمَرْدَلًا * إذا قام سَاوَى غَارِبَ الفَحْل غَارِبُهْ

(١) هو معمر بن راشد ، وهو الذى يروى عنه محمد بن ثور كما فى التهذيب . (٢) كذا فى الخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى وفى الأصل «عيينة» وهو تحريف . (٣) هو منازل ابن فرعان ذكره فى القاموس وقال شارحه هو بفتح الميم ومنهم من ضبطه بضمها . (٤) هو فرعان التميمى كما فى لسان العرب مادة « جعد » . (٥) تربّت : تربّى . والجعد الطويل . والشمردل : الفتىّ القوىّ ، وقد اختلف اللسان (فى مادة جعد) عما هنا فى إيراد هذا البيت ، وأورد معناه فى بيتين وهما :

و ربيتـــه حتى إذا ما تركته * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
و بالمحض حتى آض جعدا عنطنطا * اذا قام ساوى غارب الفحل غاربه

تَظَلَّمني مالى كذا وَلَوَى يَدِى * لَوَى يَــدَه اللهُ الذى لا يغالبُــهْ
وإنّى لَداعٍ دَعْــوَةً لو دَعَوْتها * على جَبَـل الرَّيَّان لَانقضَّ جانبُــهُ

فبلغ ذلك أميرًا كان عليهم ، فأرسل إلى الفتى ليأخذه ، فقال له الشيخ : أُخرج من خَلْف البيت ، فسبق رُسُلَ الأمير ، ثم ٱبتُلِيَ الفتى بٱبنٍ عَقّه فى آخر عمره فقال :

تَظَلَّمَــنِى مالى خَليجٌ وعَقّـنِى * على حين كانت كالْحَنِىّ عظامى
تَحَــيَّرته وٱزددتُه لِــيَزِيدنى * وما بعضُ ما يزداد غير عُرامِ (١)

وقال يحيى بن سعيد مولى تَيْم كوفىٌّ لابنه (٢) :

غَذَوْتُكَ مَوْلودًا وعُلْتُكَ يافعًا * تُعَلُّ بما أَجْنِى (٣) عليك وتُنْهَلُ
إذا ليلةٌ نالتك بالشكو لم أَبِتْ * لشكواكَ إلّا ساهرًا أَتَمَلْمَلُ
كأنّى أنا المطروقُ دونك بالذى * طُرِقْتَ به دونى وعَينِى تَهْمُلُ
فلمّا بلغتَ الوقتَ فى العدّة التى (٤) * اليها جَرَى ما أبتغيـه وآمُـلُ
جَعَلْتَ جَزَائى منك جَبْهًا وغِلْظَةً * كأنكَ أنتَ المنعِمُ المتفضِّـلُ
فليتَكَ إذ لم تَرْعَ حقَّ أُبُوَّتِى * كما يفعل الجارُ المجاوِرُ تَفْعلُ (٥)

قال القاسم بن محمد : قد جعل الله فى الصديق البارّ عِوَضا من الرَّحِم المُدْبِرة .

---

(١) العرام : الشراسة والأذى ، وفى الأصل : «غرام» بالغين المعجمة وهو تحريف .

(٢) هذا الشعر لأمية بن أبى الصلت الثقفى كما فى الأغانى (ج ٣ ص ١٩١ طبعة بولاق) وأشعار الحماسة (ص ٣٥٤ طبع أوروبا) ، وقيل : إنها تروى لابن عبد الأعلى ، وقيل : لأبى العباس الأعمى . وليس ليحى بن سعيد كما ذكر المؤلف لأنه أنشد بين يدى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام بتلابيب الولد وسلمه لوالده قائلا له : «أنت ومالك لأبيك» . (٣) فى أشعار الحماسة «أدنى اليك» . (٤) رواية هذا البيت فى الحماسة :

فلما بلغت السن والغاية التى * اليها مدى ما كنت فيك أؤمل

(٥) فى الحماسة : «فعلت كما الجار ... الخ» .

كتب عمرُ إلى أبى موسى : مُرْ ذوى القَرابات أنْ يتزاوَرُوا ولا يتجاوروا .

وقال أَكْثَم بن صَيْفِىّ : تباعَدُوا فى الدّيار تقارَبُوا فى المودّة .

قيل لأعرابىّ : ما تقول فى ٱبن عمك ؟ قال : عدوّك وعدوّ عدوّك .

وقال قيسُ بن زُهَير :

شَفَيْتُ النفسَ من حَمَل بن بَدْرٍ * وسَيْفِى من حُذَيفة قد شفانِى

قتلتُ بإخْوَتِى ساداتِ قومى * وقد كانوا لنا حَلْىَ الزمانِ

فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهم غَلِيلِى * فلم أقطعْ بهم إلّا بَنَانِى

قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه، حين تصفّح القَتْلَى يوم الجَمَل: شَفَيتُ نفسى وجَدَعتُ أنفى . وفى مثل ذلك قول القائل (١) :

قَوْمى هُمُ قَتَلوا أُمَيمَ أخى * فإذا رَمَيْتُ يُصيبنى سَهْمِى

ولئن عفوتُ لأَعْفُوَنْ جللًا * ولئن قَرَعْتُ (٢) لأُوهِنَنْ عظْمِى

قتل رجلٌ من العرب ٱبنَ (٣) أخيه فدُفعَ إلى أخيه لِيُقيدَه، فلمّا أَهْوَى بالسيف أُرْعِدتْ يداه، فألقى السيفَ من يده وعفَا عنه وقال :

أقولُ للنفسِ تأساءً وتعـزِيَةً * إحدى يَدَىّ أصابتنى ولم تُرِدِ

كلاهما خَلَفٌ من فَقْد صاحبه * هذا أخى حين أدعُوه وذا ولدِى

وقال بعضهم :

بكُرْهِ سَرَاتِنا يا آل عمرو * نُغَاديكم بمُرهَفَةِ النِّصالِ

فنبكى حين نذكركم عليكم * ونقتلكم كأنّا لا نُبالى

وقال عدىّ بن زيد :

وظلمُ ذَوِى القُرْبَى أشدُّ مَضاضةً * على المرءِ من وَقْعِ الحُسامِ المُهَنّدِ

(١) هو الحارث بن وعلة الذهلى كما فى الحماسة . (٢) فى الحماسة : «سطوت» .

(٣) فى الأصل : «لابن أخيه» وهو تحريف .

وقال غيره (١) :

سآخُذ منكم آل حَزْنٍ (٢) لِحَوْشَبِ * وإن كان مولاىَ (٣) وكنتم بنى أَبِى

إذا كنتُ لا أُرْمَى وتُرْمَى عَشِيرتى (٤) * تُصِبْ جائحاتُ (٥) النَّبْلِ كَشْحِى ومَنْكِبِى

قال حدّثنا أبو الخطاب قال حدّثنا الوليد بن مسلم عن محمد بن السائب البكْرى عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حَقُّ كبيرِ الإخْوَةِ على صَغيرِهم كحَقّ الوالد على ولده" .

والعرب تقول فى العطف على القرابة وإن لم يكن وادًّا : "أنفُكَ منكَ وإن ذَنّ" (٦). ومثله : "عِيصُكَ (٧) منك وإن كان أَشِبًا" .

وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

إذا كنتَ من سَعْدٍ وأُمُّكَ فيهمُ * غريبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ من سعدِ

فإن ٱبنَ أُختِ القوم مُصْغًى (٨) إناؤه * إذا لم يُزاحِم خالَه بِأَبٍ جَلْدِ

وقال أُميّة بن أبى عائذ لإياس بن سَهْم :

أبلغ إياسًا أنّ عِرض ٱبنِ أُختِكم * رِداؤك فَٱصْطَنْ (٩) حُسْنَه أو تَبَذَّلِ

---

(١) ذكر هذان البيتان فى الحماسة ضمن أبيات يقال : إنها لجندل بن عمر. (٢) كذا فى ديوان الحماسة ، وفى الأصل : «آل حزم» . وفيه بدل «لحوشب» «بحوشب» . (٣) فى ديوان الحماسة : «و إن كان لى مولى» . وقد أشار شارحه الى رواية الأصل وقال : إنه بها دخله الكف وهو حذف السابع الساكن من مفاعيلن ، وهو قبيح فى غير الهزج . قال شارح الحماسة : «وليس فى الحماسة بيت مكفوف غيره» . ثم قال : «و يروى مولى لى ، فعلى هذا يسلم من الزحاف . والأولى أشبه بطريقة الشعراء ، ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان : مولاى و بنى أبى» . (٤) فى الحماسة : «كنانتى» وقيل أراد بالكنانة مولاه .

(٥) فى الحماسة : «جانحات» بالنون أى كاسرات الجناح ، يقال : جنحه إذا كسر جناحه ، و يجوز أيضا أن يكون جانحات من جنح اليه اذا مال . وأشار شارح الحماسة الى الرواية التى وردت بالأصل ولكنه استحسن الأولى لأنه لا يقال : رماه فأجاحه . (٦) ذنّ : سال مخاطه وفى مجمع الأمثال : «وان كان أَذَنَّ» . (٧) العيص : الجماعة من السدر تجتمع فى مكان واحد . والأشب : شدّة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه . (٨) مصغى إناؤه : منقوص حقه ، يقال : أصغى فلان إناء فلان اذا أماله ونقصه حظه . (٩) اصطن : صن واحفظ ، أمر من ٱصطان ، وهو الافتعال من صان . وتبذل : ٱمتهن .

فإن تكُ[1] ذا طَوْلٍ فإنى ٱبنُ أختِكم * وكلُّ ٱبنِ أختٍ من مَدَى الخالِ مُعْتَلِى[2]
فكن أسـدًا أو ثعلبًا أو شبيهَه * فمهما تكن أُنْسَبْ إليـك[3] وأُشْكَلِ
وما ثعلبٌ إلا ٱبنُ أختِ ثعالبٍ * وإن ٱبن أختِ الليث رِئبالُ أَشْبُلِ

وكتب بِشْر بن المُغيرة بن أبى صُفْرة إلى عمِّه بهذه الأبيات :

٥ جفانى الأميرُ والمغـيرةُ قد جفا * وأمسى يزيدُ لى قد ٱزْوَرَّ جانبُهْ
وكُلُّهم قـد نال شِـبْعًا لبطنه * وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُهْ
فيـا عَمِّ مَهْلا وٱتّخِـذْنى لنـوبةٍ * تنوب ، فإن الدّهرَ جَمٌّ عجائبُـهْ
أنا السيف إلا أن للسيفِ نَبْوَةً * ومثلِى لا تنبُـو عليك مَضـارِبُهْ

دخل رجل من أشراف العرب على بعض الملوك ، فسأله عن أخيه ، فأوقع به
١٠ يَعيبه ويَشتُمه ، وفى المجلس رجل يَشْنَؤه فشرَع معه فى القول ، فقال له : مهلا ! إنِّى لآكُلُ لحمى ولا أدَعُه لآكِلٍ .

ويقال : القرابةُ محتاجة الى المودّة ، والمودّةُ أقربُ الأنساب . والبيتُ المشهور فى هذا :

فإذا القرابة لا تُقرِّبُ قاطعًا * واذا المودّة أقربُ الأنسابِ

وقيل لبُزُرْجِمْهر : أخوك أحبّ إليك أم صديقُك ؟ فقال : إنما أُحِبّ أخى اذا
١٥ كان صديقا .

وقال خِداشُ بن زُهَيْر :

رأيتُ ٱبنَ عمّى باديًا لِىَ ضِغْنُـه * ووَاغِرُه فى الصدر ليس بذاهبِ

وأنشدنا الرِّياشىّ :

حيـاةُ أبى السيّارِ خـيرٌ لقومه * لمن كان قد ساس الأمورَ وجرّبَا
٢٠ ونَعتِبُ أحيانا عليـه ولو مضى * لكنّا على الباقى من النـاس أعتبَا

---

(١) كذا فى كتاب أشعار الهذليين ، وهو الذى يتفق مع السياق بعده ، وفى الأصل : «فان أك» ...
(٢) فى كتاب أشعار الهذليين : «مغتلى» بالغين المعجمة ، واغتلى : ارتفع . (٣) كذا فى أشعار الهذليين . وفى الأصل : « اليه » .

وقال الشاعر :

ولم أر عِزًّا لامرئ كعشـيرِهِ (١) * ولم أر ذُلًا مثـل نأْيٍ عن الأهلِ

ولم أر مثـلَ الفقر أوضعَ للفتى * ولم أر مثـلَ المـالِ أدفعَ للرذْلِ

ولم أر من عُدْمٍ أضرَّ على الفتى * إذا عاش وسْطَ الناسِ من عَدَمِ العقلِ

كان مُهَلهِلٌ صار الى قبيلة من اليمن يقال لهم جَنْبٌ، فخطبوا اليه فزوّجهم وهو ٥
كارهٌ لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أَدَمًا (٢)، فقال :

أنكحها فقدُها الأراقِـمَ (٣) فى * جَنْبٍ وكان الحِباء من أدَمِ

لـو بأبانَيْنِ (٤) جاء يخطُبُها * رُمِّلَ (٥) ما أنفُ خاطبٍ بدمِ

وقال الأعشى :

ومن يَغْترِبْ عن قومه لا يَزَلْ يرى * مَصارِعَ مظلـومٍ مَجَرًّا ومَسْحَبَا ١٠

وتُدفَنُ منه الصالحات وإن يُسِئْ * يكن ما أساء النارَ فى رأس كَبْكَبَا (٦)

وربّ بقيـعٍ لو هتفتُ بجَـوِّهِ * أتانى كريمٌ يُنغِضُ (٧) الرأس مُغْضَبَا

وقال رجل من غطَفَان :

إذا أنت لم تستبقِ وُدّ صِحابةٍ * على دَخَنٍ (٨) أكثرت بثَّ المعاتبِ

(١) عشيره : قبيلته . (٢) الأدم : اسم جمع للأديم، والأديم : الجلد ما كان، وقيل : ١٥
الأحمر، وقيل : المدبوغ . (٣) الأراقم : حىّ من تغلب وهى قبيلته . (٤) أبانين :
تثنية أبان، وهما جبلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض، وللآخر : أبان الأسود . (٥) رمل :
خضب بالدم . وفى الأغانى (ج ٤ ص ١٤٦ طبع بولاق) ومعجم البلدان : « ضرّج » .
(٦) كبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها . (٧) ينغض الرأس : يحرّكه كالمستفهم عما
يقال له . (٨) على دخن : على كدورة . وأصل الدخن (بالتحريك) : مصدر دخِنت النارُ اذا ألق ٢٠
عليها حطب رطب وكثر دخانها، وأن يكون لون الدابة أو الثوب كدرا الى سواد .

وإنّى لأستبقِى آمرأ السَّوْءِ عُدّةً * لعَدْوةِ عِرّيضٍ[١] من الناس عائِبِ
أخافُ كلابَ الأبعَدِين ونَبْحَها * إذا لم تُجاوِبها كلابُ الأقارِبِ

قال رجل لعُبَيْد الله بن أبى بَكْرة : ما تقول فى موت الوالد؟ قال: مِلْك حادث؛ قال : فموت الزوج ؟ قال : عُرْس جـديد ؛ قال : فموت الأخ ؟ قال : قَصّ الجَناح؛ قال : فموتُ الولد ؟ قال : صَدْعٌ فى الفؤاد لا يُجْبر .

وكان يقال : العُقوقُ ثُكْل من لم يَثْكَل .

شكا عثمان عليًا الى العباس رضى الله عنهم، فقال : أنا منه كأبى العاقّ، إن عاش عقّه وإن مات فَجَعَه .

وقال رجل لأبيه : يا أبتِ، إن عظيم حَقِّك علىّ لا يُذْهِب صغيرَ حقّى عليك، والذى تَمُتّ به الىّ أمتّ بمثله إليك، ولستُ أزعم أنّا على سَوَاء .

وقال زيد بن على بن الحسين لأبنه يحيى : إن الله لم يَرْضَك لى فأوصاك بى، ورَضِينى لك فلم يُوصِنى بك .

غضب معاوية على يزيدَ آبنــه فهجره ؛ فقال له الأحنفُ : يا أمير المؤمنين ، أولادُنا ثِمارُ قلوبنا وعِمادُ ظهورنا، ونحن لهم سماء ظَلِيلة، وأرض ذليلة، فإن غَضِبوا فأَرْضِهم، وإن سألوا فأعْطِهم، ولا تكن عليهم قُفْلا فيَمَلُّوا حياتك ويَتمنّوْا موتَك .

قيل لأعرابىّ : كيف آبنُك؟ —وكان عاقًا— فقال: عذابٌ رَعِف[٢] به الدّهر، فليتنى قد أودعتُه القبر، فإنه بَلاء لا يُقاومه الصبر، وفائدةٌ لا يجب فيها الشكر .

قيل لبعضهم : أىّ ولدك أحبّ اليك ؟ قال : صغيرُهم حتى يكبَر، ومريضُهم حتى يبرَأ، وغائبُهم حتى يَقدَم .

---

(١) العرّيض : الذى يتعرّض للناس بالشرّ . (٢) رعف (بكسر عينه) : سبق وتقدّم .

ناول عمرُ بن الخطاب رجلا شيئا ، فقال له : خدمك بنوك ؛ فقال عمر : بل أغنانا الله عنهم .

ووُلِد للحسن غلام ، فقال له بعضُ جلسائه : بارك الله لك فى هِبَته ، وزادك من أحسنِ نعمتِه ؛ فقال الحسن : الحمد لله على كلّ حسنة ، ونسأل اللهَ الزيادةَ فى كل نعمة ، ولا مرحبًا بمن إن كنتُ عائلا أنصبنى ، وإن كنت غنيا أذهلنى ، لا أرضى بسعيي له سعيا ، ولا بكدّى له فى الحياة كدّا ، حتى أُشفِق له من الفاقة بعد وفاتى ، وأنا فى حالٍ لا يصل الىّ من غمّه حزن ولا من فرحه سرور .

قال الأصمعىّ : عاتب أعرابىٌّ ابنَه فى شرب النبيذ ، فلم يُعْتِبْ[1] وقال :

أمِن شَربةٍ من ماء كَرْمٍ شَرِبتَها * غضِبتَ علىّ ! الآن طابَ لىَ الخمرُ

سأشربُ فاْغضَبْ لا رَضِيتَ ، كلاهما * إلىّ لذيذٌ : أن أُعقَّك والسُّكْرُ

وقال الطِرِمّاح لابنه صَمْصامَة :

أصمصامُ إن تشفَع لأمّك تَلْقَهَا * لها شافعٌ فى الصدرِ لم يتَبرّح

هل الحبُّ إلّا أنّها لو تعرّضتْ * لذبحك يا صمصامُ قلت لها اذبحى

أُحاذِر يا صمصامُ إن مُتُّ أن يلى * تُراثي وإيّاك امرؤٌ غيرُ مُصْلِح

إذا صَكّ وسْط القومِ رأسَك صَكّةً * يقول له النّاهي مَلَكتَ فأسْجِح[2]

وأنشد ابن الأعرابىّ :

أُحبّ بُنَيّتِي ووددتُ أنى * دَفَنتُ بُنَيّتى فى قَعْرِ لَحْدِ

وما بِى أن تهونَ علىَّ لكن * مخافةَ أن تذوقَ البؤسَ بعدِى

---

(١) لم يعتِبْ : لم يرضه ولم يرجع عن الشراب الذى غضب عليه من أجله . (٢) أسجح : اعف واصفح .

ونحوه قول الآخر :

لولا أُمَيْمةُ لم أجزَعْ من العَـدَمِ * ولم أَجُبْ فى الليالى حِندِسَ الظُّلَمِ

وزادنى رغبةً فى العيش معرفتى * ذُلّ اليتيمة يجفوها ذوو الرَّحِمِ

أُحاذِر الفقرَ يوما أن يُلِمّ بهـا * فيهتِكَ السِّترَ من لحمٍ على وَضَمِ

٥ تهوَى حياتى وأهوَى موتَها شَفَقًا * والموتُ أكرمُ نزّالٍ على الحُـرَمِ

وقال أعرابىّ فى ٱبنته :

يا شِقّةَ النفسِ إن النفس والهـةٌ * حَرّى عليـكِ ودمعُ العين مُنسجِمُ

قد كنتُ أخشى عليها أن تُقَدّمنى * الى الحِمام فيُبدِى وجهَها العَـدَمُ

فالآن نِمتُ فـلا همٌّ يؤرّقُنى * تَهْـدا العيونُ اذا ما أودتِ الحُرَمُ

١٠ وقال أعشى سُلَيْم :

نفسِى فِداؤكَ من وافدٍ * إذا ما البيوتُ لبِسن الجليدا

كفيتَ الذى كنتُ أُرْجَى له * فصِرتَ أبًا لى وصرتُ الوليدا

وقال أعشى هَمْدان فى خالد [بن عَتّاب] بن وَرْقاء :

فإن يكُ عَتّابٌ مضَى لسبيله * فما مات من يَبْقَى له مثلُ خالدِ

١٥ وفى الحديث المرفوع : "رِيحُ الولد من رِيح الجنّة" . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد ٱبنَىْ بنته : "إنّكم لَتُجَبِّنُون وإنكم لتُبَخِّلون وإنكم لمِنْ رَيْحانِ الله".

وقالت أعرابية :

يا حبّـذا رِيحُ الولَدْ * رِيحُ الخُزامَى بالبَـلَدْ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : هذا يدلّك على تفضيلهم الخُزامَى .

٢٠ وكان يقال : ٱبنُك رَيحانُك سَبْعا، وخادمك سبعا، ثم عدوٌّ أو صديق .

مرّ أعرابىٌّ يَنشُدُ ٱبنا له بقوم، فقالوا : صِفه، فقال: دُنَيْنِيرٌ، قالوا : لم نَرَه، فلم يَلبثِ القومُ أن جاء على عُنقه بجُعَلٍ، فقالوا : ما وجدتَ ٱبنَك يا أعرابىّ؟ قال: نعم هو هـذا، قالوا : لو سألتَ عن هذا لأخبرناك، ما زال منذُ اليومِ بين أيدينا .

قال الشاعر فى آمرأة :

نِعمَ ضَجِيعُ الفتى اذا بَرد الـ * ـليلُ سُحَيراً وقَرقَفَ الصَّرِدُ (١)

زيّنها الله فى العيون كما * زُيِّنَ فى عين والدٍ ولـدُ ٥

وفى الحديث : "من كان له صبىٌّ فَلْيَسْتَصبِ له" .

وقال الزبير وهو يرقّص ٱبناً له :

أبيضُ من آل أبى عَتيقِ * مباركٌ من ولد الصِّدِّيقِ

* ألذّه كما ألَذُّ رِيقى * ١٠

وقال أعرابىّ :

لولا بُنَيّاتٌ كزُغْبِ القَطَا * حُطِطْن من بعضٍ الى بعضِ (٢)

لكان لى مُضْطَرَبٌ واسعٌ * فى الأرض ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ

وإنما أولادُنـا بيننـا * أكبادُنا تمشى على الأرضِ

لو هبّتِ الريحُ على بعضهـم * لامتنعتْ عينى من الغَمْضِ ١٥

أنزلنى الدهرُ على حكمه * من مَرْقَبٍ عالٍ الى خَفْضِ

وٱبتزّنى الدهرُ ثيابَ الغِنى * فليس لى مالٌ سوى عِرْضى

قال بعض النَّسّابين : إنما قيل : سَعْدُ العشيرة، لأنه كان يركب فى عشرة من ولده، فكأنهم عشيرة .

(١) قرقف : أرعد من البرد . والصرد : الرجل القوىّ على البرد . (٢) رويت هذه الأبيات فى الأمالى ج ٢ ص ١٨٩ طبع دار الكتب المصرية ببعض مخالفة عما هنا، وذكرت أيضا فى الحماسة بشرح التبريزى طبع أوروباص ١٤١ وفيها اختلاف فى الرواية وتقديم وتأخير فى ترتيب الأبيات، ونسبت الى حطّان بن المعلى . ٢٠

وقال ضِرار بن عمرو الضَّبىّ، وقد رُئى له ثلاثةَ عشرَ ذكرا قد بلغوا : من سَرّه بنوه ساءَتْه نفسُه .

قال بِشر بن أبى خازم :

اذا ما عُلُوا قالوا أبونا وأُمّنا * وليس لهم عَالِين(١) أمٌّ ولا أبُ

٥ وقال آخر :

أنا ٱبنُ عمّك إن نابتك نائبةٌ * وليس منك اذا ما كَعْبُك ٱعتدلا

وأنشدنا الرِّياشىّ :

الرّحَم بُلَّها بخير البُلّانْ(٢) * فإنّ فيها للدّيارِ العُمْرانْ

وآمر المال و بنت الصّغرانْ(٣) * و إنما ٱشتُقّت من ٱسم الرحمنْ

١٠ وقال المَعْلُوط :

ومَنْ يلقَ ما ألقَ وإن كان سيِّدا * ويخشَ الذى أخشى يَسِرْ سيرَ هارِبِ

مخافةَ سلطانٍ علىّ أظنُّه * ورَهْطِى، وما عاداك مثلُ الأقارب

دخل عثمان بن عفّان على ٱبنته وهى عند عبد الله بن خالد بن أَسِيد، فقال : يا بنيَّة : مالى أراكِ مهزولةً ؟ لعلّ بَعْلَكِ يُغيرِك(٤)، فقالت : لا، ما يُغيرنى ؛ فقال

١٥ لزوجها : لعلّك تُغيرها ! قال : فأفعل، فَلَغلامٌ يزيده الله فى بنى أمية أحبُّ الىّ منها .

---

(١) عالين : حال من الضمير فى «لهم» . (٢) بلّ الرحم يبلها (بضم الباء) بلا و بلالا : وصلها ونَدّاها . والبلّان : قال ابن سيده : «يجوز أن يكون البلان اسما واحدا كالغفران والرجحان وأن يكون جمع بلل» . (٣) كذا بالأصل ولم نوفق اليه فى مصدر آخر، وقد أورد فى اللسان مادة بلل هذا الشعر مقتصرا فيه على صدر البيت الأوّل وعجز البيت الثانى . (٤) أغار الرجل امرأته : تزوّج من

٢٠ أخرى فأحدث عندها الغيرة .

قال النعمانُ بن بَشِير :

وإنى لأَعطِى المالَ مَنْ ليس سائلا * وأُدْرِكُ للمولى المعانِدِ بالظلمِ

وإنى متى ما يَلْقَنى صارما له * فما بيننا عند الشدائد من صُرْمِ

فلا تَعْدُدِ المولى شريكَكَ فى الغِنى * ولكنما المولى شريكُكَ فى العُدْمِ

إذا مَتّ ذو القُرْبى اليك بِرِحْمِهِ * وغَشّك واستغنى فليس بذى رِحْمِ ٥

ولكنّ ذا القربى الذى يستخفّه * أذاكَ ومَنْ يرمِى العدوَّ الذى تَرمِى

وقال بعضُ الشعراء :

لقد زاد الحياةَ الىّ حبّا * بناتى أنّهن من الضِّعافِ

مخافةَ أن يَرَيْنَ البؤسَ بعدى * وأن يشرَبْنَ رَنْقًا بعد صافى

وأن يَعْرَيْنَ إن كُسِىَ الجوارِى * فتنبو العينُ عن كَرَمٍ(١) عِجافِ ١٠

قيل لعلىّ بن الحسين : أنت من أبرِّ الناس ولا نراك تؤاكِل أمَّك، قال : أخاف أن تَسبِق يدى الى ما قد سبقتْ عينُها اليه فأكونَ قد عَقَقْتُها .

قيل لعمرَ بن ذَرّ : كيف كان بِرّ ابنك بك؟ قال : ما مشيتُ نهارا قط إلا مشى خلفى، ولا ليلا إلا مشى أمامى، ولا رَقِىَ سطحًا وأنا تحته .

حدّثنى محمد بن عُبَيد عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عَطاء بن السائب عن ١٥ عثمان بن أبى العاص قال : كنت عند عمر فأتاه رجل فأنشده :

تركتَ أباكَ مُرْعشَةً يداه * وأُمَّكَ ما تُسِيغ لها شرابا

اذا غَنَّتْ حمامةُ بطنِ وَجٍّ * على بَيْضاتها ذكرتْ كِلابا

فقال عمر : ممّ ذاك؟ قال : هاجر الى الشأم وترك أبوين له كبيرين، فبكى عمر وكتب الى يزيدَ بن أبى سفيان فى أن يُرَحِّله، فقدِم عليه، فقال : بَرّ أبويك وكن معهما ٢٠

(١) كرم : كريمات : واذا وصف بالمصدر التزم فيه الإفراد والتذكير .

حتى يموتا . قال أبو اليقظان : مُرَبَّعة كِلاب بالبصرة اليه تنسب ، والعوامّ تقول مُرَبّعة الكلاب .

قال أبو عليّ الضَّرير :

أتيتُك جَذْلانَ مستبشرًا * لبُشراك لما أتانى الخبرْ

٥ أتانى البشيرُ بأن قد رُزِقْتَ * غلاما فأبهجنى ما ذَكَرْ

وأنّك ، والرشدُ فيما فعلـ * ـتَ ، أسميته بآسم خيرِ البشرْ

وطهَّرتَه يوم أسبوعه * ومن قبلُ فى الذِّكْرِ ما قد طَهُرْ[١]

فعمّرك الله حتى ترا * ه قد قارب الخَطْوَ منه الكِبَرْ

وحتى ترى حولَه من بَنِيه * وإخوتِه وبنيهم زُمَرْ

١٠ وحتى يروم الأمورَ الجِسامَ * ويُرْجَى لنفع ويُخْشَى لضُرّْ

وأوزعك[٢] الله شكرَ العطاء * فإن المزيد لعبدٍ شَكَرْ

وصلّى على السَّلَف الصالحيـ * ـن منكم وبارك فيمن غَبَرْ[٣]

وهذا قد وقع فى باب التهانئ أيضا .

قال المأمون : لم أر أحدًا أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من برّه به أن يحيى

١٥ كان لا يتوضّأ إلا بماء مسخَّن وهما فى السجن ، فمنعهما السجّان من إدخال الحطب فى ليلة باردة ، فقام الفضل حين أخذ يحيي مَضْجَعه الى قُمْقُم[٤] كان يُسَخّن فيه الماء ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائما وهو فى يده حتى أصبح .

---

(١) ما هنا زائدة . ولعل المهنأ من آل البيت ، فأشار بطهارته فى الذكر الى قول الله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . (٢) أوزعك : ألهمك ، وفى الأصل :

٢٠ «أودعك» . (٣) غبر : بقى ، ويستعمل كذلك بمعنى مضى وذهب فهو من الأضداد .

(٤) قمقم : إناء من نحاس .

رقص أعرابي ٱبنه وقال :

أُحِبّه حبَّ الشّحيح مالَهْ * قد كان ذاق الفقرَ ثم نالَهْ

* إذا يُريد بَذْلَه بدا لَهْ *

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ٱبنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال : هـذه تُفّاحة القلب ، فقال : ٱنبِذها عنك ، قال : ولم ؟ قال : لأنهنّ يَلِدْن الأعداء ، ويُقَرِّبْن البُعَداء ، ويُورِثْن الضغائن ، فقال : لا تقُلْ ذاك يا عمرو ، فوالله ما مرّض المرضى ولا نَدَب الموتى ولا أعان على الأحزان مثلهن ، وإنك لواجدٌ خالا قد نفعه بنو أُخته ، فقال له عمرو : ما أعلمك إلا حَبّبتَهنّ الىّ .

الاعتـــذار

كان يقال : الاعتراف يَهْدِم الاقتراف .

كتب بعض الكُتّاب الى بعض العمال : لو قابلت حقّك علىّ بمتقدِّم المودّة ومُؤكَّد الحُرْمة الى ما جدّده الله لك بالسلطان والوِلاية ، لم أرْضَ فى قضائه بالكِتاب دون تَجَشُّم الرِّحلة ومُعَاناة السفر اليك ، لا سيما مع قُرْب الدار منك ، غير أن الشغل بما ألفيتُ عليه أمورى من الانتشار وعلائق الخراج وغيرِ ذلك مما لا خِيار معه ، أحلّنى فى الظاهر محلّ المُقَصّرين ، وإن وهب الله فُرْجةً من الشغل وسهّل سبيلا اليك ، لم أتخلّف عمّا لى فيه الحظّ من مجاورتك والتنسّم بريحك والتيمّن بالنظر اليك ، غاديا ورائحا عليك ، إن شاء الله تعالى .

كتب ابن الجهم الى نجاح من الحبس[1] :

إن تَعْفُ عن عبدك المسيء ففى * فضلك مأوًى للصَّفْح والمِنَنِ

أتيتُ ما أستحقّ من خطأ * فعُدْ لما تستحق من حَسَنِ

(١) فى الأصل : «أبو الجهم» وهو تحريف .

وكتب الحسن بن وهب :

ما أحسنَ العفوَ من القادرِ * لا سيّما عن غير ذى ناصرِ
إن كان لى ذنبٌ، ولا ذنبَ لى، * فماله غيرَك من غافـرِ
أعـوذ بالودّ الذى بيننـا * أن يُفْسَد الأولُ بالآخرِ

٥ كتب رجلٌ الى جعفر بن يحيى يستبطئه، فوقَّع فى ظهر كتابه : أحتجّ عليك بغالب القضاء، وأعتذر اليك بصادق النيّة .

قال بعض الشعراء :

وتعـذِر نفسَك إمّا أسأتَ * وغيرَك بالعُـذرِ لا تعـذِر
وتُبْصِر فى العين منه القذى(١) * وفى عينك الجذع لا تُبْصِر

١٠ وقال بعض الشعراء :

ياذا المُمَـيِّزُ للإخـاءِ ولِا * إخوانِ فى التفضيل والقَدْرِ
لا يَقْبِضنَّك عن معـاشرتى * بالأُنس أن قَصّرتَ فى برّى
إنى اذا ضاق آمرؤ بجَـدًا(٢) * عنّى آستعنتُ عليه بالعذرِ

وفى الحـديث المرفوع : "من لم يَقْبَل من معتذرٍ صادقًا كان أو كاذبا لم يَرِدْ ١٥ علىّ الحوض" . وفيه : "أقِيلوا ذوى الهَنَاتِ عَثَراتِهم" .

اعتذر رجل الى أبى عبيد الله الكاتب فقال : ما رأيتُ عذرا أشبه بآستئنافِ ذنبٍ من عُذْرك .

وكان يقال : أعجلُ الذنوب عقوبةً العذرُ، واليمينُ الفاجرة، وردُّ التائبِ وهو يسأل العفو خائبا .

---

٢٠ (١) فى الأصل : «وتبصر فى الغير منك القذى» . وفى الحـديث : «يبصر أحد كم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذل فى عينه» . والجِذل : ما عظم من أصول الشجر، وقيل : هو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل . (٢) الجدا (وزان فتى) : العطية .

وقال مُطَرِّف : المَعَاذِرُ مَكَاذِبُ[1] .

اعتـذر رجل الى إبراهيم[2] فقال له : قد عذرتُك غير معتذرٍ، إن المعاذير يشوبُها الكذب .

ويقال . ما ٱعتذر مذنبٌ إلا ٱزداد ذَنْبا .

وقال الشاعر :

لا تَرْجُ رجعــةَ مذنبٍ * خلَط ٱحتجاجًا باعتذارِ

اعتذر رجل الى سَلْم[3] بن قتيبة، فقبل منه وقال : لايدعونّك أمر تخلّصتَ منه الى أمر لعلك لا تتخلص منه .

وقال الشاعر :

فلا تَعْـــذِرانى فى الإساءة إنه * شِرارُ الرجال مَنْ يُسىء فيَعْتَذِرُ

وقال ٱبن الطَّثْرِيّة :

هَبِينى ٱمرأً إما بريئًا ظلمتِه * وإما مُسِيئا تاب بعدُ وأَعْتَبَا

وكنتُ كذِى داءٍ تَبَغّى لدائه * طبيبا فلمـا لم يجِدْه تَطَبَّبـا

كتب بعض الكتّاب معتذرا : توهّمت، أعزك الله، نَفْرَتَك عند نظرتك الى عنوان كتابى هذا بٱسمى، لمـا تضمّنْتَه من السَّخيمة علىّ، فأخليتُه منه، وانتظرت باستعطافك من طويّتـك فىّ عاقبةَ ٱمتـدادِ العهد، وأمِنتُ ٱضطغانَك لنفى الدّينِ الحقـد، وٱختصرتُ من الٱحتجاج المنتسِب الى الإصرار، والاعتذارِ المتعاوَد بين النُّظَراء، والإقرار المثبِّت للأقدام، الٱستسلامَ لك . على أنك إن حرمتَنى رِضاك ٱتّسعتُ بعفوك، وإن أَعْدَمتنِيهما توَغُّر صدرك لم تَضِق من الرّقة علىّ من مُصيبة

---

(١) هو مطرف بن الشخير. والمعاذر : جمع معذرة بمعنى العذر، والمكاذب : جمع الكذب كالمحاسن والمقابح، وهو كقولهم : ان المعاذير يشوبها الكذب . (٢) هو ابراهيم النخعىّ .

(٣) فى الأصل : « سالم » وهو تحريف .

الحِرْمان ؛ وإن قسوتَ رجعتْ بك عواطفُ من أياديك عندى نازعةٌ بك الى ٱستتمامها لدىّ . ومن حدود فضائل الرؤساء مقابلةُ سُوء من خُوّلوا بالإحسان . ولا نعمةَ على مُجْرم اليه أجزلُ من الظفر ، ولا عقوبةَ لمجرِمٍ أبلغُ من الندم ؛ وقد ظفِرتَ وندمتُ . كتبتُ وأنا على ما تُحِبّ بِشْرًا[1] إن تغمدت زَلّتى ، وكما تُحب ضرًّا إن تركتَ إقالتى ، وبخيرٍ فى كلتا الحالتين ما بَقِيتَ .

٥

وكتبتُ فى كتاب ٱعتذار وٱستعطاف : كم عسى أن يكون ٱنتظارِى لعطفك ! وكم عسى أن يكون تماديك فى عَتْبك ؛ لولا أنى مضطرٌّ الى وصلك وأنت مطبوع على هجرى . لقد ٱستحييتُ وٱستحييتَ من ذُلّى وعِزّك ، وخَفْضى جَنَاحِى ونأْيِ بجانبك .

١٠

وفى كتاب آخر : قد أودعنى الله من نِعمك مابَسطنى فى القول مُدِلًّا به عليك ، ووَكّد من حُرْمتى بك ماشفَع لى فى الذنوب اليك ، وأعْلَقنى من أسبابك ما لا أخاف معه نَبَوات الزمان علىّ فيك ، وأمّنتنى بحلمك وأناتك بادرةَ غضبك ؛ فأقدمتُ ثقةً بإقالتك إن عثَرتُ ، وبتقويمك إن زُغْتُ ، وبأخذك بالفضل إن زَلَلتُ .

وفى كتاب ٱعتذار : أنا عليلٌ منذ فارقتُك ، فإن تجمعْ علىّ العلّةَ وعتبَك أُفْدِح[2] . على أن ألم الشوق قد بلغ بك فى عقوبتى ؛ وحضرنى هذا البيتُ على ٱرتجالٍ فوصلتُ به قولى :

١٥

لك الحقُّ إن تَعتِبْ علىّ لأننى * جَفَوتُ وإمّا تَغْتفِر فلك الفضلُ

أنهيتُ عذرى لأنتهى الى تَفضُّلك بقبوله وإن أَبَلْكَ[3] يَمْحُ إفراطى فى البرّ بك تفريطى فيه ، والى ذلك ماأسألك تعريفى خبرَك لأُراحَ اليه ، وأستزيدُ الله فى أَسْره لك .

٢٠

(١) فى الأصل : «شرا» . (٢) أفدح : أبهظ وأثقل . (٣) من هنا الى آخر الكتاب غير واضح فى الأصل وقد أثبتناه هكذا جهدما وصلت اليه الطاقة ، على أنا لم نعثر على هذا الكتاب فى مصدر آخر .

وفى فصل آخر :

أنا المُقِرّ بقصورى عن حقِّك، وآستحقاقى جفاءَك، وبفضلك من عَذْلك أعوذ، فوالله لئن تأخّر كتابى عنك، ما أستزيد نفسى فى شكر مودّتك، ولطيف عنايتك. وكيف يَسْلاكَ أو ينساك أخٌ مُغرَمٌ بك يراك زِينةَ مَشْهده ومَغِيبه !.

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ ✱ عندى ولا بالذى أوليتَ من نِعَمِ

وفى آخر الكتاب :

إذا آعتذر الصديقُ اليك يوما ✱ من التقصير عذرَ أخٍ مُقِرِّ

فَصُنْه عن عتابك وآعفُ عنه ✱ فإن الصفح شيمةُ كلِّ حرِّ

وقال الخليل بن أحمد :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتَنى ✱ أو كنتُ أجهل ما تقول عذَلتُكا[1]

لكن جَهِلتَ مقالتى فعذلتَنى ✱ وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتُكا

قيل لبُزُرْجِمهر : ما بالُكم لا تُعاتِبون الجَهَلَة، قال : لأنا لا نريد من العُمْيان أن يُبْصِروا .

وقال آبن الدُّمَيْنة :

بنفسى وأهلى مَنْ اذا عرَضُوا له ✱ ببعض الأذى لم يَدْرِ كيف يُجِيبُ

ولم يعتذِرْ عذرَ البرىء ولم تزل ✱ به ضَعْفةٌ[2] حتى يقالَ مُرِيبُ

وكتب رجلٌ الى صديق له يعتذر : أنا من لا يُحاجُّك عن نفسه، ولا يُغالِطك عن جُرْمه، ولا يلتمس رضاك إلّا من جِهته، ولا يستعطفك إلا بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلّا بالاعتراف بالزَّلة .

(١) فى الأصل : « أو كنت أعلم ما أقول عذلتكا » وهو خطأ من الناسخ . (٢) فى حماسة أبى تمام : « سكتة » . وفى بعض كتب الأدب : « بهتة » .

وقرأت فى كتاب : لستُ أدرِى بأىّ شىء آستجزتَ تصديقَ ظنك حتى أنفذتَ علىّ به حكمَ قَطيعتِك ، فوالله ما صَدَق علىّ ولا كاد ، ولا آستجزتُ ما توهّمته فيمن لا يلزمنى حقُّه . وأُعيذك بالله من بِدارٍ الى حكمٍ يُوجب الاعتذار ، فإن الأناةَ سبيلُ أهـلِ التّقى والنُّهَى ، والظنُّ والإسراعُ الى ذوى الإخاء يُنتِجان الجفاءَ ، ويُميلان عن الوَفاءِ الى اللَّفاء (١) .

قال إسماعيل بن عبد الله وهو يعتذر الى رجل فى آخر يوم من شعبانَ : والله فإنّى فى غُبّرِ (٢) يومٍ عظيم ، وتلقاءَ ليلة تَفْتَرُّ عن أيامٍ عظامٍ ، ما كان ما بلغك .

وقرأتُ فى كتاب معتـذرٍ : إنك تُحْسِن مجاورتَك للنعمة ، وآستدامتَك لها ، واجتلابَك ما بَعُد منها بشكر ما قَرُب ، واستعمالَك الصفحَ لِما فى عاقبتِه من جميل عادة الله عندك ، ستقبَلُ العذر على معرفةٍ منك بشناعة الذنب ، وتُقِيل العثرةَ وإن لم تكن على يقينٍ من صدق النيّة ، وتدفع السيئةَ بالتى هى أحسن .

اعتـذر رجلٌ الى جعفر بن يحيي البرمكى ، فقال له جعفر : قد أغنـاك الله بالعذر منّا عن الاعتذار ، وأغنانا بالمودّة لك عن سوء الظن بك .

وقال بعض الشعراء :

إذا ما آمرؤٌ من ذنبه جاء تائباً * إليك فلم تَغْفِر له فلك الذنبُ

كان الحسن بن زيد بن الحسن واليا للمنصور على المدينة ، فهجاه وَرْدُ بن عاصم المُبَرْسَم فقال :

له حقٌّ وليس عليـه حقٌّ * ومهما قال فالحَسَنُ الجميلُ

وقد كان الرسول يَرى حقوقا * عليـه لأهلها وهو الرسولُ

---

(١) اللفاء : اليسير الحقير ، يقال : رضى فلان من الوفاء باللفاء ، أى رضى من حقه الوافى بالقليل .

(٢) غبر يوم : بواقيه ، جمع غابر .

فطلبه الحسن فهرب منه، ثم لم يشعر إلا وهو ماثِل بين يديه يقول :

سيأتى عُذرِىَ الحسنَ بن زيدٍ * وتَشْهَدُ لى بِصفِّينَ القبورُ

قبورٌ لو بأحمدَ أو علىٍّ * يلوذ مُجيرِها حُفِظ المُجيرُ

هما أبَوَاك مَنْ وَضعا تَضعْهُ * وأنتَ برفع مارفَعا جديرُ

فاستخفّ الحسنَ كرمُه، فقام اليه فبسط له رداءَه وأجلسه عليه . ٥

وفى كتابٍ لمعتذرٍ : عُلُوّ الرُّتبة وآتّساعُ القدرة وآنبساطُ اليد بالسَّطْوة ، ربما أنَّسْتْ ذا الحَنَق المُحْفَظَ من الأحرار فضيلةَ العفو وعائدةَ الصَّفْح ومافى إقالة المذنب وآستبقائه من حسن السماع وجَميل الأُحدوثة ، فبعثْته على شِفاء غَيْظه، وحرَّكْته على تبريد غُلّته، وأسرعتْ به الى مُجَانبة طِباعه وركوبِ ما ليس من عادته . وهِمّتك تَجِلّ عن دناءة الحِقد، وترتفع عن لؤم الظَّفَر . ١٠

وفى فصل : نَبَتْ بى عنك غِرّة الحدَاثة فردّتْنى اليك الحُنْكَة، وباعدتْنى عنك الثقةُ بالأيام فأدنتْنى اليك الضرورةُ، ثقةً بإسراعك الىّ وإن كنتُ أبطأتُ منك، وقبولِك العذرَ وإن كانت ذنوبى قد سدّت عليك مسالكَ الصَّفْح؛ فأىُّ موقفٍ هو أدنى من هذا الموقف لولا أن المخاطبةَ فيه لك! وأىُّ خُطّةٍ هى أودَى بصاحبها من خُطّةٍ أنا راكبُها لولا أنها فى رِضاك ! . ١٥

أوقع الحجّاج يوما بخالد بن يزيد يَعيبه وينتقِصُه[(١)] وعنده عمرو بن عُتْبة : فقال عمرو : إن خالدا أدرك مَنْ قبلَه وأتعب مَنْ بعده بقديم غلَب عليه وحديثٍ لم يُسْبق اليه، فقال الحجّاج معتذرا : يآبن عُتْبة، إنا لنَسترضيكم بأنْ نَغْضب عليكم، ونستعطفكم

---

(١) الذى فى كتب اللغة : «وقع فيه : آغتابه» .

بأن ننال منكم، وقد غلَبتم على الحلم، فوثِقنا لكم به ، وعلِمنا أنكم تحبون أن تحلُمُوا ،
فتعرَّضنا للذى تحبّون .

قال المنصور لرجل أتاه تائبا معتــذِرًا من ذنب : عهدِى بك خطيبا فما هذا
السكوت ! فقال : يا أمير المؤمنين، لسنا وفدَ مُبَاهاة و إنما نحن وفد تو بةٍ ، والتو بةُ
٥ تُتَلقَّ بالآستكانة .

وقع بين أبى مسلم و بين قائد له كلام ، فأرْبَى عليه القائد الى أن قال له :
يا لَقِيط ! فأطرق أبو مسلم ، فلما سكنتْ عنه فَوْرةُ الغضب نَدِم وعلِم أنه قد أخطأ
واعتذر وقال : أيها الأمير، والله ما آنبسطتُ حتى بسطتَنى ولا نطقتُ حتى أنطقتَنى
فاغفر لى ؛ قال : قد فعلتُ ؛ فقال : إنى أُحبّ أن أستوثِقَ لنفسى ؛ فقال أبو مسلم :
١٠ سبحان الله ! كنتَ تُسِىء وأُحسِن، فلما أحسنتَ أُسِىء ! .

قال الطّائى :

وكم ناكثٍ للعهدِ قد نكَثتْ به * أمانيهِ وآستخذَى بحقّك باطلُهْ
فخاطَ له الإقرارُ بالذنب روحَه * وجثمانَه اذ لم تحُطْــه قبائلُهْ

وقال آخر :

١٥ حتى متى لا تَزال معتــذِرًا * من زلّة منك ما تُجانِبُها
لا تتّــقى عيبَها عليــكَ ولا * ينهاك عن مثلِها عواقِبُها
لَتركُكَ الذنبَ لا تقارِفــه * أيســرُ من توبةٍ تقارِبُها

قال أعرابىٌّ لآبن عمٍّ له : سأتخطى ذنبَك الى عذرِك، و إن كنتُ من أحدهما
على يقينٍ ومن الآخرِ على شـك ؛ ليتمّ المعروفُ منّى اليك ، ولتقوم الحجّـةُ منّى
٢٠ عليــك .

عَتْبُ الإخوان والتباغُض والعداوةُ

حدّثنى الزِّيادىّ قال حدّثنا عبد الوارث عن يزيدَ بن القاسم عن مُعَاذة أنها سمعت هشامَ بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا يَحِلّ لمُسلم أن يُصارِم مسلما فوقَ ثلاثٍ ، وأيّهما فعل فإنهما نا كِبَان عن الحقّ ما داما على صُرْمهما وإن ماتا لم يَدْخُلا الجنة".

قال بعض الشعراء :

سَنّ الضغائنَ آباءٌ لنا سلَفوا * فلن تَبِيدَ وللآباء أبناءُ

هذا مثل قول أبى بكر الصّدّيق رضى الله عنه : العداوةُ تُتوارثُ .

وقرأتُ فى كتاب للهند : اذا كانت المَوْجِدة عن علّة كان الرضا مرجوًّا ، واذا كانت عن غير علة كان الرضا معدوما . ومن العجب أن يطلب الرجلُ رضا أخيه فلا يَرْضى، وأعجبُ من ذلك أن يُسْخِطَه عليه طلبُه رضاه .

قال بعض المحدَثين :

فلا تَلْهُ عن كسب وُدّ العدوّ * ولا تجعلنّ صديقًا عدوّا

ولا تَغتَرِرْ بهُدُوّ امرئٍ * اذا هِيج فارق ذاك الهدوّا

وقال آخر :

احذَرْ مودّةَ ماذِقٍ[1] * شابَ المرارةَ بالحلاوه

يُحِصى العيوبَ عليك أيّام الصداقةِ والعداوه

وقال أبو الأسود الدُّؤلىّ :

اذا المرءُ ذو القربى وذو الضِّغْنِ أجحفت * به سَنَةٌ حلّتْ مصيبتُه حِقْدِى

(١) الماذق : الذى يشوب الودّ بكدر ولا يخلصه .

وقال محمد بن أبان اللّاحق لأخيه إسماعيلَ :

تلومُ على القطيعة مَن أتاها * وأنت سَنَنْتَها فى الناس قَبْلِى

وقال آخر :

ورُوِّعتُ حتى ما أراعُ من النّوى * وإن بان جيرانٌ علىّ كِرامُ

٥ فقد جعلتْ نفسى على اليأس تنطوِى * وعَيْنِى على هجر الصديق تنامُ

قال أحمدُ بن يوسف الكاتب :

ما على ذا كنّا آفترقْنا بسِنْدا[1] * دَ ولا بيننا عقَدْنا الإخاءَ

نطعنُ الناسَ بالمُثقَّفةِ السُّمْـ * ـرِ على غدْرهم وننسى الوفاءَ

قيل لأفلاطون : بماذا ينتقم الإنسانُ من عدوّه ؟ قال : بأن يزداد فضلا

١٠ فى نفسه .

وكان يقال : احذَرْ معاداةَ الذليل، فربما شَرِق بالذّباب العزيزُ .

كتب رجل من الكتّاب الى صديقٍ له تجنَّى عليه :

عَتَبْتَ علىّ ولا ذنبَ لِى * بما الذنبُ فيه ولا شكّ لَكْ

وحاذرتَ لَوْمى فبادرتَنى * الى اللومِ من قبل أن أبْدُرَكْ

١٥ فكنّا كما قيل فيما مضى * خُذِ اللّصَّ من قبل أن يأخُذَكْ

وقال آخر :

رأيتُك لما نِلتَ مالًا، ومَسّنا * زمانٌ ترى فى حدّ أنيابه شَغْبَا[2]

جعلتَ لنا ذنبا لتمنعَ نائلا * فأمسِكْ ولا تجعل غِناك لنا ذنبا

(١) سنداد : اسم موضع . (٢) الشغب : تهييج الشرّ، وفى الأصل : «شعبا» .

وقال آخر :

تُرِيدين أن أرضَى وأنتِ بخيلةٌ * ومَنْ ذا الذى يُرضِى الأخلّاءَ بالبخلِ

وَجَدِّكِ لا يَرْضَى[(١)] اذا كان عاتبا * خليلُك إلا بالمودّةِ والبَذْلِ

متى تجمعِى مَنًّا كثيرًا ونائلًا * قليلًا يُقَطِّعْ ذاك باقيةَ الوصلِ

كتب رجل الى صديقٍ له :

لئن ساءنِى أن نِلتنى بمَساءةٍ * لقد سرّنى أنّى خطرتُ ببالكِ[(٢)]

وقال آخر :

إذا رأيتُ آزورارا من أخى ثِقةٍ * ضاقتْ علىّ برُحْبِ الأرض أوطانى

فإن صددتُ بوجهى كى أُكافئه * فالعين غَضْبَى وقلبى غيرُ غضبان

وقال إبراهيمُ بن العباس :

وقد غضِبتُ فما بالَيتُم غضبِى * حتى آنصرفتُ بقلبٍ ساخطٍ راضِى

وقال زُهيرٌ :

وما يك فى عدوٍّ أو صديقٍ * تُخَبِّرك العيونُ عن القلوبِ

وقال دُرَيْد :

وما تَخْفَى الضغينةُ حيث كانت * ولا النظرُ الصحيحُ من السقيمِ

وقال آبن أبى خازم :

خُذْ من الدهر ما كَفى * ومن العيش ما صفا

لا تُلحِّنَّ بالبكا * ء على منزلٍ عفا

---

(١) فى الأصل : «وجدتك لا ترضى» . (٢) هذا البيت من قصيدة لابن الدمينة مطلعها :

قفى يا أميم القلب نقض لبانة * ونشك الهوى ثم افعلى ما بدالك

خَلِّ عنـك العتاب إن * خان ذو الـوُدِّ أو هفا
عينُ من لا يُحِبّ وصـ * ـلَك تُبدى لك الجفا

وقال أعرابىّ يذكر أعداءً :

يُزَمِّلون[1] جَنِينَ الضِّغنِ بينهـم * والضِّغنُ أَشْوهُ أوْ فى وجهه كَلَفُ[2]
إن كاتَمونا القِـلَى نمّت عيونُهـم * والعينُ تُظْهِر ما فى القلبِ أو تَصِفُ

وقال ٱبنُ أبى أميّة :

كم فَرحةٍ كانت وكم تَرْحةٍ تخرّصَتْها لِىَ فيـكَ الظنونْ
اذا قـلوبٌ أظهـرت غيرَما * تُضْمره أنبَتْـك عنها العيونْ

وقال آخر :

أما تُبْصِـر فى عيْـنَيَّ عُنوانَ الذى أُبدى

وقال آخر :

ومولًى كأنّ الشمس بينى و بينه * اذا ما ٱلتقينا ليس ممّن أُعاتِبُهْ

يقول : لا أقدِر [أن] أنظر اليه، فكأن الشمس بينى و بينه . ومثلُه :

اذا أَبصَرْتَنى أعرضتَ عنّى * كأنّ الشمس من قِبَـلِى تدورُ

وقال النَّمِر بن تَوْلَب فى الإعراض :

فصدّتْ كأنّ الشمس تحت قِناَعِها * بَدا حاجِبٌ منها وضَنّتْ بحاجِبِ

أخذه أبو نواس فقال :

يا قمرا للنِّصفِ من شَهْرِهِ * أبدى ضِياءً لثمانٍ بَقِينْ

يريد أنه أعرض بوجهه فبدا له نصفُه .

---

(١) زمل الشىء : أخفاه . (٢) الكلف : شىء يعلو الوجه كالسمسم و يعرف بالنمش .

وقال آخر فى الضغينة :

وفينا و إن قيل ٱصطلحنا تَضاغُنٌ * كما طَرّ أو بارُ الجِرابِ على النَّشْرِ [١]

وقال آخر فى نحوه :

وقد ينبُتُ المرعَى على دِمَنِ الثَّرَى * وتبقَى حَزَازاتُ النفوسِ كما هِيَا

وقال الأخطل :

إنّ الضغينةَ تَلقاها و إن قَدُمتْ * كالعُرِّ [٢] يكمُنُ حينا ثم ينتشرُ

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُستقادَ لهم * وأعظمُ الناسِ أحلاما اذا قَدَروا

وقرأتُ فى كتابٍ للهند : ليس بين عداوة الجوهريّة صلحٌ إلا ريثما ينتكث، كالماء إن أُطيل إسخانُه فانه لا يمتنع من إطفاء النار اذا صُبّ عليها .

قال سعد بن أبى وقّاص لعمّار بن ياسر : إن كنّا لنَعُدّك من أكابر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، حتى اذا لم يبق من عمرك إلا ظِمْءُ [٣] الحمار فعلتَ وفعلتَ ؛ قال : أيُّما أحبُّ اليك : مودّةٌ على دَخَلٍ أو مُصارمةٌ جميلةٌ ؟ قال : مصارمةٌ جميلةٌ ؛ قال : لله علىّ ألّا أُكلّمكَ أبدا .

وقال بعضُ الشعراء فى صديقٍ له تغيّر :

اِحْوَلَّ عنِّى [٤] وكان ينظر من * عيْنى و يَرمى بساعدى و يَدى

(١) النشر : الكلأ يهيج أعلاه وأسفله ندىٌّ أخضر تدفأ منه الابل (يكثر و برها وشحمها) اذا رعته ؛ كذا ذكره صاحب اللسان فى مادة (نشر) ، وقد ساق هذا البيت فى أبيات لعمير بن حباب ، وقال فى تفسيره : يقول : ظاهرنا فى الصلح حسن فى مرآة العين و باطننا فاسد كما تحسن أو بار الجربى عن أكل النشر وتحتها داء منه فى أجوافها . قال أبو منصور : وقيل النشر فى هذا البيت : نشر الجرب بعد ذهابه ونبات الوبر عليه حتى يخفى . قال : وهذا هو الصواب . يقال : نشر الجرب ينشر نشرا ونشورا اذا حيي بعد ذهابه » اهـ .
(٢) العرّ : الجرب . (٣) يقال : ما بقى منه إلا قدر ظمء الحمار أى لم يبق من عمره إلا اليسير لأنه يقال : إنه ليس شىء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار وهو أقل الدواب صبرا على العطش يرد الماء كل يوم فى الصيف مرتين . (٤) احولت عينه بمعنى حولت ، والمراد الإعراض والانصراف .

وقال المُثَقِّب العَبْدىّ :

ولا تَعِدى مواعِدَ كاذباتٍ * تمرّ بها رياحُ الصيفِ دونِى

فإنى لو تُعانِدنى شِمالِى * عِنادَكِ ما وصلتُ بها يمينى

اذًا لقطعتُها ولقلتُ بِينِى * كذلك أجتوِى مَنْ يجتوينى

٥ وقال الكُمَيْت :

ولكنّ صبرًا عن أخٍ عنك صابرٍ * عَزاءً اذا ما النفس حَنّ طَرُوبُها[1]

رأيتُ عِذابَ الماءِ إن حِيلَ دونها * كفاكَ لِما لابُدّ منه شَرُوبُها[2]

وإن لم يكن إلا الأسِنّةَ مركبٌ * فلا رأىَ للمَجْهـود[3] إلا ركوبُها

وقرأت فى كتابٍ للهند : العدوّ اذا أحدث صداقة لعلةٍ ألجأته اليها فمع ذهابِ

١٠ العلة رجوع العداوة، كالماء يسخن فاذا رُفِعَ عاد باردا .

قال محمد بن يزداد الكاتب : اذا لم تستطع أن تقطعَ يدَ عدوّك فقبّلها .

قال الشاعر :

لقـد زادنى حبًّا لنفسىَ أننى * بغيضٌ الى كل آمرئٍ غيرِ طائلِ

اذا ما رآنى قَطّعَ الطرفَ دونه * ودُونىَ فعـلَ العارفِ المتجاهلِ

١٥ ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنها * من الضِّيق فى عينيه كِفّةُ حابلِ

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اِعتزِلْ عدوّك وآحذرْ صديقَك إلا الأمينَ،

ولا أمينَ إلا من خشِىَ اللهَ .

الهيثم عن آبن عيّاش قال: أخبرنى رجل من الأزْد قال: كنّا مع أسد بن عبدالله

بخراسانَ، فبينا نحن نسير معه وقد مَدَّ نهر بُلْخاء بأمرٍ عظيم لا يوصفُ، و إذا رجل

(١) كذا فى كتاب الشعر والشعراء (ص ٣٧١ طبع أوروبا) . وفى الأصل : «لك» .

٢٠ (٢) الشروب والشريب : الماء بين العذب والملح وليس يشربه الناس إلا للضرورة . (٣) فى كتاب الشعر والشعراء : « للضطر » وهى الرواية المشهورة .

يضرِب به الموج وهو ينادى : الغريقَ الغريقَ ! فوقف أسد وقال : هل من سابح ؟ فقلت : نعم، فقال : ويحك ! الْحَقِ الرجلَ ! فوثبتُ عن فرسى وألقيتُ عنّى ثيابى ثم رميتُ بنفسى فى الماء، فما زلتُ أسبَحُ حتى إذا كنت قريبا منه قلت : ممن الرجلُ؟ قال : من بنى تميم ؛ قلت : امضِ راشدًا ، فوالله ما تأخرتُ عنه ذراعا حتى غَرِق : فقال ٱبن عياش : فقلت له : ويحك ! أما ٱتقيتَ الله ! غرَّقتَ رجلا مسلما ! فقال : والله لو كانت معى لِبنةٌ لَضربتُ بها رأسَه .

طاف رجلٌ من الأزد بالبيت وجعل يدعو لأبيه ؛ فقيل له : ألا تدعو لأمّك؟ فقال : إنها تميميّةٌ .

وقرأت فى كتابٍ للهند : جانب الموتورَ وكن أحذرَ ما تكون له ألطفَ ما يكون بك ، فإنّ السلامةَ بين الأعداءِ توحُّشُ[1] بعضِهم من بعض ، ومن الأنس والثقةِ حضورُ آجالهم[2] .

أراد الملكُ قتلَ بُزُرْجِمْهر وأن يتزوّج ٱبنته بعد قتله ؛ فقال : لو كان مِلكُكم حازما ما جعل بينه وبين شعاره موْتورة .

قال أبو حازم : لا تُناصبَنّ رجلا حتى تنظر الى سَريرته ؛ فإن تكن له سريرةٌ حسنةٌ فإن الله لم يكن يخذُله بعَداوتكَ إياه ، وإن كانت سريرتُه رديئةً فقد كفاك مساويَه ، لو أردتَ أن تعمل بأكثر من معاصى الله لم تقدِر .

قال رجل : إنى لأغتنم فى عدوّى أن أُلقِيَ عليه النملةَ وهو لا يشعُر لتؤذيَه .

وقال الأَفْوه الأَوْدِىّ :

بلوتُ الناسَ قَرنا بعد قَرنٍ * فلم أر غيرَ خَتّالٍ وقالِى

وذُقتُ مرارةَ الأشياءِ جمعا * فما طعمٌ أمرُّ من السؤالِ

ولم أر فى الخطوب أشدَّ هولًا * وأصعبَ من مُعاداةِ الرجالِ

(١) فى الأصل : « توحشة » . (٢) رويت هذه الحكاية برواية أخرى فى العقد الفريد ج ١ ص ٧٩

وقال آخر :

بلاءٌ ليس يشبهه بلاءٌ * عداوةُ غيرِ ذى حسبٍ ودِينِ

يُبِيحكَ منه عِرضا لم يَصُنه * ويرتعُ منك فى عِرضٍ مصون

شماتة الأعداء

٥ بلغ عمرو بنَ عتبةَ شماتةُ قومٍ به فى مصائبَ، فقال : والله، لئن عظُم مُصابنا بموت رجالنا لقد عظُمتِ النعمةُ علينا بما أبقى الله لنا : شُبَّاناً يَشُبُّون الحروبَ، وسادةً يُسْدُون المعروفَ، وما خُلِقْنا ومَنْ شَمِتَ بنا إلا للموت .

قيل لأيوبَ النبيّ عليه السلام : أىّ شىء كان أشدَّ عليك فى بلائك ؟ قال : شماتةُ الأعداء .

١٠ اِشتكى يزيدُ بن عبد الملك شَكاةً شديدةً وبلغه أنّ هشاما سُرَّ بذلك ، فكتب الى هشام يعاتبه، وكتب فى آخر الكتاب :

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ، وإن أَمُتْ * فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

وقد علِموا، لو ينفعُ العلمُ عندهم ، * متى مِتُّ ما الداعِى علىّ بُمخْلَدِ

مَنِيَّتُه تجرِى لوقتٍ وحتفُه * يصادفُه يوما على غير مَوعدِ

١٥ فقل للذى يبغى خِلافَ الذى مضى * تهيَّأْ لأخرى مثلِها فكأنْ قد

وقال الفرزدقُ :

اذا ما الدّهرُ جرَّ على أُناسٍ * حوادثَه أناخ بآخرِينا

فقل للشامِتين بنا أَفِيقُوا * سيلقَى الشامتون كما لَقِينا

أُغِير على رجلٍ من الأعراب فذُهِب بإبله فقال :

٢٠ لا والذى أنا عبدٌ فى عِبادته * لولا شماتةُ أعداءٍ ذوِى إحَنِ

ماسرّنى أنّ إبْلى فى مَبارِكها * وأنّ شيئاً قضاه الله لم يكنِ

وقال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

أرواحٌ مُودِّعٌ أم بُكورُ * لكَ فانظُر لأىّ حالٍ تَصِيرُ

وابيضاض السوادِ من نُذُرِالمو * تِ فهل بعده لإنسٍ نَذيرُ

أيّها الشامتُ المعيِّرُ بالدّه * رِ أأنتَ المبرَّأُ الموفورُ

أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّـ * ـام أم أنت جاهلٌ مغرورُ ٥

مَن رأيتَ المنونَ خلّدن أم مَنْ * ذا عليه من أن يُضَامَ مُجيرُ

أين كِسرى كسرى الملوكِ أنوشر * وانُ أم أين قبله سابورُ (١)

وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجـ (٢) * ـلةُ تُجبَى إليه والخابورُ (٣)

شادهُ مَرمرًا وجلّلَه كِلْـ * ـسًا (٤) فلِلطّيرِ فى ذُراه وُكورُ

لم يَهَبْه ريبُ المنون فباد الـ * ـملكُ عنه فبابُه مهجورُ ١٠

وتبيّنْ ربَّ الخَوَرنق إذ أشـ * ـرفَ يوما وللهُدَى تفكيرُ

سرّه حالُهُ وكثرةُ ما يمـ * ـلِك والبحرُ مُعرِضًا (٥) والسَّدِيرُ

فارعَوى قلبُه فقال وما غِبـ * ـطةُ حىٍّ الى المماتِ يصيرُ

ثم بعد الفلاحِ والمُلك والنَّعـ (٦) * ـمةِ وارَتْهُمُ هناك القبورُ

ثم أضحَوْا كأنهم وَرَقٌ جَفّ * فألوَتْ به الصَّبا والدَّبُورُ ١٥

---

(١) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز، وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان . (٢) الحضر : قصر بجبال تكريت بين دجلة والفرات، ويعنى بأخيه الضيزن بن معاوية بن العبيد، وخبر قصرى الحضر والخورنق مذكور فى الأغانى ج ٢ ص ١٤٠ — ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية . (٣) الخابور : اسم نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة . (٤) الكلس : الصاروج وهو النورة التى تطلى بها المنازل . (٥) معرضا : ٢٠ متسعا، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض . (٦) فى الأغانى ج ٢ ص ١٣٩ : «والإمّة» وهو بمعناها .

قال ابن الكلبى : لما قُبِض النبىّ صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساءٌ من كندة وحضرموت فخَضَبْن أيديهنّ وضربْنَ بالدفوف، فقال رجل منهم :

أبلِـغْ أبا بكرٍ اذا ما جئتَـه * أنّ البغـايا رُمنَ أىّ مَرامِ
أظهـرن من موت النبىّ شماتة * وخضـبن أيديهـنّ بالعُـلّام[1]
فاقطَعْ ،هُدِيتَ ،أكفَّهنّ بصارمٍ * كالبرقِ أومضَ من متون غَمامِ ٥

فكتب أبو بكر الى المهاجر عامله، فأخذهنّ وقطّع أيديهنّ .

وقرأت فى كتاب ذُكر فيه عدوّ : فإنه يتربَّص بك الدوائرَ، ويتمنّى لكَ الغوائلَ، ولا يؤمّل صلاحاً إلا فى فَسادك، ولا رِفعةً إلا فى سقوط حالك والسلام .

---

(١) العلام بالتشديد : الحناء، عن ابن الأعرابى .

وجد بالأصل فى آخر هذا الكتاب ما نصّه :

آخر كتاب الإخوان، وهو الكتاب السابع من عيون الأخبار، تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِى رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن على الواعظ الجزرى، وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة . وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين .

وفى هذه الصفحة عينها وجد ما يأتى — وهو من زيادة الناسخ — :

قيل قدم المهدى أمير المؤمنين، وقيل الرشيد(١)، فتلقّاه الناس ، وتلقّاه أبو دُلَامة فى جملة الناس، فأنشده :

إنى نذرتُ لئن رأيتُك سالما * بقُرَى العراق وأنت ذو وَفْرِ

لتصلّين على النبى محمد * ولتملأن دراهمًا حِجْرى

فقال له أمير المؤمنين : أما الأولى فنعمْ . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، وأما الأخرى فلست أفعل، فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين ما نذرت إلا الآثنين، فضحك وأمر حتى ملئوا حِجْرَه دراهم .

شاعر(٢) :

ولقد تنسمتُ الرياحَ لحاجتى * فاذا لها من راحتيكَ نسيمُ

ولربّما استيأستُ ثم أقول لا * إن الذى ضمن النجاحَ كريمُ

---

(١) لم يدرك أبو دلامة خلافة الرشيد إذ أنه توفى سنة إحدى وستين ومائة ، وتولى الرشيد الخلافة سنة سبعين ومائة ، ثم قال ابن خلكان : ويقال إنه عاش الى أيام الرشيد . (٢) هو أبو العتاهية .

كتاب الحــوائج

استنجاح الحوائج[1]

حدّثنى أحمدُ بن الخليل قال حدّثنا محمدُ بن الخَصِيبِ قال حدّثنى أوسُ بن عبد الله بن بُريدَةَ عن أخيه سهل بن عبد الله بن بُريدة عن بُريدَةَ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اِسْتعِينُوا على الحوائج بالكتمانِ فإنّ كلّ ذى نِعمةٍ محسودٌ " .

قال خالدُ بن صفوان : لا تَطلبُوا الحوائجَ فى غير حينها، ولا تطلبوها الى غير أهلها، ولا تطلُبوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا للمنع خُلَقَاءَ .

قال شبيبُ بن شيبَةَ : إنّى لأعرف أمرًا لا يتلاقَى به ٱثنانِ إلّا وجب النُّجْحُ بينهما، فقال له خالدُ بن صفوانَ : ما هو ؟ قال : [العقل، فإنّ][2] العاقل لا يَسأل مالا يجوز ولا يُرَدُّ عما يُمكن، فقال له خالد : نَعَيْتَ الىّ نفسى ! إنّا أهلُ بيتٍ لا يموتُ منا أحدٌ حتى يرى خَلَفَه .

---

(١) الحوائج : جمع حاجة على غير قياس ، و جمعها القياسى : حاج وحاجات ، وقد أنكر الأصمعى حوائج وقال هو مولد . قال الجوهرى : و إنما أنكره لخروجه عن القياس و إلا فهو كثير فى كلام العرب ، ثم استشهد بكثير من الشعر و بأحاديث ذكرها المؤلف هنا . والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به وهو حائجة . وذكر بعضهم أنه سمع حائجة لغة فى الحاجة . (٢) التكملة من العقد الفريد ج ١ ص ٩٠ طبع بولاق .

أبو اليقظان قال : كان بنو رَبيعة — وهم من بنى عِسْلِ[١] بن عمرو بن يربوع — يُوصونَ أولادهم فيقولون : استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقيل عليهم ، فذاك أنجح لكم .

قال الشاعر :

٥ هَيبـةُ الإخوان مَقْطَعـةٌ ✽ لأخى الحاجاتِ عن طَلَبِهْ

فإذا ما هِبتَ ذا أمَـلٍ ✽ مات ما أمّلتَ من سببِهْ

وقال أبو نُوَاس :

وما طالبُ الحاجاتِ ممّن يَرومُها[٢] ✽ من الناس الا المُصبِحونَ على رِجْلِ

تأنّ مواعيـدَ الكرامِ فربّما ✽ أصبتَ من الإلحاح سَمْحًا على بُخْلِ

١٠ والبيتُ المشهور فى هذا :

إنّ الأمورَ اذا انسدّتْ مَسالِكُها ✽ فالصبرُ يفتحُ[٣] منها كلَّ ما ارْتُجِا

أخْلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجته ✽ ومُدمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يلِجَا

لا تيأسَنّ وإن طالتْ مُطالبةٌ ✽ إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترَى فرجَا

وقال آخرُ :

١٥ إنّى رأيتُ، وللأيّام تجـرِبةٌ، ✽ للصبرِ عاقبـةً محمـودةَ الأثرِ

وقلَّ مَنْ جَدَّ فى أمرٍ يُطالبه[٣] ✽ واستصحبَ الصبرَ إلّا فاز بالظّفَرِ

---

(١) ورد هذا الاسم بالأصل محرفا هكذا : « غسان » وصوابه كما أثبتناه (انظر القاموس وشرحه مادة عسل) .   (٢) روى هذا فى اللسان مادة رجل هكذا :

✽ ولا يدرك الحاجات من حيث تبتغى ✽

٢٠ (٣) فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٩ : «يحاوله» .

والعرب تقول : «رُبَّ عَجَلَة تَهَبُ رَيْثًا» . يريدون أن الرجل قد يَخرَقُ و يعجَل فى حاجته فتتأخّر أو تبطُل بذلك . وتقول : «الرَّشْفُ أنقَعُ» . يريدون أن الشراب الذى يُترشَّفُ رُويدًا رُويدًا أقطعُ للعطش و إن طال على صاحبه .

وقال عامر بن خالد بن جعفر ليزيدَ بنِ الصَّعِقِ :

إنك إن كلَّفتنى ما لم أُطِـقْ * ساءكَ ما سرَّكَ منّى من خُلُقْ

وكانوا يَستنجِحُون حوائجَهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم إنّى بكَ أستفتِـحُ ، و بكَ أستنجِحُ ، وبمحمّد نبيك اليك أتوجّه ، اللهم ذَلِّلْ لى صعوبتَه ، وسَهِّل لى حُزُونتَه ، وآرزُقنى من الخير أكثرَ مما أرجُو ، وآصرِف عنّى من الشرّ أكثرَ مما أخاف .

وقال القَطامىُّ :

قد يُدرِكُ المتأنِّى بعضَ حاجتِه (١) * وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

عمرُو بن بحرٍ عن إبراهيم بن السِّنْدىّ قال : قلت فى أيام ولايتى الكوفةَ لرجلٍ من وجوهها ، كان لا يجِفّ لِبْدُه (٢) ولا يستريح قلبه ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال و إدخال المرافق على الضعفاء وكان رجلا مُفوّها ، خبِّرنى عن الشىء الذى هوّن عليك النَّصَبَ وقوّاكَ على التعب ما هو؟ قال : قد والله سمعتُ تغريدَ الطير بالأسحار ، فى أفنان الأشجار ، وسمِعتُ خَفْقَ أوتارِ العيدان ، وترجيعَ أصوات القِيانِ الحسان ، ماطرِبتُ من صوتٍ قطُّ طربى من ثناء حسنٍ بلسانٍ حسنٍ على رجلٍ قد أحسن ، ومِن شكرِ حُرٍّ لمنعمٍ حُرٍّ ، ومن شفاعة مُحتَسِبٍ لطالبٍ شاكر . قال إبراهيمُ : فقلتُ : لله أبوك لقـد حُشِيتَ كرما فزادكَ الله كرما ، فبأىّ شىء سَهُلَتْ عليـك المعاودةُ والطلبُ؟

(١) كذا فى ديوان القطامى وهى الرواية المشهورة فى كتب الأدب . وفى الأصل : * قد يدرك المتأنى بعدُ حاجتَه * وهى رواية جيدة .

(٢) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٨٦ ، وفى الأصل : «قلبه» .

قال : لأنى لا أبلغ المجهودَ ولا أسأل مالا يجوز، وليس صدقُ العذر أكرَه الىّ من إنجاز الوعد، ولستُ لإكداء السائل أكرَه منّى للإجحاف بالمسئول ، ولا أرى الراغبَ أوجبَ علىّ حقًّا للذى قدّم من حسن ظنه من المرغوب اليه الذى احتمل من كَلِّه[١] .

قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاما قطُّ أشـدَّ موافقة لموضعه ولا أليقَ بمكانه من هـذا الكلام . ٥

وقال مُصعَبٌ :

فى القـوم مُعتصِمٌ بقـوّة أمره * ومُقصِّرٌ أودَى به التقصـيرُ

لا تَرْضَ منزلةَ الذليلِ ولا تُقِمْ * فى دار مَعجِزةٍ وأنتَ خبـيرُ

واذا هممت فأمضِ همَّكَ إنما * طاب الحوائج كلُّه تغـريرُ

١٠ وكان يقال : إذا أحببتَ أن تطاع ، فلا تَسألْ ما لا يستطاع .

ويقال : الحوائج تُطلَبُ بالرجاء، وتُدرَكُ بالقضاء .

الاستنجاح بالرّشوة والهديّة

حدّثنى زيد بن أخزم عن عبد الله بن داود قال : سمعتُ سفيانَ الثورىّ يقول : اذا أردتَ أن تتزوّج فأَهْدِ للأمّ . والعرب تقول : « من صانعَ[٢] لم يحتشِم مِنْ طلب الحاجة » . ١٥

قال ميمون بن ميمون : اذا كانت حاجتُكَ الى كاتبٍ فليكن رسولُكَ الطمعَ .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : نعم الشىء الهديّةُ أمامَ الحاجةِ .

---

(١) الكل بالفتح : العيال والثقل من كل ما يتكلف . (٢) صانع : هادَى .

وقال رؤبة :

لما رأيتُ الشُّفَعاءَ بلَّدوا[١] * وسألوا أميرَهم فأنكدوا[٢]

نامستُهم[٣] برشوةٍ فأَقْرَدُوا[٤] * وسَهَّل الله بها ما شدَّدُوا

وقال آخر[٥] :

وكنتُ اذا خاصمتُ خصماً كببتُه * على الوجه حتى خاصمتْنِي الدراهمُ

فلما تنازعْنا الخصومةَ غُلِّبتُ[٦] * عليّ وقالوا قم فإنك ظالمُ

والعرب تقول فى مثل هذا المعنى : «مَنْ يَخطُبِ الحَسْنَاءَ يُعطِ مهرًا» يريدون مَن طلب حاجةً مُهِمَّةً بذل فيها .

وقال بعضُ المُحدَثين :

ما مِن صديقٍ وإن تمت صداقته * يومًا بأنجح[٧] فى الحاجات من طَبَقِ

اذا تلثَّم بالمنديل مُنطلقا[٨] * لم يَخش نَبْوةَ بوابٍ ولا غَلَقِ

لا تُكْذَبَنَّ[٩] فإنّ الناس مُذ خُلِقوا * لرغبةٍ يكرمون الناسَ أو فَرَقِ

وقال آخر :

ما أرسل الأقوامُ فى حاجةٍ * أمضى ولا أنجح من درهمِ

يأتيك عفوًا بالذى تشتهى * نِعم رسولُ الرجلِ المسلمِ

(١) يقال : بلد الرجل اذا لم يتجه لشيء، و بلد اذا نكس فى العمل وضعف . (٢) أى منعوا الحاجة ولم يعطوا . (٣) يقال : نامس الرجل صاحبه منامسة ونماسا اذا ساوره . (٤) يقال : أقرد الرجل وقرد اذا ذلّ وخضع . (٥) هو رجل من ولد طابة (ضبط فى الكامل بالقلم بفتح الطاء وسكون اللام وكسرها واقتصر فى المعارف على كسر اللام) بن قيس بن عاصم (انظر الكامل للمبرد ج ١ ص ٨٤ طبع أوربا) . (٦) يقال : غلب الرجل على صاحبه اذا حكم له عليه بالغلبة . (٧) فى المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٣٦٧ طبع أوربا : « أبدى مودّته » . (٨) فى المحاسن والأضداد : « تقنّع » . (٩) فى المحاسن والأضداد : « لا تكثرنّ » .

الاستنجاح بلطيف الكلام

حدّثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال : دخل أبو بكر الهَجَرِيّ على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين نغض فِمِى[١] وأنتم أهلُ بيتِ بركة ، فلو أذِنتَ لى فقبَّلتُ رأسك لعل الله يُشَدِّدُ لى منه ! فقال أبو جعفر : اخْتَرْ منها ومن الجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أهونُ علىّ من ذَهَابِ درهم من الجائزةِ ألّا تَبْقَى فى فمى حاكّة[٢] .

قال أبو حاتم : وحدّثنا الأصمعيّ عن خَلَف قال : كنتُ أرى أنّه ليس فى الدنيا رُقْية إلا رقية الحَيّات ، فاذا رقية الخبزِ أسهلُ . يعنى ما يتكلّفه الناسُ من الكلام لطلب الحيلة .

قال رجلٌ للفضل بن سَهْل يسأله : الأجَلُ آفةُ الأمَل ، والمعروفُ ذخيرةُ الأبد ، والبِرُّ غنيمةُ الحازمِ ، والتفريطُ مصيبةُ أخى القدرة ؛ فأمر وهبًا كاتبَه أن يكتُبَ الكلماتِ . ورفع اليه رُقعةً[٣] فيها : يا حافظ مَنْ يُضَيِّع نفسَه عنده ، ويا ذاكر مَنْ يَنْسَى نصيبَه منه ، ليس كتابى إذا كتبتُ استبطاءً ، ولا إمساكى إذا أمسكتُ استغناءً ؛ لكنّ كتابى اذا كتبتُ تذكرةٌ لك ، وإمساكى إذا أمسكتُ ثِقةٌ بك .

وقال رجل لآخر : ما قَصّرتْ بى هِمّةٌ صَيَّرتنى اليك ، ولا أخّرنِى ارتيادٌ دلّنِى عليك ، ولا قعد بى رجاءٌ حدانِى الى بابك . وبِحَسْبِ معتصِمٍ بك ظَفَرٌ بفائدةٍ وغنيمةٍ ، ولَجْءٌ الى موئلٍ وسَنَدٍ .

دخل الهُذَيْل بن زُفَر على يزيد بن المُهَلَّب فى حَمَالاتٍ[٤] لَزِمتْه ، فقال له : قد عَظُم شأنُك عن أن يستعانَ بك أو يستعانَ عليك ، ولستَ تصنع شيئًا من المعروف إلا وأنت أكثرُ منه ، وليس العَجَبُ أن تفعل ، وإنما العجبُ مِن ألّا تفعل .

(١) يقال : نغضت أسنانه أى قلقت وتحرّكت . (٢) الحاكة : السنّ لأنها تحك صاحبتها أو تحك ما تأكله ، صفة غالبة . (٣) فى الأصل : « وقع » . (٤) الحمالات جمع حمالة (بالفتح) وهى : ما يتحمله الإنسان من دية أو غرامة .

قال الحَمْدُونىّ فى الحسين بن أيوب والى البَصْرة :

قُلْ لآبنِ أيّوبَ قد أصبحتَ مأمولَا * لا زال بابُك مَغْشِيًّا ومأهولَا
إن كنتَ فى عُطْلةٍ فالعذرُ مُتَّصِلٌ * وصِلْ اذا كنتَ بالسلطانِ موصولَا
شَرُّ الأخلّاءِ مَنْ وَلَّى قفاه اذا * كان المُوَلَّى وأعطَى البِشْرَ معزولَا
مَنْ لم يُسَمِّنْ جوادًا كان يركبُه * فى الخِصْبِ قام به فى الجَدْبِ مهزولَا
افْرُغْ لحاجاتنا ما دمتَ مشغولا * لو قد فَرَغْتَ لقد أُلفيتَ مبذولا

وقال آخر :

ولا تَعْتَذِرْ بالشُّغل عنّا فإنما * تناطُ بك الآمالُ ما آتَّصل الشُّغْلُ

وأتى رجلٌ بعضَ الوُلَاة، وكان صديقَه، فتشاغل عنه، فتراءى له يومًا، فقال: اعذِرْنى فإنّى مشغول؛ فقال : لولا الشغلُ ما أتيتُك .

وكتب رجلٌ الى صديقٍ له : قد عرضتُ قِبلَكَ حاجةً، فإنْ نَجحتْ بك فالفانى منها حَظِّى والباقِى حظُّك، وإن تَعْتذِرْ فالخيرُ مظنونٌ بك والعذرُ مُقَدَّمٌ لك .

وفى فصلٍ آخر : قد عَذَرك الشُّغُلُ فى إغفالِ الحاجةِ وعذرنى فى إنكارك .

وفى فصل آخر: قد كان يجب ألّا أشكوَ حالى مع علمك بها، ولا أقتضِيكَ عمارتَها بأكثرَ من قدرتِك عليها؛ فلربّما نِيلَ الغِنَى على يَدَىْ مَنْ هو دونك بأدنَى من حُرْمتى. وما أستَصْغِرُ ما كان منك إلا عنك، ولا أستَقِلُّه إلا لك .

وقال آخر: إن رأيتَ أن تُصَفِّد يدًا بصنيعة باقٍ ذكرُها جميلٍ فى الدهر أثرُها، تَغتنِمُ غِرَّةَ الزمان فيها وتُبادر فَوْتَ الإمكان بها، فآفعَلْ .

قَدِم على زِيادٍ نفرٌ من الأعراب فقام خطيبهم فقال: أصلح الله الأميرَ! نحن، وإن كانت نَزَعت بنا أنفسُنا إليك وأنضينا[1] ركائبنا نحوك آلتماسًا لفضلِ عَطائك،

---

(١) أنضينا : أهزلنا .

عالمون بأنه لا مانِـعَ لمـا أعطَى الله ولا مُعْطِىَ لمـا منَع ؛ وإنمـا أنت أيّها الأميرُ خازنٌ ونحنُ رائدون ، فإنْ أُذِنَ لك فأعطيتَ حَمِدْنا اللهَ وشكرْناك ، وان لم يُؤْذَنْ لك فمنعتَ حَمِـدنا الله وعذَرناك ، ثم جلس ؛ فقال زياد لجلسائه : تاللهِ ما رأيتُ كلامًا أبلغَ ولا أوجَزَ ولا أنفعَ عاجلةً منه ، ثم أمر لهم بما يُصْلِحُهم .

٥ دخل العتّابىّ على المأمون ، فقال له المأمون : خُبِّرتُ بوفاتِك فغمّتْنى ، ثم جاءتنى وِفادتُك فسرّتْنى ؛ فقال العتّابى : لو قُسِمتْ هذه الكلماتُ على أهل الأرض لوَسِعَتْهم ؛ وذلك أنه لا دِينَ إلا بِك ولا دُنْيا إلا معـك ؛ قال : سَلْنِى ، قال : يَداكَ بالعطيّةِ أطلقُ من لسانى .

قال نُصَيْب لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ، كَبِرتْ سِنّى ورَقَّ عَظْمِى ، ١٠ وبُلِيتُ ببُنَيّاتٍ نَفَضتُ عليهنّ من لونى فكَسَدْنَ علىّ ؛ فرَقَّ له عمر ووصَله .

سأل رجلٌ أَسَدَ[1] بن عبد الله فاعتلّ عليه ؛ فقال : إنى سألتُ الأميرَ من غير حاجةٍ ؛ قال : وما حَمَلك على ذلك؟ قال : رأيتُك تُحِبُّ مَنْ لك عنده حسنُ بَلَاء ، فأحببتُ أنْ أتعلّقَ منك بحبلِ مَوَدّة .

لَزِم بعضُ الحكماءِ بابَ بعضِ ملوكِ العجم دهرًا فلم يَصِلْ اليه ، فتلطّف للحاجب ١٥ فى إيصال رُقْعةٍ ففعل ، وكان فيها أربعةُ أسطُرٍ :

السطرُ الأوّلُ "الأملُ والضّرورةُ أقدمانى عليك" .

والسطرُ الثانى "والعُدْمُ لا يكونُ معه صبرٌ على المُطالبة" .

والسطرُ الثالثُ "الانصرافُ بِلا فائدةٍ شماتةٌ لِلأعداءِ" .

---

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥ طبع بولاق) «سأل رجل خالدا القسرى حاجة الخ» .

والسطرُ الرابعُ "فإمّا نعمٌ مثمِرةٌ، وإمّا لَا مُرِيحةٌ". فلما قرأها وقّع فى كلّ سطرٍ: زه، فأُعْطِى ستّةَ عشرَ ألف مِثْقالٍ فضّة.[1]

دخل محمد بن واسع على قُتَيبة بن مُسْلِم، فقال له: أتيتُك فى حاجةٍ رفعتُها الى الله قبلَك، فإنْ تَقْضِها حَمِدنا الله وشكرْناكَ، وإن لم تَقْضِها حَمِدنا الله وعَذَرناك، فأمر له بحاجته. وقال له أيضا فى حاجةٍ أُخرى: إنى أتيتُك فى حاجةٍ، فإنْ شئتَ قضيتَها وكنّا جميعًا كريمَيْنِ، وإنْ شِئتَ منعتَها وكنّا جميعًا لئيمَيْنِ.[2]

أتى رجلٌ خالدَ بن عبد الله فى حاجةٍ، فقال له: أتكلّمُ بجُرْأة اليأسِ أم بهيبةِ الأمَلِ؟ قال: بل بهيبة الأمل، فسأله حاجتَه فقضاها.

وقال أبو سَمّاكٍ لرجل: لم أصُنْ وجهى عن الطَّلَبِ اليك، فصُنْ وجهَك عن ردّى، وضَعْنى من كرمك بحيثُ وضعتُ نفسى من رجائك.

قال المنصور لرجل: ما مالُك؟ قال: ما يَكُفُّ وجهى ويَعْجِز عن بِرِّ الصَّديق فقال: لقد تلطَّفتَ للسؤال، ووصَله.

وقال المنصور لرجلٍ أَحْمَدَ منه أمرًا: سَلْ حاجتَك فقال: يُبقيك الله يا أمير المؤمنين، قال: سل، فليس يمكنك ذلك فى كلّ وقتٍ، فقال: ولِمَ يا أمير المؤمنين!

---

(١) كلمة «زه» فى لغة الفرس معناها أحسنت. وفى العقد الفريد ج ١ ص ١٠٠ «فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها ألف مثقال وأمر له بها». (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠) بعد هذا الكلام تفسير لهذه الجملة هذا نصه: «أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك إياها لأنى وضعت الطلبة فى موضعها، فإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك» والجزء الأخير من هذا الشرح يشبه قول أبى تمام:

عياش إنك للئيم وإننى * مذ صرتَ موضع حاجتى للئيم

فوالله لا أستقصر عمرَك ولا أرهَبُ بُخْلَك ولا أَغتنم مالَك وإنّ سؤالَك لزَيْنٌ، وإنّ عطاءَك لَشرف، وما على أحدٍ بَذَل وجهَه اليك نقصٌ ولا شَيْنٌ، فأمَر حتّى مُلِئ فُوه دُرًّا .

قال أبو العبّاس لأبى دُلَامة : سَلْ حاجتَك . قال : كلبٌ، قال : لك كلب .

٥ قال : ودابّة أتصيد عليها، قال : ودابة . قال : وغلام يركب الدابّة ويصيد، قال : وغلام . قال : وجارية تُصْلِح لنا الصيدَ وتُطْعِمنا منه، قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين، هؤلاء عِيال ولا بدّ من دارٍ، قال : ودار . قال : ولا بدّ من ضَيْعةٍ لهؤلاء، قال : قد أقطعتك مائة جَريبٍ عامرة ومائة جريب غامرة . قال : وأى شىءٍ الغامرة؟ قال : ليس فيها نباتٌ . قال : فأنا أُقْطِعك ألفا وخمسمائة جريبٍ من

١٠ فيافى بنى أسدٍ، قال : قد جعلتُها [كلَّها لك] (١) عامرةً . قال : أَقْبِّلُ يدَك، قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : ما منعتَ عِيالى شيئاً أهونَ (٢) عليهم فقداً منها .

قال عبـد الملك لرجل : مالى أراك واجِما (٣) لاتَنْطِق؟ قال : أشكو اليك ثِقلَ الشَّرَف، قال : أعِينوه على حَمْله .

رأى زياد على مائدته رجلا قبيحَ الوجه كثيرَ الأكل، فقال له : كم عيالُك؟

١٥ قال : تسع بنات، قال : أين هنّ منك؟ قال : أنا أجملُ منهنّ وهنّ آكلُ منّى، قال : ما أحسَنَ ما تَلَطّفتَ فى السؤال وفَرَض له وأعطاه .

---

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٩٨ طبع بولاق، وقد ذكر هـذه الحكاية صاحب الأغانى فى أخبار أبى دلامة بتوسع عما هنا بالجزء التاسع ص ١٢١ طبع بولاق . (٢) فى الأصل : « فقدا منه » وفى الأغانى : «ما منعتَ عيالى شيئا أقل ضررا عليهم منها » . (٣) الواجم : الذى اشتدّ حزنه حتى أمسك عن الكلام، وقد ساق صاحب العقد الفريد (ج ١ ص ٩٥) هـذه

٢٠ الحكاية بأوسع مما هنا .

وقفتْ عجوزٌ على قيس بن سعد فقالت : أشكو اليك قِلّة الجِرْذانِ، قال : ما أحسَنَ هذه الكناية ! املئوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا .

وقال بعض القُصّاص فى قَصَصِه : اللهم أَقِلَّ صِبْيانَنا وأكثِرْ جِرْذانَنا .

كان سليمان بن عبد الملك يأخذ الولىَّ بالولىِّ والجارَ بالجار، فدخل عليه رجلٌ وعلى رأسه وَصِيفةٌ رُوقةٌ[1]، فنظر اليها، فقال سليمان : أأعجبتْك؟ قال : بارك الله لأمير المؤمنين فيها! قال : هات سبعة أمثالٍ فى الاسْتِ وخُذْها، فقال : «صرّ عليه الغزوُ آستَه»[2] . قال : واحد . قال : «آستُ آلبائنِ أعلم»[3]، قال : آثنانِ . قال : «آستٌ[4] لم تُعوَّدِ المِجْمرَ تحترِقُ»، قال : ثلاثة . قال : الحُرُّ يعطِى والعبدُ يَيْجَع بآستِه»[5]، قال : أربعة . قال : «آسْتِى أخْبثِى»[6] ! قال : خمسة . قال : «عادَ سَلاها فى آستِها»[7]،

(١) الوصيفة : الجارية، والروقة (بالضم) : الحسناء الجميلة . (٢) يضرب لمن ضيق عليه تصرفه أمره . (٣) البائن : الذى يكون عند حلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال للذى من الجانب الآخر : المعلى أو المستعلى، وهو الذى يعلى العلبة الى الضرع . وأصل المثل أن رجلا أضلّ إبله ووجدها فى مُرّة فاستنجد بالحارث بن ظالم المرّى فردّها عليه إلا ناقة كانت عند رجلين يحلبانها، فقال لهما الحارث : خليا عنها فليست لكما، وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن وقال المعلى : والله ما هى لك، فقال الحارث : "اِست البائن أعلم" فأرسلها مثلا : يضرب لمن ولى أمرا وصَلِىَ به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يَصْلَ به، وقيل : يضرب لكل ما ينكر وشاهده حاضر . (٤) يضرَب لمن حصل فى نعمة لم يعهدها . وأصله أنّ ماوية بنت عَفْزَر كانت ملكة وكانت تتزوج من أرادت، وربما بعثت غلمانها ليأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة، فجاءوها بحاتم الطائى، فقالت له : آستقدمْ الى الفراش، فقال هـذه الجملة . أراد : إنى أعرابىّ متقهل (يابس الجلد متقشف) لم أتعوّد الطيب والترف . (٥) الذى فى الأمثال للميدانى : «الحرّ يعطى والعبـد يألم قلبه» وقال : يعنى أنّ اللئيم يكره ما يجود به الكريم . وقال فى فرائد اللآلى : يضرب لمن يبخل ويأمر غيره بالبخل . (٦) لم يذكر هـذا المثل الميـدانى، وذكره الزمخشرى فى كتابه المستقصى فى أمثال العرب ومنـه نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ أدب ؛ وقال فى شرحه : «يضرب فى وضـع الشىء فى غير موضعه، وأصله أنّ سـعد بن زيد مناة زوّج أخاه مالكا النوار بنت حُلّ بن عدى رجاءَ أن يولد له، وكان محمقا، فانطلق به الى بيت العروس فأبى أن يلج البيت، فقال له : «لِجْ مالِ ولِجت الرّجَم» (أى القبر)؛ حتى ولج ونعلاه معلقتان فى ذراعيه، فقال له : ضع نعليك، فقال : ساعداى أحرز لهما، ثم أتى بطيب فجعل يجعله فى آسته، فقالوا له فى ذلك، فقال : «استى أخبثى» . (٧) السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد، من الناس والمواشى .

قال : ستة . قال : « لا ماءكِ أَبْقيتِ ولا حِرِك أَنْقيتِ »[١] ؛ قال : ليس هذا من ذاك ؛ قال : أخذتُ الجارَ بالجارِ كما يفعلُ أمير المؤمنين ! قال : خذها .

قال يزيد بن المهلّب لسليمانَ فى حَمالةٍ[٢] كلّمه فيها : يا أميرَ المؤمنين ، واللهِ لَحَمْدُها خيرٌ منها ، ولَذِكرُها أحسنُ من جَمْعِها ، ويَدِى مبسوطةٌ بيدِك فآبْسُطْها لِسؤالها .

قطع عبدُ الملك بن مروان عن آل أبى سفيان أشياء كان يُجْرِيها عليهم ، لِتَبَاعُدٍ كان بينه و بين خالدِ بن يزيدَ بن معاويةَ ؛ فدخل عليه عَمْرو بن عُتْبة فقال : يا أميرَ المؤمنين ، أدْنَى حقِّك مُتْعِبٌ وتَقَصِّيه فادِحٌ ، ولنا مع حقّك علينا حقٌّ عليكَ ، لقرابتنا منــك و إكرامِ سلَفنا لك ؛ فآنظر الينا بالعين التى نظروا بهـا اليك ، وضَعْنا بحيث وَضَعَتْنا الرَّحِمُ منك ، وزِدنا بقدر ما زادك الله ؛ فقال : أفعَلُ ، و إنما يَستحق عطيّتى من آستعطاها ، فأمّا من ظنّ أنه يَستغنى بنفسه فسَنَكِلُه إليها ، يعرّض بخالد ؛ فبلغ ذلك خالدا ، فقال : أمّا عمرٌو فقد أعطى من نفسه أكثرَ ممـا أخَذ ، أَوَ بِالحرمان يتهدّدنى ! يدُ الله فوق يده مانِعةٌ ، وعطاؤه دونه مبذول .

أتى رجل يزيدَ بن أبى مسلم برُقعةٍ يسأله أن يرفعَها الى الحجّاج ؛ فنظر فيها يزيدُ فقال : ليست هذه من الحوائج التى تُرفع الى الأمير ؛ فقال له الرجل : فإنى أسألك أن ترفعها ، فلعلّها توافق قَدَرًا فيقضيَها وهو كارِهٌ ؛ فأدخلَهَا وأخبره بمقالة الرجل ؛ فنظر الحجّاج فى الرُّقعـة ، وقال ليزيدَ : قلْ للرجل : إنهـا وافقتْ قَدَرا وقد قضيناها ونحن كارهون .

---

(١) أصله أن رجلا كان فى سفر ومعـه امرأته ، وكانت عاركا (حائضا) فطهرت ، وكان معهما ماء يسير فآغتسلت ، فلم يكفها لغسلها وأنفدت المـاء فبقيا عطشانين ، فقال لها ذلك .

(٢) الحمالة (بالفتح) : ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة .

دخل بعض الشعراء على بِشْر بن مَرْوان[1] فأنشده :

أَغْفيْتُ عند الصبح نوم مُسَهَّدٍ * فى ساعة ما كنتُ قبلُ أنامُها

فرأيتُ أنك رُعْتَنى بوليـدةٍ * مُغْنُوجةٍ[2] حَسَنٍ علىّ قيامُهـا

وبِبَدْرةٍ حُمِلَت الىّ وبغـلةٍ * دهمـاء مُشرِفةٍ[3] يِصلُّ[4] لِجامُهـا

فدعوت ربى أن يُثيبك جنّـةً * عِوضًا يُصيبك بردُها وسلامُها

فقال له بشر : فى كل شىء أصبتَ إلا فى البغلة فإنى لا أملِك إلا شُهْبا : فقال : إنى والله ما رأيتُ إلا شُهْبًا .

قال رجل لمعاوية : أقْطِعْنى البَحْرَيْن، قال : إنى لا أصِلُ الى ذلك . قال : فٱستَعمِلْنى على البَصْرة، قال : ماأُرِيدُ عَزْلَ عاملِها . قال : تأمرُ لى بألفيْنِ، قال : ذاك لك . فقيل له : وَيْحك ! أرضيتَ بعد الأُولَيَيْنِ بهذا ! قال : ٱسكتوا لولا الأُولَيَان ما أُعطيتُ هذه .

جاء أعرابىّ الى بعض الكُتّاب فسأله ، فأمر الكاتبُ غلامَه بيمينه أن يعطيَه عشرة دراهم وقميصًا من قُمُصه ، فقال الأعرابىّ :

حوِّل العَقْد بالشمال أبا الأصْـ * ـبغ وٱضْمُمْ الى القميص قميصا

إن عَقْدَ اليمين يَقْصُر عنّى * وأرى فى قميصكم تَقْليصـا

يقول : حوّل عَقْد اليمين وهو عشرة الى عَقْد الشمال وهو مائة[5] .

(١) هو الحكم بن عبدل كما فى الأغانى (ج ٢ ص ٤٠٧ طبع دار الكتب المصرية) . (٢) لم نعثر على هذه الصيغة فى معاجم اللغة ، والذى بها : امرأة مغناج وغنجة : حسنة الدل ؛ ووجد هذا الشعر منسوبا الى حمزة بن بيض فى الأغانى (ج ١٥ ص ٢٣ طبع بولاق) وروايته مختلفة عن روايتى الأغانى الأولى وهذا الكتاب ، وفيه موسومة بدل مغنوجة . وفى العقد الفريد (ج ١ ص ١٠٣) «مفلوجة» . (٣) مشرفة : سريعة العدو ، والمشرفة أيضا : العالية المرتفعة . (٤) يصل : يصوّت . (٥) كان للعرب حساب غير ما هو معروف اليوم ولهم فى ذلك اصطلاحات فى أصابع اليد ، فالعشرة يُدلّ عليها بجعل السبابة فى اليد اليمنى حلقة فاذا أريد المائة جعلت السبابة اليسرى حلقة وغير ذلك (انظره بتفصيل فى الجزء الثالث من كتاب بلوغ الأرب للآلوسى ص ٣٩٦ — ٤٠٢ طبع بغداد) .

سأل أعرابىّ فقال فى مسألته : لقـد جُعتُ حتى أكلتُ النّوى المُحْرَقَ ولقد مَشَيتُ حتى ٱنتعلتُ الدَّمَ وحتى سقط من رجلى بَخَصُ[1] لحمٍ وحتى تمنّيت أنّ وجهى حِذاءٌ لِقَدَمى[2]، فهل من أخٍ يرحمنا ؟ .

وسأل آخرُ قومًا فقال : رَحِم الله ٱمرأ لم تَمْجُجْ أذناه كلامى، وقدّم لنفسه مَعَاذًا من سوء مُقامى، فإن البلاد مُجْدِبة، والحالَ مُصْعِبة[3]، والحياءَ زَاجرٌ يمنع من كلامكم، والعُدْمَ عاذِرٌ[4] يدعو الى إخباركم، والدعاء أحدُ الصدَقتيْن فرحِم الله امرأ أمر بميْرٍ[5]، ودعا بخير، فقال له رجل من القوم : مِمّن الرجل ؟ فقـال : اللهم غَفْرا مِمّن لا تَضرّك جهالتُه، ولا تنفعُك معرفتُه، ذُلّ الاكتساب، يمنع من عِزّ الانتساب .

سأل أعرابىٌّ رجلا فحَرَمه، فقال : عَلَامَ تحْرِمُنى ! فوالله ما زلتَ قِبلةً لأملى لا تَلْفِتُنى عنك المطامعُ ، فإن قلتَ : قـد أحسنتُ بَدْءًا ، فما ينكَر لمثلك أن يحسِن عَـوْدًا ! .

قال ٱبنُ أبى عَتِيق : دخلتُ على أشْعبَ وعنده مَتَاعٌ حسن وأثاثٌ، فقلت له : ويحك! أما تستَحِى أن تَسأل وعندك ما أرى! فقال : يا فَدَيْتُك! معى والله من لطيفِ السؤال مالا تَطيب نفسى بِتركه .

قال الصَّلَتَان العَبْدىّ :

نَروح ونغـدو لحاجاتنـا * وحاجةُ مَنْ عاش لا تَنْقضى

تموت مع المـرءِ حاجاتُه * وتبقَى له حاجَةٌ ما بَـقِى

إذا ليـلةٌ هَرَّمتْ يومَها * أتى بعـد ذلك يومٌ فَتِى

(١) البخص بالتحريك : لحم القدم . (٢) فى الأصل : «حذاء لدمى» . (٣) فى المحاسن والمساوى للبيهقى طبع أوروبا ص ٦٣١ : «مسغبة» وقد رويت هذه الحكاية فيه بٱختلاف عما هنا .

(٤) كذا فى المحاسن والمساوى . وفى الأصل : « عار » . (٥) المير : الطعام .

وقال آخر :

وحاجةٍ دونَ أُخرى قد سَنَحتُ بها[١] * جعلتُها للتى أخفيتُ عُنوانَا

كتب دِعْبلُ الى بعض الأمراء :

جئتُك مستشفعًا[٢] بلا سبب * اليك إلا بُحرمةِ الأدبِ

فاقضِ ذِمامى فإنّنى رجلٌ * غيرُ مُلِحٍّ عليك فى الطلبِ

من يعتمد فى الحاجة ويُستسعى فيها

روى هُشَيم عن عبد الحميد بن جعفر[٣] عن محمد بن عبد الرحمن عن أبى مُصْعَب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اطلبُوا الحوائجَ الى حِسانِ الوُجوه[٤]" .

وفى حديث آخر : "اعتَمِدْ لحوائجك الصِّباحَ الوُجوهِ، فإنّ حسنَ الصورةِ أوّلُ نعمةٍ تتلقّاكَ من الرجل" .

قالت آمرأةٌ من ولد حسّانَ بن ثابت :

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدْمًا ولا تَسَلْ * فتًى ذاقَ طعمَ العيشِ منذُ قريبِ

ومن المشهور قولُ بعض المحدَثين :

حسنُ ظنٍّ إليكَ أكرمكَ الله دعانى فلا عَدِمتَ الصَّلاحَا *

ودعانى إليكَ قولُ رسول الله إذ قال مُفصِحًا إفصاحَا *

إن أردتم حوائجًا عند قومٍ * فتنقّوا لها الوجوهَ الصِّباحَا

---

(١) سنحت بكذا : عرّضت ولحنت ، وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت فى مادة « سنح » ونسبه لسوّار بن المضرّب . (٢) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٨٩ طبع بولاق) : « مسترفدا » . (٣) كذا فى تهذيب التهذيب . وفى الأصل : « جعيفر » وهو تحريف . (٤) فى الجامع الصغير : « اطلبوا الخير الى حسان الوجوه » .

وقال آخر :

إنا سألنا قومَنا خيـارُهمْ * مَن كان أفضلَهم أبوه الأوّلُ

أعطَى الذى أعطَى أبوه قبلَه * وتبخَّلتْ أبنـاءُ مَنْ يتبخّلُ

وقال خالدُ بن صفوانَ : فوتُ الحاجةِ خيرٌ من طلبها الى غير أهلها ، وأشـدُّ

٥ من المصيبة سوءُ الخَلَفِ منها .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : قال مسلمُ بنُ قُتَيبة : لا تَطلُبَنَّ حاجتكَ الى كذّابٍ فإنه يُقرِّبُها وهى بعيـدٌ[1] ويُبعّدها وهى قريب ، ولا الى أحمقَ فإنه يريد أن ينفعَكَ فيضرُّكَ ، ولاالى رجل له عند من تسأله الحاجةَ ما كَلةٌ ، فإنه لا يُؤثِّركَ على نفسه .

أنشدَنا الرِّياشىّ لأبى عَوْنٍ :

١٠ ولستُ بسائِلِ الأعرابِ شيئًا * حَمِـدتُ الله إذ لم يأكلونى

وقال ميمونُ بن ميمون : لا تَطلُبَنَّ الى لئيم حاجةً ، فإن طلبتَ فأجِّلْه حتى يروضَ نفسَه .

هارونُ بن معروفٍ عن ضَمْرة عن عثمانَ بن عَطاء ، قال : عطاء الحوائج عند الشباب أسهلُ منها عند الشيوخ ، ثم قرأ قولَ يوسفَ : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ

١٥ اللهُ لَكُمْ﴾ وقولَ يعقوبَ ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

وقال بشّارٌ :

إذا أيقظَتْكَ حروبُ العِدا[2] * فَنبِّه لهـا عُمَــرًا ثم نَمْ

فتًى لا يَبيتُ على دِمْنَـةٍ * ولا يشرَبُ المـاءَ إلا بِدَمْ

يَلَذُّ العطاءَ وسفكَ الدِّماء * فيغـدُو على نِعَم أو نِقَـمْ

٢٠ (١) بعيد وقريب يوصف بهما الذكر والأنثى والمفرد والجمع ومنه قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) .

(٢) فى الأغانى (ج ٣ ص ٤٦ طبع بولاق) : * اذا دهمتك عظام الأمور *

وقال أبو عبّادٍ الكاتب: لا تُنزِلْ مُهِمَّ حوائجك بالجيّد اللسان، ولا المتسرِّع الى الضّمان، فإنّ العجزَ مقصورٌ على المتسرّع؛ ومَن وعد ما يَعجِز عنه فقد ظَلَم نفسه وأساء الى غيره؛ ومن وَثِق بجودة لسانه ظنّ أنّ فى فصل بيانه ما ينوبُ عن عذره وأن وعده يقوم مَقامَ إنجازه. وقال أيضا: عليك بذى الحَصَرِ البَكِىّ[1]، وبذى الخِيم[2] الرضِىّ، فإن مثقالًا من شدّة الحياء والعِىّ، أنفعُ فى الحاجة من قِنطارٍ من لسانٍ سَليطٍ وعقلٍ ذكىّ؛ وعليك بالشّهم النّدْب[3] الذى إن عجز أيأسك، وإن قدر أطمعك.

قال بعضُ الشعراء:

لا تَطلُبنّ الى لئيم حاجة * وٱقعُدْ فإنكَ قائما كالقاعدِ
يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم * هيهاتَ! تضرِبُ فى حديدٍ بارد

وقال آخرُ:

إذا الشافعُ ٱستقصَى لكَ الجُهدَ كلَّه * وإن لم تَنَلْ نُجْحاً فقد وجب الشُّكرُ

وقال آخرُ[4]:

وإذا ٱمرؤٌ أسدَى[5] اليك صنيعةً * مِن جاهه فكأنّها من مالِهِ

ذكر أعرابىّ رجلا، فقال: كان والله إذا نزلَتْ به الحوائجُ قام إليها ثم قام بها، ولم تَقعُد به عِلّاتُ النفوس.

قال الشاعرُ:

ما إنْ مَدَحتُكَ إلا قلتَ تخدَعُنى * ولا ٱستعنتُكَ إلا قلتَ مشغُولُ

ابنُ عائشةَ قال: كان شبيبُ بن شيبة رجلا شريفا يَفزَعُ اليه أهلُ البصرة فى حوائجهم، فكان إذا أراد الركوبَ تناولَ من الطعام شيئا ثم رَكِبَ، فقيل له:

---

(١) البكىّ: القليل الكلام. (٢) الخيم: السجية والطبيعة. (٣) الندب: الخفيف فى الحاجة. (٤) هو أبو تمام الطائى. (٥) كذا فى ديوانه. وفى الأصل: «أهدى الىّ».

إنك تُباكِر الغداءَ! فقال: أجَلْ! أُطفِئُ به فَوْرَةَ جوعى، وأقطَعُ به خُلوف[١] فمى، وأبلغ فى قضاء حوائجى، نخذ من الطعام ما يُذْهِبُ عنك النَّهَم، ويُدَاوِى من الخَوَى .

قال بعضُ المحدَثين :

لعمرُكَ ما أخلقتُ وجهًا بذلتُه ✽ إليــكَ ولا عرّضتُه للَمَعَـايِرِ

٥ فتًى وفَرتْ أيدى المحامدِ عرضَه ✽ وخَلَّت[٢] لديه مالَه غيرَ وافِــرِ

وقال آخرُ :

أتيتُـكَ لا أُدلى بقُــرْبَى ولا يدٍ ✽ اليك سِـوَى أنّى بجُودكَ واثقُ

فإن تُولِنى عُرفًا أكنْ لكَ شاكرا ✽ وإن قلتَ لى عذرًا أقلْ أنتَ صادِقُ

وقال رجلٌ لآخرَ فى كلامه : أيدينا ممدودةٌ اليكَ بالرغبة، وأعناقُنا خاضعةٌ لك

١٠ بالذِّلّة، وأبصارُنَا شاخصةٌ اليك بالشكر، فافعَلْ فى أمورنا حَسَبَ أملِنا فيكَ، والسلام .

الإجابة الى الحاجة والردّ عنها

قال رجل للعبّاس بن محمد : إنّى أتيتُكَ فى حاجةٍ صـغيرةٍ؛ قال : اطلب لها رجلا صغيرا . وهذا خلافُ قولِ علىّ بن عبـد الله بن العبّاس لرجل قال له : إنى أتيتكَ فى حاجةٍ صغيرةٍ، فقال له علىّ بن عبد الله : هاتها، إنّ الرجل لا يصغُر عن

١٥ كبيرِ أخيه ولا يكبُرُ عن صغيرِه .

قال رجل للأحنف: أتيتُكَ فى حاجةٍ لا تَنْكِيكَ[٣] ولا تَرْزَؤك، قال: اذًا لا تُقْضَى! أمثلى يؤتَى فى حاجةٍ لا تَنْكِى ولا تَرزَأُ ! .

---

(١) الخلوف : رائحة الفم . (٢) فى العقد الفريد : (ج ١ ص ٩٠) :

✽ عليه وخلت ماله غير وافر ✽ (٣) لا تنكيك : لا تنال منك، من نكى العدو نكاية :

٢٠ أصاب منه . ولا ترزؤك : لا تصيب من مالك شيئا .

جاء قومٌ الى رجل يكلّمونه فى حاجةٍ لهم ومعهم رَقَبةُ، فقال لرقَبةَ : تضمَنُونَها؟ فقال له رَقَبة : جئناكَ نطلُب منك فضلَ التوسّع فأدخلتَ علينا همَّ الضَّمان .

أتى عمرُو بن عُبيد حفصَ بن سالم، فلم يسأله أحدٌ من حَشَمِه شيئا إلا قال : لا ، فقال عمرو : أقِلّ من قول : «لا» فإنّ «لا» ليستْ فى الجنّة .

٥ كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم اذا سُئل مايَجِدُ أعطى، واذا سُئِل مالا يجِد قال : "يصنع الله" .

قال عمرُ بن أبى ربيعةَ :

إنّ لى حاجةً اليـك فقالت * بين أُذْنى وعاتق ما تُريدُ

أى قد تضمَّنتُه لك فهو فى عُنُق .

١٠ سأل رجلٌ قومًا، فقال له رجل منهم : اللهمّ هذا سائلنا ونحن سُؤَّالُكَ، وأنت بالمغفرة أجودُ منّا بالعطاء، ثم أعطاه .

سأل رجلٌ رجلا حاجةً ، فقال : اذهَبْ بسـلام، قال السائلُ : أَنصَفَنا مَنْ رَدَّنا فى حوائجنا إلى الله عزّ وجلّ .

قال رجل لثُمَامةَ : إن لى اليـكَ حاجةً، قال ثمامةُ : ولى اليكَ حاجةٌ ، قال :

١٥ وما هى؟ قال : لا أذكُرها حتى تتضمَّنَ قضاءها، قال : قد فعلتُ، قال : حاجتى ألّا تسألنى هـذه الحاجةَ، قال : رجعتُ عما أعطيتُك، قال ثمـامةُ : لكنّى لا أردّ ما أخذتُ .

قال الجاحظ : تمشّى قومٌ الى الأصمعىّ مع رجل آشـترى منه ثمرةَ نخله ، فناله فيها خُسرانٌ وسألوه حسنَ النظر له ، فقال الأصمعىّ : أسَمِعتُم بالقِسْمة الضِّيزَى[1] ! هى

٢٠ (١) القسمة الضيزى : الناقصة الجائرة .

ما تُريدونَ شيخَكم عليه، اِشترى منّى على أن يكون الخسرانُ علىّ والربحُ له ! اِذهبوا فآشتروا لى طعامَ السَّواد(١) على هذا الوجه والشرط . ثم قال : ها هنا واحدةٌ هى لكم دونى ، ولا بدّ من الِاحتمال لكم اذ لم تحتملوا لى ، هـذا ما مَشَيتم معـه إلا وأنتم تُوجبون حقَّه وتُحِبُّون رِفدَه ، ولو كنتُ أُوجبُ له مثلَ الذى توجبونَ لقـد كنتُ أغنيتُه عنكم ، ولكن لا أعرِفُه ولا يضرّنّى بحقّ ؛ فهَلُمَّ فلنتوزَّعْ هـذا الخسرانَ بيننا بالسواء ؛ فقاموا ولم يعودوا ، وأيِس التاجرُ نخرج له من حقّه .

قال يزيدُ بن عُمَير الأُسَيِّدى(٢) لبَنِيه : يا بَنِىّ ، تعلّموا الردّ فإنه أشدّ من الإعطاء ، ولأن يعلَم بنو تميم أن عند أحدكم مائةَ ألف درهم أعظمُ له فى أعينهم من أن يَقسِمَها فيهم ، ولَأنْ يقالَ لأحدكم : بخيلٌ وهو غنىٌّ خيرٌ له من أن يقال : سخىٌّ وهو فقير .

وقال إسحاق بن إبراهيم :

النصرُ يُقرئكَ السـلامَ و إنمـا * أهدَى السـلامَ تعرّضًا لِلطَّمَعِ

فآقطَعْ لُبانَتَـــه بيأسٍ عاجلٍ * وأرِحْ فؤادَكَ من تقاضِى الأضلُعِ

ذكر ثُمامةُ محمدَ بن الجَهْم فقال : لم يُطمِعْ أحدًا قطّ فى ماله إلا ليشغَلَه بالطمع فيه عن غيره ، ولا شفَع لصديقٍ ولا تكلّم فى حاجةِ مُتَحرِّمٍ به ، إلا ليُلَقِّنَ المسئولَ حُجّةَ منع ، وليفتحَ على السائل بابَ حِرمانٍ .

كتب سهلُ بن هارون الى موسى بن عمران :

إنّ الضـميرَ اذا سألتُكَ حاجةً * لأبى الهُذَيل(٣) خلافُ ما أُبدِى

فآمنعْه رَوْحَ اليأس ثم آمدُد له * حبـلَ الرجاء بمُخلِفِ الوعـدِ

(١) السواد : الريف . (٢) فى الأصل : « عمر » والتصويب عن السمعانى .

(٣) هو أبو الهذيل العلاف أحد رءوس المعتزلة ، وكان يبخّل ، (انظر البخلاء ج ٦٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ طبع أوروبا)

وألِنْ له كَنَفًا ليحسُنَ ظنُّه * فى غير مَنفعةٍ ولا رِفْدِ
حتى اذا طالتْ شقاوةُ جَدّه * وعناؤه فَاْجبَهْهُ بالردّ

قيل لحُبَّى المَدينيّةِ : ما الجُرْحُ الذى لا يندمِلُ ؟ قالت : حاجة الكريم الى اللئيم ثم يردّه . قيل لها : فما الذلّ ؟ قالت : وقوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يُؤْذَنَ له . قيل : فما الشرفُ ؟ قالت : اعتقاد المِنَنِ فى رِقاب الرجال . ٥

قال مَعْنُ بنُ زائدة : ما سألنى قطّ أحدٌ حاجةً فرددتُه إلا رأيتُ الغنى فى قفاه .

روى علىّ بن مُسْهِر عن هشام عن أبيه قال : قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : أعلمُتمْ أن الطمعَ فقرٌ ، وأن اليأسَ غِنًى ، وأن المرءَ اذا يئس من شىء آستغنى عنه .

وقال آخر فى كلامٍ له : كُلُّ ممنوعٍ مُسْتَغْنًى عنه بغيره ، وكُلُّ مانع ما عنده ففى الأرض غِنًى عنه . ١٠

وقد قيل : أرخص ما يكون الشىءُ عند غَلَائه .

وقال بشّارٌ : * والدرُّ يُترَكُ من غَلَائِهْ *

قال شُرَيح : مَنْ سأل حاجةً فقد عَرَض نفسَه على الرقّ ، فإن قضاها المسئولُ آستعبده بها ، و إن ردّه عنها رجع حرًّا وهما ذليلانِ : هذا بذُلّ البخل ، وهذا بذلّ الردّ .

وقال بعضُهم : مَن سألكَ لم يُكرِم وجهَه عن مسألتكَ ، فأكرِم وجهَكَ عن ردّه . ١٥

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يردّ ذا حاجةٍ إلا بها أو بميسورٍ من القول .

وقال أسماءُ بن خارجةَ : ما أُحِبُّ أن أردّ أحدا عن حاجةٍ ؛ فإنه لا يخلو من أن يكون كريما فأصونَه ، أو لئيما فأصون منه نفسى .

وقال أعرابىّ سأل حاجة فرُدَّ عنها :

ما يمنعُ الناسُ شيئا كنتُ أطلبُه * إلا أرى اللهَ يكفى فقدَ ما منَعُوا ٢٠

أتى رجلُ الحسنَ بن علىّ رضى الله عنهما يسأله ، فقال الحسن : إن المسألة لا تصلُح إلا فى غُرْمٍ فادحٍ أو فقرٍ مُدْقِع أو حَمالة مُفظِعةٍ ، فقال الرجل : ما جئتُ إلا فى إحداهنّ ، فأمر[1] له بمائة دينار . ثم أتى الرجلُ الحسينَ بن على رضى الله عنهما فسأله ، فقال له مثل مقالةِ أخيه ، فردّ عليه كما ردّ على الحسن ، فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائةَ دينار ، فنقَصه دينارا ، كره أن يساوى أخاه . ثم أتى الرجلُ عبدَ الله بن عمرَ رضى الله عنهما فسأله فأعطاه سبعةَ دنانير ولم يسأله عن شىء ، فقال الرجل له : إنى أتيتُ الحسنَ والحسينَ ، واقتصّ كلامَهما عليه وفعلَهما به ، فقال عبدُ الله : ويحكَ ! وأنَّى تجعلنى مثلَهما ! إنهما غُرَّا[2] العلم غَرًّا المالَ .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : جاء شيخٌ من بنى عَقيلٍ الى عمرَ بن هُبيرة ، فمتّ بقرابةٍ وسأله فلم يعطه شيئا ، فعاد اليه بعد أيام فقال : أنا العَقيلىّ الذى سألك منذ أيام ، فقال عمر : وأنا الفزارِىّ الذى منعك منذ أيام ، فقال : معذرةً الى الله ! إنى سألتك وأنا أظنك يزيدَ بن هُبيرة المحارِبىّ ، فقال : ذاك ألأمُ لك ، وأهونُ بك علىّ ، نشأ فى قومك مثلى ولم تعلم به ، ومات مثلُ يزيد ولا تعلم به ! يا حَرَسىّ اسْفَعْ[3] بيده .

أتى عبدَ الله بنَ الزبير أعرابىٌّ[4] يسأله ، فشكا اليه نقَبَ[5] ناقتِه وٱستحمله[6] ، فقال له ٱبنُ الزبير : ارقَعها بسِبْتٍ[7] وٱخصِفها بهُلبٍ وٱفعل وٱفعل ... ، فقال الأعرابىّ : إنى أتيتُك مُستوصِلًا ولم آتِك مُستوصِفًا ، فلا حملَتْ ناقةٌ حمَلتنى إليكَ ! فقال : إنَّ[8] وصاحِبَها .

---

(١) فى الأصل : « وأمر ... » . (٢) غرّا العلم : ألقماه ، يقال : غرّ الطائر فرخه اذا زقه ، ومنه حديث معاوية : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يغرّ عليا بالعلم » . (٣) سفع بناصيته أو بيده : قبضها وجذبها . (٤) هو عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبى الأسدى كما فى الأغانى ج ١ ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية ، وقد رويت فيه هذه الحكاية باختلاف عما هنا . (٥) النقب : رقة وتنقب فى خف البعير . (٦) استحمله : حمله حوائج يقضيها له . (٧) السبت (بالكسر) : جلد البقر المدبوغ بالقرظ تحذى منه النعال السبتية . والخصف : ان يظاهر الجلدين بعضهما الى بعض ويخرزهما ولذلك قيل للمخرز : المخصف . والهلب (بالضم) : شعر الخنزير الذى يخرز به . (٨) إنّ بمعنى نعم .

والعربُ تقول لمن جاء خائبا ولم يظفَر بحاجته : «جاء على غُبيراءِ الظهرِ»[١] .

وتقول هى والعوامّ : «جاء بخُفَّى حُنينٍ» و «جاء على حاجبه صُوفةٌ» .

وقال أبو عطاء السِّنْدىّ فى عمر بن هُبيرة :

ثلاثٌ حكْتُهنّ لقرم قيسٍ[٢] * طلبتُ بها الأخوةَ والثناءَ

رجَعن على حواجبهن صوفٌ * فعند الله أحتسِبُ الجـزاء

والأصل فى قولهم : « جاء بخُفَّى حُنين » أن إسكافاً من أهل الحيرة ساومه أعرابىٌّ بخفّين ، فٱختلفا حتى أغضبه ، فٱزداد غيظ الأعرابىّ ، فلما ٱرتحل أخذ حُنينٌ أحد خفّيه فألقاه على طريقه ثم ألقى الآخَر فى موضع آخر ، فلما مرّ الأعرابىّ بأحدهما قال : ما أَشبَهَ هذا بخف حنين ! ولو كان معه الآخر لأخذته ، ومضى ، فلما ٱنتهى الى الآخر نَدِم على تَرْكه الأول ، وأناخ راحلته فأخذه و رجع الى الأول ، وقد كَمَن له حنينٌ فعمَد الى راحلته وما عليها فذهب به ؛ وأقبل الأعرابىّ ليس معه غيرُ الخفّين ، فقال له قومه : ما الذى أتيتَ به ؟ قال : بخفّى حنين .

قالوا : فإن جاء وقد قُضيتْ حاجتُه قيل : « جاء ثانياً من عِنانه »[٣] . فإن جاء ولـمّا تُقْضَ حاجتُه وقد أُصِيب ببعض ما معه ، قالوا : «ذهب يبتغى قَرْناً فلم يَرْجع بأُذُنيْن» . يقول بشار :

فكنتُ كالعَيْرِ غدَا يبتغِى * قَرْناً فلم يَرجعْ بأُذْنَيْن[٤]

---

(١) غبيراء الظهر : الأرض ، تصغير الغبراء . ويروى : جاء على ظهر الغبـيراء ، أى جاء لا يصاحبه غير أرضه التى يجىء و يذهب فيها . (انظر ما يعوّل عليـه فى المضاف والمضاف اليه ، النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب م) . (٢) كذا فى الشعر والشعراء للؤلف والقرم من الرجال السيّد العظيم وفى الأصل : «لقوم» . (٣) فى الأصل : « فلما جاء ... » وهو غير مستقيم . (٤) رواية هذا البيت فى الأغانى ج ٣ ص ٢٠٦ طبع دار الكتب :

فصرت كالعير غدا طالبا * قرنا فلم يرجع بأذنين

وقد روى أبو الفرج أن عقبة بن سلم دعا بشارا وحماد عجرد وأعشى باهلة ، وطلب اليهم أن يضمنوا هذا المثل فى شعر ، وعيّن لمخرجه جائزة ، وهددهم إن لم يفعلوا ، فضمنه بشار على البديهة وأخذ جائزته .

سأل أعرابىٌّ قوما، فقِيل له : بُورك فيـك ! فقال : وكَلَكم الله الى دعوةٍ لا تحضُرها نيّة .

أرسل الوليد خيلا فى حَلْبةٍ[١]، فأرسل أعرابىٌّ فرسًا له فسبَقت الخيلَ، فقال له الوليد : آحملنى عليهـا، فقال : إن لهـا حُرمةً، ولكنى أحملك على مُهْر لهـا سبَق الخيل عام أوّل وهو رابض .

٥

وتقول العرب فيمن يَشْغَلُه شأنه عن الحاجةِ يُسْأَلُهـا : «شَغَلَ الحَلْىَ أهلُه أن يُعَارا» بِنَصْب الحلى، ويعار : من العارية . فأمّا قولهم : « أحقُّ الخيـل بالركض المعار» ، فإنّ المُعار[٢] : المَنْتوف الذَّنَبِ وهو المَهْلُوب، يريدون أنه أخفّ من الذيّال الذنبِ[٣]، يقال : أعَرْتُ الفرس إذا نتفته .

وتقول العرب لمن سُئل وهو لا يَقدِر فردّ : « بيتى يَبْخَل لا أنا » ؛ يريدون أنه ليس عنده ما يُعطى .

١٠

ووعد رجلٌ رجلا فلم يَقدِرْ على الوفاء بما وعده، فقال له : كذَبْتَنى، قال : لا ، ولكن كذَبَك مالى .

وتقول العرب فيمن آعتذر بالمنع بالعُدْم وعنـده ما سُئل : « أبَى الحَقِينُ العِذْرَةَ[٤] » . قال أبو زيد : وأصـله أن رجلا ضاف قوما فآستسقاهم لبنًا، وعندهم لبنٌ قد حَقَنوه فى وَطْبٍ ، فاعتـذروا أنه لا لبنَ عنـدهم ، فقال : " أبَى الحَقِينُ العِذْرَةَ " . ويقال : « العِذْرةُ طَرَفُ البخل » .

١٥

(١) فى الأصل : «من حلبة» . (٢) ما ذكره المؤلف هنا هو أحد ما فسرّت به هذه الكلمة ، وقيل : المعار : المسمن ، يقال : أعرت الفرس اذا سمنته ، وقيل : المعار : المضمر، من عار الفرس اذا أخذ يذهب ويجىء مرحا ونشاطا ، فالمعار : ما ردد الذهاب به والمجىء حتى ضمر، ويروى : المِعارُ — بكسر الميم — وهو الفرس الذى يحيد براكبه عن الطريق ، وكذلك يروى : المُغار — بالغين المعجمة — أى المضمر من أغرت الحبل اذا فتلته . (٣) الذيال الذنب : الطويله . (٤) الحقين : اللبن المحقون . والعذرة (بكسر العين) : العذر .

٢٠

وقال الطائى يذكر المَطْل :

وكان المَطْــلُ فى بدءٍ وعَوْدٍ * دُخَانًا للصــنيعةِ وهى نارُ
نسـيبُ البخلِ مذ كانَا وإن لم * يكــن نسبٌ فبينهـما جِوارُ
لذلك قِيــل بعضُ المنع أدنى * الى جُودٍ وبعضُ الجـود عارُ

قال إسماعيلُ القراطيسىّ[1] فى الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ فى مدحِــك ما أخطأتَ فى منعى[2]
لقــد أحللتُ حاجاتى * بــوادٍ غيرِ ذى زَرْعِ

غزا المُنْذِرُ بن الزُّبَيْر [فى] البحر ومعه ثلاثون رجلا من بنى أسد بن عبد العُزَّى ، فقال له حكيم بن حِزام : يٱبن أخى ، إنى قد جعلتُ طائفةً من مالى لله عزّوجلّ ، وإنى قد صنعتُ أمرًا ودعوتكم له ، فأقسمتُ عليك لا يردّه علىّ أحدٌ منكم ؛ فقال المُنْـذر : لاها اللهِ إذًا[3] ، بل نأخذ ما تُعطِى ، فإن نَحْتَجْ إليه نَسْـتعنْ به ولا نكره أن يأجُرَك اللهُ ، وإن نستَغْنِ عنه نُعطِه من يأجُرنَا اللهُ فيه كما أجرَكَ .

سأل أعرابىٌّ رجلا يقال له : الغَمْر فأعطاه درهمين ، فردّهما وقال :

جعلتُ لغَمرٍ درهمَيْــه ولم يكن * ليُغْنِيَ عــنى فاقتى دِرْهما غَمْــرِ
وقلت لغمرٍ خذهما فٱصْطَرِفهما * سريعيْنِ فى نقض المُرُوءة والأجرِ
أتمنعُ سُؤّالَ العشيرةِ بعــد ما * تَسَمّيْتَ غمرًا وٱكتنيتَ أبا بحرِ

(١) نسبهما ابن حجة فى خزانته ص ٥٤٠ طبع بولاق لابن الرومى . وذكر صاحب معاهد التنصيص فى الكلام عليهما ص ٥٦٤ طبع بولاق أنهما ينسبان لابن الرومى ولكنه قال : ورأيت فى الأغانى نسبتهما الى اسماعيل القراطيسى . وقد ذُكرا فى ترجمته فى الأغانى ج ٢٠ ص ٨٨ — ٨٩ ولم يذكرا فى ديوان ابن الرومى . (٢) فيه الكف وهو حذف السابع الساكن ، والكف حسن فى هذا البحر وهو الهزج . وفى الأغانى (ج ٢٠ ص ٨٩ طبع بولاق) : « فى مدحيك » وبهـذه الرواية لا كف فيه . (٣) أى لا يردّه عليك أحد والله اذا ، فكلمة «ها» هنا للقسم . ويجوز فيها مع كلمة الجلالة ، بعد حذف همزة الوصل ، إثبات ألفها — وينطق بهما كما ينطق بدابة — وحذفها .

اختلف أبو العَتَاهِيَـة الى الفضـل بن الربيع فى حاجةٍ له زماناً فلم يقضِها له، فكتب :

أكلَّ طُولِ الزمانِ أنتَ اذا * جئتُـكَ فى حاجةٍ تقولُ غَدَا!

لا جعل اللهُ لى اليـك ولا * عندك ما عشتُ حاجةً أبدا!

٥ وقال آخر :

إن كنتَ لم تَنْوِ فيما قلتَ لى صِلةً * فما آنتفاعُك من حَبْسى وتَرديدى

فالمنعُ أجمَـلُه ما كان أعجَلَه * والمَطْـل من غير عُسْرٍ آفةُ الجودِ

وقال آخر :

بسطتَ لسانى ثم أوثقتَ نصفَه * فنِصفُ لسانى فى آمتداحك مُطْلَقُ

١٠ فإن أنتَ لم تُنْجِـزْ عِداتى تركتَنى * وباقى لسانِ الشكر باليأسِ مُوثَقُ

وقال آخر :

يا جوادَ اللسانِ من غير فعـلٍ * ليتَ جُودَ اللسانِ فى راحتَيْكا

المواعيـــــدُ وتَنَجُّـــزها

ذكر جبّار بن سُلْمَى[1] عامرَ بن الطُّفَيْل فقال : كان والله اذا وعَد الخيرَ وفَى،

١٥ واذا أوْعَد بالشرّ أخلفَ وعفا .

وأنشد أبو عمرو بن العَلَاء فى مثل هذا المعنى :

ولا يَرْهَبُ آبنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلتِى * ويأمَنُ منّى صـولةَ المتهـدِّدِ

وإنّىَ إنْ أوعـدتُه أو وعـدتُه * لَيكذِبُ إيعادى ويَصْـدُقُ مَوْعِدِى

(١) فى الإصابة : «بضم السين وقيل بفتحها» .

وكان يقال : وَعْدُ الكريم نقدٌ، ووعدُ اللئيم تسويف .

وقال عبد الصّمد بن الفضل الرَّقاشيُّ (أبو الفضلِ والعباسِ الرَّقاشِيَّيْن البغداديَّيْن) لخالد بن دَيْسم عامل الرَّيّ :

أخالدُ إنّ الرَّيّ قد أجحفتْ بنا * وضاق علينا رَحْبُها ومَعَاشُها

وقد أطمعتْنا منك يوما سحابةٌ * أضاء لنا برقٌ وكفّ رِشاشُها

فلا غيمُها يصحو فيُؤْيَسَ طامعٌ * ولا ماؤها يأتى فترْوَى عِطاشُها

وقال رجل فى الحَجّاج :

كأنّ فؤادى بين أظفارِ طائرٍ * من الخوف فى جوّ السماء مُحَلِّقِ

حِذارَ امرئٍ قد كنتُ أعلم أنه * متى ما يَعِدْ من نَفْسه الشرّ يَصْدُقِ

قال عمرو بن الحارث : كنتُ متى شئتُ أجد من يَعِد ويُنجز، فقد أعيانى مَنْ يَعِد ولا يُنجز . قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون، فقد صاروا يقولون و يفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون .

قال بشار :

وَعَدتِنِي ثم لم تُوفِى بمَوعِدَتِى * فكنتِ كالمُزْنِ لم يُمطِرْ وقد رعدَا

هذا مثل قول العرب لمن يَعِدُ ولا يَفِى : «برقٌ خُلَّب» .

وقال آخر :

قد بَلَوْناكَ بحمد الله إنْ أغنَى البَلاءُ

فإذا جُلُّ مواعيـ * ـدِكَ والجحدُ سواءُ

وقال آخر :

لها كلَّ عامٍ موعدٌ غيرُ ناجزٍ * ووقت اذا مارأْسُ حولٍ تَجَرَّما (١)

فإن أوعدتْ شرًّا أتى دون وقتِهِ * وإن وَعَدَتْ خيرا أراثَ وأعتَما (٢)

(١) تجرّم : مضى وانقضى . (٢) أراث وأعتم كلاهما بمعنى أبطأ .

وعد عبـد الله بن عمر رجلا من قريش أن يزوّجه ٱبنته ؛ فلما كان عند موته أرسل اليه فزوّجه إياها ، وقال : كَرِهتُ أن ألقى اللهَ عزّ وجلّ بثُلُث ٱلنفاق .

وقال الطائىّ :

تقولُ قولَ الذى ليس الوفاءُ له * خُلْقًا وتُنجزُ إنجازَ الذى حَلَفَا

٥ وأثنى الله تبارك وتعالى على نبيه إسماعيل صلّى الله عليه فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال بشّار يمدح :

اذا قال تمّ علـى قَـوْله * وماتَ العَنَاءُ بِـلَا أو نَعَمْ

وبعضُ الرجالِ بِمَـوْعُوده * قريبٌ وبالفعلِ تحت الرَّجَمْ(١)

١٠ كجارى السَّرابِ تَرى لَمْعَـهُ * ولستَ بواجده عنـد كَمْ

وقال العبّاس بن الأحنف :

ماضرّ مَنْ قطعَ الرجاءَ ببخله * لو كان عللّنى بوعدٍ كاذبِ

وقال آخر :

عسى منك خيرٌ من نَعَمْ ألفَ مرّةٍ * مِنَ آخَرَ غالَ الصِّدقَ منه غوائلُهْ

١٥ وقال نُصَيْب :

يقول فيُحسِنُ القولَ ٱبنُ ليـلَى * ويفعل فوق أحسنِ ما يقولُ

وقال زيادٌ الأعجم :

لله درُّك من فـتًى * لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ

لا خيرَ فى كَذِبِ الجـوا * دِ وحَبَّذا صِدقُ البخيلْ

---

٢٠ (١) الرجم (بالتحريك) : القبر والحجارة التى توضع عليـه ، وبضمتين أو بضم ففتح : الحجارة التى توضع على القبر ، يريد أنه فى تحقيق وعده كالميت .

والعربُ تضرب المثَلَ فى الخُلْف بعُرْقوب . قال ابن الكلبىّ عن أبيه : كان عُرْقوب رجلًا من العماليق ، فأتاه أخٌ له فسأله شيئا ، فقال له عُرْقوب : اذا أَطْلَعَ[1] نخلى . فلما أَطْلع أتاه ، قال : اذا أَبْلَح . فلما أبلح أتاه ، فقال : اذا أَزْهَى[2] . فلما أزهى أتاه ، قال : اذا أرْطَب . فلما أرطب أتاه ، قال : اذا صار تمرا . فلما صار تَمْرًا جَدَّه من الليل ولم يُعطِ أخاه شيئا .

قال كعبُ بن زُهَيْر :

كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مَثَلًا * وما مواعيدُها إلّا الأباطيلُ

وقال الأشجعىّ :

وعدتِ وكان الخُلْفُ منكِ سجيّةً * مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاهُ بِيَتْرِبِ[3]

هكذا قرأته على البِصْريين فى كتاب سيبويه بالتاء وفتح الراء .

وقال الشاعر :

متى ما أقُلْ يومًا لطالبِ حاجةٍ * نَعَمْ ، أقضِها قُدْما وذلك من شَكْلى

وإن قلتُ لا ، بيَّنتُها من مكانها * ولم أوذِهِ منها بجرٍّ ولا مَطْلِ

وللبَخْلةُ الأُولى أقلُّ ملامةً * من الجُود بَدْءًا ثم يُتْبِع بالبُخْلِ

وقال أبو نُوَاس لامرأة :

أنضيتِ أحرفَ لا مما لَهِجتِ بها * فحوِّلى رحلَها عنها الى نَعَمِ

أو حوِّليها الى «لا» فهى تَعْدِلُها[4] * إن كنتِ حاولتِ فى ذا قلَّةَ الكَلِمِ

قِستُم علينا فعارِضنا قياسَكُمُ * يا مَن تناهى اليه غايةُ الكَرَمِ

---

(١) أطلع النخل : خرج طَلْعه . (٢) أزهى : تلوّن تمره بالحمرة والصفرة . (٣) يترب بالتاء المثناة : موضع قريب من اليمامة . (٤) كذا فى الأصول ، وفى ديوانه «أو حولوها اليها فهى تعدلها» . والظاهر أنه يريد أن يقول : أو حولوها الى «ها» التى بمعنى «خذ» فكتبت موصولة ليدل ظاهرها على غير باطنها ، و«ها» تعدل «لا» فى قياسها لفظا . وبين ما فى الأصل وما فى الديوان تغيير طفيف فى هذه الأبيات .

وفى هذا معنًى لطيفٌ .

كتب رجلٌ الى صـديق له : قد أفردتك برجائى بعـد الله ، وتعجَّلتُ راحةَ اليأس ممن يجود بالوعد ويضنُّ بالإنجاز، ويحسُدُ أن يُفْضَل، ويَزْهَدُ أن يُفْضِل، ويعيبُ الكذبَ ولا يصدُق .

٥ وقال آخر :

وذى ثقة تبدَّلَ حين أَثْرَى * ومن شِيَمِى مراقبةُ الثِّقاتِ

فقلتُ له عَتَبْتَ علىّ إثمًا * فِرارًا من مؤونات العِداتِ

فعُـــدْ لمودّتى وعلىّ نَذْرٌ * سألُتك (١) حاجةً حتّى المماتِ

وقال آخر فى أصحاب النبيذ :

١٠ مواعيدُهم رِيحٌ لمن يَعِدونَه * بها قطعوا بردَ الشتاء وقاظُوا

وقال مسلم :

لسانُك أحلى من جَنَى النحلِ موعدًا * وكفُّكَ بالمعروف أضـيقُ من قُفْلِ

تُمَنِّى الذى يأتيـــك حتّى اذا انتهَى * الى أجلٍ ناولتَـــه طَرَفَ الحبـلِ

وسأل خَلَف بن خليفة أبَان بن الوليد أن يهَبَ له جارية ، فوعده وأبطأ عليه ؛

١٥ فكتب اليه :

أَرى حاجَتِى عند الأميرِ كأنّما * تَهُـمُّ زمانًا عنـده بمقامِ

وأَحْصَرُ من إذْكارِه إن لَقِيتُـهُ * وصـدقُ الحيـاءِ مُلْجِمٌ بلِجامِ

أراهـا اذا كان النهـارُ نَسيئةً * وباللّيـلِ تُقضَى عندَ كلِّ منامِ

فيارَبِّ أخرِجْها فإنك مُخـرِجٌ * من المَيْتِ حَيًّـا مُفصِحًا بكلامِ

---

٢٠ (١) الكلام على تقدير «لا» النافية ، أى لا سألتك .

فتعلم ما شكرى اذا ما قضيتها[١] * وكيف صلاتى عندها وصيامى

وإن حاجتى من بعد هذا تأخرت * خشيت لما بى أن أزور غلامى

والعرب تقول : «أنجز حرٌّ ما وعد» .

وقال أمية بن أبى الصلت لعبد الله بن جدعان :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك إن شيمتك الحياء ٥

إذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقال الطائى :

واذا المجد كان عونى على المر * ء تقاضيته بترك التقاضى

وقال الزهرى : حقيق[٢] على من أورق بوعد، أن يثمر بفعل .

وقال المغيرة : من أخر حاجة رجل فقد تضمن قضاءها . ١٠

وقال الشاعر :

كفاك مذكرا وجهى بأمرى * وحسبى أن أراك وأن ترانى

وكيف أحث من يعنى بشأنى * ويعرف حاجتى ويرى مكانى

وقال الشاعر :

ياصاح قل فى حاجتى * أذكرتها فيما ذكرتا ١٥

إن السراح من النجا[٣] * ح إذا شقيت[٤] بما طلبتا

---

(١) فى الشعر والشعراء (ص ٤٤٩ طبعة أوربا) : «قبضتها» ، وورد فيه بعد ذكر الأبيات : «فضحك أبان وبعث اليه بجارية» . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ و ٩١ طبع بولاق) وفى الأصل : «خصه من أزهر الخ ...» وظاهر أنه تحريف . (٣) قال فى اللسان مادة (سرح) : «وفى المثل : السراح من النجاح ، أى اذا لم تقدر على قضاء حاجة الرجل فآيسه ، فإن ذلك عنده بمنزلة الإسعاف» . وقال الميدانى بعد ذكر هذا المثل : «يضرب لمن لا يريد قضاء الحاجة ، أى ينبغى أن تؤيسه منها اذا لم تقض حاجته» . (٤) فى الأصل : «شفيت» بالفاء . ٢٠

وقال آخر :

فى تَصـدِّيكَ للطـالِبِ إذْ كا * رُ بوعدٍ جرى به المِقــدارُ

وكتب بعضُ الكتّاب إلى صديقٍ له : إن من العَجَب إذكارَ مَعْـنِيٍّ، وحَثَّ مُتَيَقِّظٍ، واستِبْطاءَ ذاكرٍ، إلّا أن ذا الحاجة لا يَدَعُ أن يقولَ فى حاجته، حَلَّ بذلك منها أو عَقَلَ . وكتابى تذكِرَةٌ والسلام . ٥

وقال الطِّرِمّاحُ :

أَالحُسْنِ مَــنزِلَتى تُؤَخِّرُ حاجتى * أم ليسَ عندكَ لى بخيرٍ مَطْمَعُ

وقال حمزةُ بن بَيْضٍ لمَخْلَدِ بن يزيدَ بن المُهَلَّب :

أتيناكَ فى حاجـــةٍ فاقْضِها * وقُلْ مَرْحَبًا يَجِبُ المرحَبُ

ولا تَكِلَنّـا إلى مَعْشَــرٍ * متى يَعِــدوا عِدَةً يَكْذِبوا ١٠

وقال بعضُ المحدَثِينَ :

حوائجُ النـاسِ كُلُّهـا قُضِيَتْ * وحاجتى لا أَراكَ تَقْضِــيها

أناقـةُ[1] الله حاجتى عُقِــرَتْ * أم نَبَتَ الحُـرْفُ[2] فى نواحِيهـا

وقال جريرٌ لعمرَ بن عبد العزيز :

أأذكُرُ الضُّرَّ والبَـلْوَى التى نزلتْ * أم تكتفِى بالذى بُلِّغْتَ من خبرى ١٥

وقال آخر :

أروحُ لتسليم عليك وأغتـدِى * وحسبُك بالتّسليم منّى تقاضـيَا

كفى بِطِلابِ المرءِ ما لا ينـالُه * عناءً وباليأسِ المصرِّحِ[3] ناهِيَـا

---

(١) يعنى بناقة الله هنا ناقة صالح التى عقرتها ثمود . (٢) الحرف : حب الرشاد أو الخردل . ولعله يريد : أم أهملت ، فكنى بنبات الحرف فى نواحيها عن الإهمال، كما يهمل كريم النبات فينبت حوله أرذله . (٣) اليأس المصرح : الخالص الذى ليس للإنسان معه أمل فى شىء، يقال : صرح الشىء تصريحا إذا صار خالصا . ٢٠

وقال آخر :

ما أنتَ بالسّببِ الضّعيف وإنما * نُجْحُ الأمورِ بقوّةِ الأسبابِ

فاليومَ حاجتُنا اليك وإنما (١) * يُدعَى الطبيبُ لكثرةِ الأَوْصَابِ

كتب بعضُ الكتّاب الى بعضِ السلطان : أنا أنزّهك عن التجمُّلِ لى بوعدٍ يطول به المَدَى ويَعْتَرِيه الوفاء، وأُحبّ أن يتقرّر عندك أن أملِي فيك أبعدُ من أن أختلِسَ الأمورَ منك آختلاسَ من يَرى فى عاجلِك عِوضًا من آجِلك، وفى الراهِنِ من يومِك بدلا من المأمول فى غَدِك، وألّا تكون منزلتى فى نفسك منزلةَ مَنْ يُصرَفُ الطرفُ عنه وتُسْتَكرَهُ النفسُ عليه ويُتكلَّفُ ما فوق العفوِ له، وأن تَختارَ (٢) بين العـذرِ والشكرِ؛ فاللهُ يعلمُ أنّ آثرَ الحظّينِ عندى أحقُّهما عليكَ، وأصوبُهما الحالِي عندك .

وفى كتاب : ذو الحـرمة مَلُومٌ على فَرْطِ الدّالّةِ، كما أنّ المتحرِّمَ به مذمومٌ على التناسِي والإزالةِ . ومن مذهبِي الوقوفُ بنفسى دون الغايةِ التى يُقدّمنى إليها حقٌّ، لأمرين : أحدُهما ألّا أرضى بدون الحقّ أزيدَ فى الحقِّ . والثانى أن أرى النفِيس من الحظّ زهيدا اذا أتَى من جهة الإرهاقِ . ولِى ذِمامُ المودّةِ الصادقةِ التى كلُّ حُرْمةٍ تَبَعٌ لهـا، وحق الشكرِ الذى جعله الله وفاءً بالنعم وإن جلّ قدرُها؛ وأنتَ مُرَاعِى المعالى وحافِظُ بقيّةِ الكرم؛ فأىُّ سبيلٍ لِلعـذرِ، بل أىّ موضع لِلإكداء بين حُرْمتِي ورعايتِكَ، وذِمامِي وكرمِك ! .

قال أحمد بن يوسف : أوّلُ المعروفِ مُسْتخَفٌّ، وآخره مُسْتثقَلٌ؛ يكاد أوّلُه يكون للهوى دون الرأى، وآخرُه للرأى دون الهوى . ولذلك قيـل : ربُّ (٣) الصّنيعةِ أشدُّ من آبتدائها .

---

(١) فى الأصل : «اليه» وما أثبتناه يتفق مع السياق . (٢) فى الأصل : «يختار» بالياء المثناة من تحت . (٣) ربّ الصنيعةَ ربًّا : تعهدها ونماها .

قال أبو عطاء السِّنْدىّ فى يزيد بن عمر [بن هُبَيرة] :

ثلاثٌ(١) حُكْتُهنّ لقَرْمِ(٢) قيسٍ * رجَعْنَ الىّ صِفْرًا خائبات

أقام على الفُرات يزيدُ شهرًا * فقال الناسُ أيُّهما الفراتُ(٣)

فيا عجبًا لبحرٍ فاض يسقِى * جميعَ الناسِ لم يَبْلُلْ لَهَاتِى(٤)

حال المسئول عند السؤال

قال الشاعر(٥) :

سألناه الجزيلَ فما تلكّا(٦) * وأعطى فوق مُنيتِنا وزادا

مِرارًا ما أعود اليـه إلّا(٧) * تبسّم ضاحكا وثنَى الوِسادا

وقال آخرُ :

قومٌ اذا نزل الغـريبُ بدارهم * تركوه ربَّ صَـواهلٍ(٨) وقِيانِ

و إذا دعوتَهُم ليومِ كريهـةٍ * سَدُّوا شُعَاعَ الشمس بالفُرْسانِ

لا ينقُرون الأرضَ عند سؤالهم * لِتَلَمُّسِ العِلّاتِ بِالعِيـدانِ

بل يبسُطون وجوهَهم فترى لها * عند السؤال كأحسنِ الألوانِ

وقال آخرُ :

يجعَـلُ المعـروفَ والبِرَّ ذُخْرًا * و يعُـدّ الحمـدَ خـيرَ التّجارَهْ

---

(١) يعنى ثلاث قصائد . (٢) كذا فى الشعر والشعراء للؤلف . وفى الأصل : «لقوم» .

(٣) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ ، وقد تقدم هذا الشعر قريبا برواية أخرى يمدح به أباه فى ص ١٤١ وليس فيه هذا العيب . (٤) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . (٥) هو زياد الأعجم يمدح عمر بن عبد الله . (٦) فى الأغانى (ج ١٤ ص ١٠٢ طبع بولاق) « تأبّى » . (٧) فى الأغانى : «ما دنوت» . (٨) كذا فى العقد الفريد . والصواهل : جمع صاهل وهو الفرس والبعير الذى يخبط برجله و يده الأرض ولا يرغو ، وفى الأصل : «صياهل » ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة هذا الجمع .

وإذا ما جئتَــه تجتــديه * خِلْتَــه بشَّــرْتَه ببشارهْ
فترى فى الطَّرْف منــه حياءً * وترى فى الوجه منــه آستِنارهْ

وقال آخر :

إذا غدا المهدِىُّ فى جنــده * أو راح فى آل الرسول الغِضابْ
بدا لك المعروفُ فى وجهــه * كالضوءِ يجرِى فى ثنايا الكِعابْ (١)

٥

وأنشدنى العُتْبىّ :

له فى ذُرَى المعروف نُعْمَى كأنها * مواقع ماءِ المُزن فى البلد القَفْرِ
إذا ما أتاه السائلون توقّدتْ * عليـه مصابيحُ الطلاقةِ والبِشرِ

والمشهور فى هذا قول زهيرٍ :

تَراه اذا ما جِئتَــه مُتهــلِّلًا * كأنك تُعطيهِ الذى أنتَ سائلُهْ

١٠

وسأل رجل من الأعراب رجلا [فلم يُعْطِهِ] شيئا، فقال :

كَدحْتُ بأظفارى وأعْمَلْتُ مِعْوَلِى * فصادَفْتُ جُلْمُودًا من الصَّخر أملَسَا
تشاغلَ لمـا جئتُ فى وجه حاجتى * وأطرَق حتى قلتُ قد ماتَ أوعسَى
وأجمعتُ أن أنعَاه حين رأيتُــه * يفــوقُ فُواقَ [الموت] (٢) ثم تنفَّسَــا
فقلتُ له لا بأسَ، لستُ بعــائذ (٣) * فأفْــرِخ (٤) تَعلُوهُ الكآبةُ مُبلِسَــا

١٥

وقال مسلمٌ :

أطرقَ لمـا أتيتُ ممتــدِحًا * فلم يقُلْ "لا" فضلًا على "نَعَمِ"

---

(١) الكعاب : جمع كاعب، والكاعب : الجارية الناهــد . والثنايا : أربع أسـنان فى مقدم الفم : ثنتان فى الفك الأعلى وثنتان فى الأسـفل . (٢) زيادة يستقيم بهـا المعنى والوزن .
(٣) العائذ : الملتجئ . وفى الأصل : «بعائد» بالدال المهملة . (٤) فأفرخ : ذهب روعه،
وفى الأصل : «فأفرج» بالجيم . ومبلسا : حزينا مفكرا .

٢٠

خفتُ إن ماتَ أن أُقادَ به * فقمتُ أبغى النَّجاءَ من أَمَمِ[1]

لو أنّ كنزَ البـــلادِ فى يده * لم يَدَعِ الإعْتِـــلاَلَ بالعَـــدَمِ

وقال الحارث الكِنْدِىّ :

فلما أن أتيناه وقلنا * بحاجتنا تَلَوَّنَ لونَ وَرْسِ[2]

وآضَ[3] بكفّه يحتكُّ ضرسًا * يُرينـا أنه وَجِعُ بِضِرْسِ

فقلتُ لصاحبى أبِه كُزَازٌ[4] * وقلتُ أُسُّره أتُراه يُمْسِى

وقمنا هارِبيْن معًا جميعًا * نُحاذِرُ أن نُزَنَّ[5] بقتلِ نَفْسِ

قال الأصمعىّ :

دخل أعرابىّ على المُساوِرِ الضَّبِّىّ وهو بُنْدارُ[6] الرَّىّ ، فسأله فلم يُعطِه شيئا ، فأنشأ يقول :

أتيتُ المساوِرَ فى حاجـــةٍ * فما زال يَسعُلُ حتى ضَرَطْ

وحكَّ قفـاه بكُرْسُوعِه[7] * ومَسَّـــحَ عُثْنُونَه وآمتخطْ

فأمسكتُ عن حاجتى خِيفةً * لأخرى تُقَطِّعُ شَرْجَ[8] السَّفَطْ

فأُقسِمُ لو عُـدتُ فى حاجتِى * لَلَطَّـخَ بالسَّـلْحِ[9] وَشْىَ النَّمَطْ[10]

وقال غَلِطْنا حسابَ الخـراجِ * فقلتُ من الضَّرْطِ جاء الغَلَطْ

قال : فكان العاملُ كلّما رِكبَ صاح به الصِّبيانُ : « من الضرط جاء الغلط » فهرب من غير عَزْلٍ الى بلاد أصبهانَ .

---

(١) من أمم : من قريب . (٢) الورس : نبات أصفر ينبت باليمن . (٣) آض : صار وعاد . (٤) الكزاز : داء يحصل من شدّة البرد أو رعدة . (٥) نزن : نتهم . (٦) البندار : الحافظ . (٧) الكرسوع : طرف الزند الذى يلى الخنصر . (٨) الشرج بالتحريك : العُرَى ، وسكن للضرورة . والسفط : وعاء كالقفة ، وشرج السفط هنا كناية عن الأست . (٩) السلح : النجو . (١٠) النمط : الفراش .

وقال نهارُ بنُ تَوْسِعَةَ فى قُتَيبةَ بن مسلم :

كانتْ خُراسانُ أرضا اذ يزيدُ بها * وكلُّ بابٍ من الخيرات مَفتوحُ

فَبُدِّلَتْ بعــدَه قِردًا نُطِيفُ به * كأنمـا وجْهُـهُ بالخلّ مَنضُوحُ

وقال جرير[1] :

يَزِيدُ يُغُضّ الطَّــرفَ دونى كأنّمـا * زَوَى بين عينَيْــهِ عـلىّ المحاجِمُ[2]

فلايَنبَسِطْ من بينِ عينَيكَ ما آنزوَى * ولا تلقَــنِى إلا وأَنفُــكَ رَاغِـمُ

وقال آخرُ :

لا تَسأَلِ المرءَ عن خلائِقه * فى وجهِهِ شاهدٌ من الخبَرِ

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن الأبَحِّ[3] عن البَتِّىّ قال قال محمـد بن واسع :
إنك لتعرِف فُجورَ الفاجرفى وجهه .

قال أبو العتاهية :

مالى أَرَى[4] الناس قـد أبرقُوا * بلُؤمِ الفِعال وقــد أرعدوا

اذا جئتَ أفضلَهم للســلا * م ردّ وأحشاؤه تُرْعَــدُ

كأنكَ، من خشيةٍ للسّــؤا * ل، فى عينه الحيّةُ[5] الأســودُ

---

(١) نسب المبرّد فى الكامل (ج ١ ص ٣٩٦ طبـع أوربا) هذا الشعر للأعشى يعاتب به يزيد بن مسهر الشيبانى ، وورد فى الأغانى فى ترجمة الأعشى (ج ٨ ص ٨٦ طبع بولاق) ولسان العـرب مادّة «زوى» ما يؤيد ذلك .

(٢) المحاجم : جمع محجم ، وهو قارورة الحجام .

(٣) ورد هذا الاسم فى الأصل هكذا «الأيح» بالياء المثناة من تحت ، ولم نعثر فى الرواة على من تسمى بهذا الاسم . وقد ورد فى تهذيب التهذيب حماد بن يحيي الأبح ، فلعله محرّف عنه .

(٤) دخل هذا البيت الخرم وهو حذف الحرف الأوّل من «فعولن» وفى هذه الحالة يسمى «أثلم» . وقد ورد فى ديوانه طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين هكذا : ترى الناس طرا وقد أبرقوا ... ... الخ .

(٥) كذا فى ديوانه ، وفى الأصل : «الأسد الأسود» .

وقال آخر :

اذا ما الرّزق أحجم عن كريم * فألجاه الزمانُ إلى زيادِ
تلقّاه بوجـهٍ مُكْفَهِـرٍّ * كأنّ عليـه أرزاقَ العبادِ

وقال آخرُ :

ولى خليـلٌ ما مسّنى عَدَمٌ * مذ نظَرتْ عينه الى عَدَمِى
بشّرَنى بالغِـنَى تهلّـلُه * وقبل هـذا تهلّلُ الخَـدَمِ
ومِحنةُ الزائرينَ بيِّنـةٌ * تُعرَفُ قبل اللقاء فى الحَشَمِ

العادةُ من المعروف تُقطَعُ

كان يقال : انتزاعُ العادةِ ذنبٌ محسوبٌ .

وقال أبو الأسود [الدُّؤَلى] (١) :

ليت شـعرى عن أميرى ما الذى * غاله فى الـودّ حـتى ودّعَـهْ
لا تُهِنّى بعـد إذ أكرمتنى، * وشـديدٌ عادةٌ منـتزَعَهْ
أذكرِ البلْوى الـتى أبليتَنِى * وكلامًا قُلتَـهُ فى المَجْمَعَـهْ (٢)
لا يكُنْ برقُـك برقًا خُلّبًا * إنّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ معَـهْ

والمشهورُ فى هذا قولُ الأعشى :

عَوّدتَ كِندةَ عادةً فاصبِرْ لها * واغفِـرْ لجاهلها وروِّ سِجالَها

(١) وردت هذه الأبيات فى حماسة البحترى (ص ٣٧٣ طبعة أوروبا) برواية أخرى منسوبة لأنس ابن أبى أنس الليثى وهى :

سل أميرى ما الذى غيّر لى * ودّه والنفع حتى ودّعه
ما الذى أنكر منى فأنثنى * وهو يبدى لى أمورا شنعه
لا تهنى بعد إكرامك لى * وشـديد عادة منتزعه
واذكر العهد الذى عاهدتنى * وحديثا قلتـه فى المجمعه
ليت من يسعى بسوء بيننا * جنه الليـل بأرض مسبعه

(٢) المجمعة : مجلس الاجتماع، قال الشاعر : وتوقد ناركم شررا ويرفع * لكم فى كل مجمعة لواء

سأل أعرابىّ قوماً، فرَقّ له رجلٌ منهم فضمّه اليه وأجرى له رزقاً أياماً ثم قطع عنه، فقال الأعرابىّ :

تَسرَّى[(١)] فلمّا حاسبَ المرءُ نفسَه * رأى أنه لا يستقيم له السَّرْوُ

وقدِم أبو زيادٍ الكِلَابىّ مع أعرابٍ سنةَ القَحْمَة[(٢)]، فأجرى عليهم رجلٌ رغيفا لكل رجلٍ ثم قطَعه، فقال أبو زياد :

إن يقطعِ العباسُ عنا رَغيفَهُ * فما يأتِنِى من نِعمةِ الله أكثرُ[(٣)]

والحكماء تقول : «العادة طبيعةٌ ثانيةٌ» .

وفى الحديث : "الخيرُ عادةٌ والشرّ لجَاجَةٌ" .

وقال بعضُ الشعراء لرجلٍ من الأشراف :

ولقد ضرَبنا فى البلاد فلم نَجِد * أحدا سِواك الى المكارم يُنْسَبُ

فاصبِرْ لعادتك التى عوّدتَنا * أوَلا فأرشِدْنا الى مَنْ نَذهَبُ

وتقولُ العربُ فيمن اصطنعَ معروفا ثم أفسده بالمنّ أو قطعه حين كاد يتمّ : «شَوَى أخوكَ حتى اذا أنضجَ رمَّد[(٤)]» .

قال أبو كعب القاصّ : كان رجل يُجرِى علىّ رغيفا فى كلّ يوم، وكان يقول اذا أتاه الرغيفُ : لعنك الله ولعن من بعث بك، ولعننى إن تركتُك حتى أُصيبَ خيرا منك .

والعربُ تقولُ فى مثل هذا : «خُذْ[(٥)] من الرَّضَفةِ ما عليها» .

---

(١) تسرّى : تكلف السرو، والسرو : السخاء . (٢) القحمة : القحط . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وقد تقدّم شرحه فى صفحة ١٥٥ حاشية رقم ٤ (٤) كذا فى مجمع الأمثال للميدانى . ورمد : ألقى الشىء فى الرماد . وفى الأصل : « رمّل » باللام وهو يصح به المعنى أيضا .

(٥) هذا المثل يضرب فى اغتنام الشىء من البخيل و إن كان نزرا ، والرضفة : الحجارة المحماة يُوغَر (يُسَخَّن) بها اللبن، وهى اذا ألقيت فى اللبن لزق بها شىء منه .

وقال الشاعر :

وخُذِ القليلَ من اللئيم وذُمَّه * إنّ اللئيم بما أتى معذورُ

ومعذور : موسوم فى موضع العِذار، وليس هو من العذر .

الشكر والثناء

٥ حدّثنى شيخ لنا عن وَكيع عن سفيان عن منصور عن هلال بن أساف[1] قال قال صلى الله عليه وسلم : "اذا صَلّى[2] أحدُكم فَلْيُدْنِ عليه من سِتر بيته فانّ الله عزّ وجلّ يَقسِمُ الثناء كما يَقسِمُ الرزقَ" .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سعيد عن أبى عِمران الجَوْنى عن عبد الله بن الصّامت قال قال أبو ذرّ : قلتُ للنبىّ صلى الله عليه وسلم : الرجلُ يعمَل العمَل ويحبّه الناس؟ قال: "تلكَ عاجِلُ بُشْرى المؤمنِ". وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : ١٠ "إذا أردتم أن تعلَموا ما لِلْعبدِ عند اللهِ فانظُروا ما ذا يَتْبعُه مِن الثَّناءِ" .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : كان يقال : الثناء يُضاعَفُ كما تُضاعَف الحسناتُ، يكون الرجل سخيًّا فيزيدُ اللهُ فى سَخائِه، ويكون شُجاعًا فيزيدُ الله فى شجاعته.

وحدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ عن العُمَرىّ قال : قال رجلٌ لعمر بن الخطّاب ١٥ رضى الله عنه : إنّ فلانًا رجلُ صِدْقٍ ؛ قال : سافرتَ معه ؟ قال لا . قال : فكانت بينك و بينه خُصُومةٌ ؟ قال لا . قال : فهل آئتمنتَه على شىءٍ ؟ قال لا . قال : فأنت الذى لا علم لكَ به، أُراكَ رأيتَه يرفع رأسَه ويَخْفِضه فى المسجد ! .

(١) ترجم له فى الخلاصة، وتهذيب التهذيب تحت اسم هلال بن يساف بالياء المثناة وقال فى التهذيب : « و يقال ابن أساف » . (٢) ورد هذا الحديث فى الجامع الصغير هكذا : « اذا صلى أحدكم فليصل الى سترة وليدن من سترته لا يقطع الشيطان عليه صلاته » . ٢٠

قال بعضُ الحكماء : إذا قَصُرتْ يدُك عن المكافأة فَلْيَطُلْ لسانُك بالشكر .

وقال آخرُ : حقُّ النِّعمةِ أن تُحْسِنَ لباسَها ، وتَنسُبَها إلى وليّها ، وتذكرَ ما تناسى عندك منها .

وقال بعضُ الحارثيّين :

عثمانُ يَعلَمُ أنّ الحمدَ ذو ثمنٍ * لكنّه يَشتهِى حَمْدًا بمَجّانِ

والناسُ أكيَسُ من أن يَحْمَدُوا أحدًا * حتى يَرَوْا قبلَه آثارَ إحسانِ

وقال حمّادُ عَجْرَد :

قد يَنقضِى كلُّ ما أُوليتَ من حَسَنٍ * إذا أتى دونَ ما أُوليتَ يومانِ

تَنأَى بُودّك ما ٱستغنَيتَ عن أحدٍ * وإن طَمِعتَ فأنتَ الواصلُ الدّانى

الشَّهدُ أنتَ إذا ما حاجةٌ عرَضَتْ * وحَنْظَلٌ كلّما ٱستغنيتَ خُطْبانُ[1]

وقال عِمْرانُ بن حِطّان :

وقد عرَضَتْ لى حاجةٌ وأَظُنّنى * بأنّى اذا أنزلتُها بك مُنْجِحُ

فإن أكُ فى أخذ العطيّة مُرْبحًا * فإنك فى بذل العطيّة أربَحُ

لأنّ لك العُقبَى من الأجرِ خالصًا * وشُكرِىَ فى الدنيا ، فحظُّك أرجَحُ

وقال معاويةُ بن أبى سُفيانَ يعاتب قُرَيشا :

اذا أنا أعطيتُ القليلَ شكوتُمُ * وإن أنا أعطيتُ الكثيرَ فلا شُكْرُ

وما لمتُ نفسى فى قَضاء حقوقكمْ * وقد كان لى فيما ٱعتذرتُ به عُذْرُ

وأمنَحُكُمْ مالى وتُكْفَرُ نعمتى * وتَشْتُمُ عِرْضِى فى مجالسها فِهْرُ

(١) أخطب الحنظل : ٱصفرّ وصار خطبانا وهو أن يصفرّ وتصير فيه خطوط خضر ، وفى الأصل : « حطبان » بالحاء المهملة وهو تحريف . وفى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروى .

إذا العذرُ لم يُقبَلْ ولم ينفعِ الأسى * وضاقت قلوبٌ منهمُ حَشْوُها الغِمرُ (١)

فكيف أُداوِى داءَكم ودَواؤكم * يزيدكم غيًّا! فقد عَظُم الأمرُ

سأحرِمُكُمْ حتى يَذِلّ صِعابُكم، * وأبلَغُ شىءٍ فى صَلاحِكُمُ الفقرُ

وقال طُرَيحٌ الثَّقَفىّ :

٥ سَعَيتُ ٱبتغاءَ الشكر فيما صنعتَ بى * فقصَّرتُ مغلوباً وإنى لشاكرُ

ومثله قول الخُرَيْمىّ :

لِأنك تُعطينى الجزيلَ بَداهةً * وأنت لِمَا ٱستكثرتُ من ذاك حاقرُ

ومثله قولُه أيضا :

زاد معروفَكَ عندى عِظَمًا * أنه عندكَ مَحْقُورٌ صَغيرُ

١٠ تَتَناساه كأنْ لم تأتِه * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ

قال رجل لبعض السلطان : المواجهةُ بالشكر ضربٌ من المَلَق ، منسوبٌ من عُرِف بها الى التخلُّقِ (٢) ، وأنت تمنَعُنى من ذلك وترفع الحالُ بيننا عنه ، ولذلك تركتُ لقاءك به . غير أنى من الاعتراف بمعروفك ونَشرِ ما تَطْوى منه والإشادةِ بذكره عند إخوانك والانتسابِ إلى التقصير مع الإطناب فى وصفه ، على ما أرجو

١٥ أن أكونَ قد بلغتُ به حالَ المحتمِلِ للصَّنيعة ، الناهضِ بحقّ النعمة .

قال ٱبنُ عنقاء الفَزَارىّ :

رآنى على ما بى عُمَيلَةُ فٱشتكى * الى ماله حالى أسَرَّ كما جَهَرْ

دعانى فآسانى ولو صَدَّ (٣) لم أُلُمْ * على حين لا بَدْوٌ يُرَجَّى ولا حَضَرْ

فقلتُ له خيراً وأثنيتُ فعلَه (٤) * وأوفاك ما أسديتَ مَنْ ذَمَّ أو شَكَرْ

٢٠ (١) الغمر (بالكسر) : الحقد . (٢) تخلق الرجل : أظهر فى خلقه خلاف ما فى نفسه .
(٣) فى ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٦ طبع أوربا : «ضن» . (٤) أثنيت فعله أى على فعله ، فحذف حرف الجر ، ويجوز أن يكون عدى أثنى لأنه بمعنى مدح (انظر شرح الحماسة للتبريزى) .

وقال آخرُ[1] :

سأشكر عمــرًا إن تراخت منيّتى * أيادِىَ لم تُمْنَن وإن هى جَلّتِ

فتًى غيرُ محجوبِ الغِنَى عن صديقه * ولا مُظْهِرِ الشكوَى اذا النعلُ زَلّتِ

رأى خَلّتى[2] من حيثُ يَخفى مكانُها * فكانت قَذَى عينيْــه حتى تجلّتِ

وقرأتُ فى كتاب للهند : أربعةٌ ليست لأعمالهم ثمرة : مُسَارُّ الأَصمّ ، والباذرُ فى السَّبَخة ، والمُسْرِجُ فى الشمس ، وواضعُ المعروف عند مَنْ لا شكرَ له .

وقال بعضُ الشعراء المُحْدَثين ، وقيل : إنه للبحترىّ ، فبعثتُ إليه أسأله عنه فأعلمنى أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِينُ * إذا ما تأمّــله الناظــرُ

لبيّنتُــهُ لك حــتّى تراه * فتعــلَم أنّى آمرؤٌ شاكِرُ

ولكنه ساكنٌ فى الضميرِ * يُحَـرّكه الكَلِمُ السائرُ

وقال آخرُ :

فلو كان يَستغنى عن الشكر سيّدٌ * لعِــزّة مُلْكٍ أو عُلوّ مَــكانِ

لمـا أمر اللهُ الجليــلُ بشكره * فقـال آشكرونى أيهـا الثّقلانِ

وقال آخرُ :

فأثنُــوا علينا لا أبًا لأبيكُمُ * بإحساننا إنّ الثناءَ هو الخُلدُ

وقال رجل من غَنِيٍّ :

فإذا بلغتم أهلَكم فتحدّثوا * ومن الثناء مَهالكٌ وخُلودُ

---

(١) يقال : إنه محمد بن سعيد الكاتب (انظر ديوان الحماسة لأبى تمام ص ٦٩٧ طبع أوربا) .

(٢) الخلة (بالفتح) : الفقر والحاجة .

وكانت عائشة رضى الله عنها تَمَثَّلُ بقول الشاعر :

يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليـك وإنّ مَنْ * أثنى عليك بمـا فعلتَ كمن جَزَى

وقال الحارثُ بن شدّاد فى علىّ بن الربيع الحارثىّ :

النـاسُ تحتك أقـــدامٌ وأنت لهم * رأسٌ وكيف يُسَوَّى الرأسُ والقدمُ

٥ فَحَسْبُنا من ثناء المـادحين إذا * أثنَوْا عليـك بأن يُثنوا بمـا عَلِموا

وقال آخرُ :

بأىّ الخَصْـلتَيْن عليك أُثْنى * فإنى عند مُنْصَرَفى مَسُـولُ

أبِالحُسْنَى وليس لهـا ضياءٌ * علىّ فَمَنْ يُصَـدِّقُ ما أقـولُ

أمِ الأُخرَى ولستَ لها بأهلٍ * وأنت البحرُ من ذهبٍ يسيلُ

١٠ وقال بشّار :

أُثنِي عليـك ولى حال تُكَذِّبنى * فيما أقول فأستحيي من النـاسِ

قد قلتُ إنّ أبا حفصٍ لأَكرمُ مَنْ * يمشى فخاصَمنى فى ذاك إفلاسى

وكتب بعض الكتّاب إلى وزير : لستَ تُشْـبه حالَنا فى الحُرْمة ، ولا نُشْـبه حالَك فى الجاه والقُدرة ، ولا ظاهرُ ما نحن عليه الباطن . وليس بعد حُرْمتى حرمةٌ ،

١٥ ولا فوق سَبَبى سببٌ ، ولا بعـد حالك حالٌ يُرتَجى ، ولا بعـد منزلتك منزلةٌ تُتَمَنَّى ، ولا تنتظر شيئا ولا أنتظره ، ولا أتوقّع حقًّا أزيدُه فى حقوقى ، ولا نُتوقّع فائدة تزيدها فى ذات يدك . وكم تحتال بالألفاظ ، وتُموّه بالمعـانى ، والنـاس يحتجّون بالعمـل ويَقْضون بالعِيان .

وقال بعض الشعراء :

٢٠ وزهّدنى فى كلّ خيرٍ صـنعتُه * إلى الناس ما جرّبتُ من قلّةِ الشكرِ

وقال أبو الهَوْل فى أبى المراء عُتْبة بن عاصم :

اذا فاخرَتْنَا من معَدٍّ عِصابةٌ * فخرنا عليها بآبن عُتْبَةَ عاصِمِ

يجُرُّ رِياطَ الحمدِ فى دار قومه * ويختال فى عِرْضٍ من الذمّ سالِمِ

وقال رجل لبعض السلطان : مِثلك أوجب حقّا لا يجب عليه ، وسمَح بحق يجب له ، وقبِل واضحَ العذر ، وآستكثر قليلَ الشكرِ . لا زالت أياديك فوق شكرِ أوليائك ، ونعمةُ الله عليك فوق آمالهم فيك .

وكتب آخر :

ما أنتهى الى غايةٍ من شكرك ، إلا وجدتُ وراءَها غايةً من معروفك يَحْسُرُنى[1] بلوغُها . وما عَجَز الناسُ عنه فاللهُ من ورائه . فلا زالت أيامك ممدودةً بين أملٍ [لك] تبلغه ، وأملٍ فيك تُحقِّقُه ، حتى تَتَمَلّى من الأعمار أطولَها ، وتنالَ من الهِبَاتِ أفضلَها .

ونحو هذا قولُ آخر :

كان لى فيك أمَلانِ : أحدُهما لك ، والآخَرُ بك . فأمّا الأملُ لك فقد بَلَغتَه ، وأمّا الأملُ بك فأرجو أنْ يُحقِّقَه الله ويُوشِكَه .

وفى كتاب آخر :

أيّامُ القدرةِ وإن طالتْ قصيرةٌ ، والمُتْعةُ بها وإن كَثُرتْ قليلةٌ ، والمعروفُ وإنْ أُسْدِىَ الى من يَكْفُرُه مشكورٌ بلسان غيره .

وفى كتاب بعض الكتّاب :

وما ذكرتُ — أعزّك الله — من ذلك قديمًا ولا جَدّدتَ منه حديثًا ، إلّا وأصغرُ أملِى فيك فوقَه وإن كان آستحقاقى دونه . فإن أفضَ واجبَ حقِّ الله علىّ

(١) يحسرنى (من باب نصر ، ويجوز فيه أحسر أيضا) : يعيينى ويتعبنى .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

فى شكر نِعَمك فبتوفيقِه وعَوْنه ، وإن أُقَصِّر عن كُنْهه فعن غيرِ تقصيرٍ فى بلوغ الجُهْدِ فيـــه .

وفى هذا الكتاب :

أمّا ما بَذَلَ الأميرُ من ماله ، فذلك ماقد سَبَق الرجاءُ بل اليقينُ اليه ، مَعْرِفةً منِّى بطَوْله وكرمه ، وليس ينكَر أياديه ولا بِدْعُ صنائعِه . وما يُرشِدُنى أملى بعد الله إلّا اليه ، ولا أفزَعُ لحادثةٍ الى غيره ، ولا أتضاءلُ لنائبة معه . ولو عَجَزتُ عن النَّهضةِ لمَـا حاولتُ الاستقلالَ والانتعاشَ إلّا به . ومالُ الأميرِ الكثيرُ المذخورُ عند انقطاع الحِيَل ، لا مُعَنَّفٌ طالبُه ، ولا مُخَوَّفٌ على الردّ عنه واهبُه ، ولا عائقَ منْعٍ دونه ، ولا تنغيصَ من ورائه ؛ ولا كنزَ أولَى بالصون وأن يُجعَلَ وَقْفًا على النوائبِ والعواقبِ مِنْ كنزٍ مَنْ هذه حالُه .

قالت بنو تميم لِسَلامةَ بن جَنْدَل(١) : مَجِّدْنا بشعرك ؛ فقال : افعلوا حتّى أُثْنِيَ .

ونحوُه قولُ عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ :

فلو أنّ قومِى أنطقتْنى رِماحُهم * نطقتُ ولكنّ الرّماحَ أجرَّتِ(٢)

قال رجل من قريش لأشعبَ : والله ما شكرتَ معروفى عندك ؛ فقال : إنّ معروفك كان من غير مُحتَسِبٍ ، فوقع عند غير شاكر .

وقال أبو نُوَاس :

أنت امرؤٌ أوليتَـــنى نِعَمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضَعُفا

(١) كذا فى الشعر والشعراء (ص ١٤٧ س ٤) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٢ ص ٨٦ س ٢٢) وفى الأصل : « جندب » بالباء وهو تحريف .

(٢) أجرّت : قطعت ، يقول : لو قاتل قومى أو أبلوا لذكرت ذلك وفخرت بهم ، ولكن رماحهم أجرّتنى أى قطعت لسانى عن الكلام بفرارهم .

فإليكَ بعد اليومِ تَقْدِمةً * وَأَلْتُكَ[1] بالتصريح مُنكشِفَا

لا تُحدِثَنّ إلىّ عارفةً * حتّى أقومَ بشكرِ ما سَلَفَا

وقال أبو نُخَيْلة :

شكرتُكَ إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقَى * وما كلُّ مَنْ أقرضتَه نعمةً يَقضِى

فأحييتَ من ذكرِى وما كان مَيِّتًا[2] * ولكنّ بعضَ الذِّكرِ أنبهُ من بعضِ ٥

آخر :

لأشكُرَنَّك معروفًا هَممتَ به * إنّ اهتمامَك بالمعروفِ معروفُ

ولا ألومُك إن لم يُمْضِه قَدَرٌ * فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفُ

وقال رجل لسعيد بن جُبَير : المجوسىُّ يُولينى خيرًا فأشكرُه، ويُسَلِّمُ علىّ فأردُّ عليه ؛ فقال سعيد : سألتُ ابن عبّاس عن نحو هذا، فقال لى : لو قال لى فرعونُ خيرا لَرَدَدتُ عليه مثله . ١٠

أنشد ابن الأعرابىّ :

أهلكتْنى بفلانٍ ثِقَتِى * وظُنونٌ بفلانٍ حسنَهْ

ليس يَستوجِبُ شكرًا رجلٌ * نِلتُ خيرًا منه من بعد سنَهْ

وقال بعضهم : لا تَثِق بشكرِ من تُعْطيه حتى تمنَعه ؛ فإنّ الصابرَ هو الشاكر، والجازعَ هو الكافر . ١٥

وقال أَوْسُ بن حَجَر :

سأَجْزِيك أو يَجْزِيك عنّى مُثَوِّبٌ[3] * وقَصْدُك أنْ يُثْنَى عليك وتُحْمَدِى

(١) والتك : تابعتك ، وفى ديوانه المطبوع : فإليك قبل اليوم تقدمة * لاقتك بالتصريح منكشفا

(٢) فى نهاية الأرب : * ونبهت لى ذكرى وما كان خاملا * (٣) كذا فى ديوانه طبع أوربا والأغانى (ج ١٠ ص ٧ طبع بولاق) ، وفى الأصل : ٢٠

... ... منى متوب * وحسبك منّى أن أَوَدّ وأحمَدَ وروىّ القصيدة بالكسر .

والعربُ تقول : فلانٌ " أشْكَرُ من البَرْوَق " وهو نبت ضعيف ينبتُ بالسحاب إذا نشأ و بأدنى مطر .

وقال الشاعر :

لئن طِبتَ نَفْسًا عن ثَنَائِى فإننى * لَأَطَيبُ نفسًا عن نَدَاك على عُسْرِى
فلستُ الى جَدْواكَ أعظَمَ حاجةً * على شِدّةِ الإعسارِ منكَ إلى شُكرِى

وقال آخر :

حَسْبُ آمرئٍ إن فاتنى غرضُ * من بِرِّه أنْ فاتَه شُكْرِى
إنّى اذا ضاق آمرؤٌ بجَدًا(١) * عنّى آتّسعتُ عليه بالعُذْرِ

وقال الطائىّ لإسحاق بن إبراهيم :

ومُحَجَّبٍ حاولتُه فوجدته * نَجْمًا عن الركبِ العُفاةِ شَسُوعَا
أعدمتُه لمّا عَدمتُ نوالَه * شُكرِى فرُحْنا مُعدِمَيْن جميعَا

وقال :

فإنْ يكُ أرْبَى(٢) عفو شكرِى على نَدَى * أُنَاسٍ فقد أرْبَى نَدَاه على جُهدِى

وقال :

وكيفَ يجورُ عن قصْدٍ لسانِى * وقلبى رائحٌ بِرِضَاكَ(٣) غادِى
وممّا كانتِ العلماءُ قالتْ * لسانُ المرءِ مِن خَدَمِ الفُؤادِ

وقال :

أبا سَعيدٍ وما وصفِى بمُتَّهَمٍ * على الثَّناءِ(٤) وما شُكرِى بمُخْتَرَمِ

(١) الجدا : العطية . (٢) كذا فى ديوان أبى تمام ، وفى الأصل : «أدنى» وهو تحريف .
(٣) كذا فى ديوان أبى تمام وهو الذى يناسب البيت الذى بعده ، وفى الأصل : « بنداك » .
(٤) فى الديوان : «على المعالى» .

لئن جَحَدتُكَ ما أوْليتَ من نِعَمٍ * إنّى لفى الشُّكر أحظَى منك فى النِّعَمِ[1]

أنسى ٱبتسامُكَ والألوانُ كاسِفةٌ * تَبَسُّم الصّبح فى داجٍ من الظُّلَمِ

رَدَدتَ رَوْنَقَ وجهى فى صَفيحَتِه * رَدَّ الصِّقالِ بَهاءَ الصّارمِ الخَذِمِ

وما أُبالى، وخيرُ القول أصدقُه، * حَقَنتَ لى ماءَ وجهى أم حقنتَ دَمِى

وقال : ٥

فلا تَكْدَرْ حِياضُك لى فإنى * أَمُتُّ اليك آمالًا طِوالَا

وفِرْ[2] جاهِى علىَّ فانَّ جاهى * اذا ما غَبَّ يومٌ كان مالَا

وقال :

يا مِنَّةً لك لولا ما أُخَفِّفُها * به من الشكر لم تُحمَلْ ولم تُطَقِ

بٱلله أدفعُ عنّى ثِقْلَ فادحِها * فإنّنى خائفٌ منه[3] على عُنقِى ١٠

وقال بشارٌ فى عمرِ بنِ العلاء :

دعانى الى عُمرٍ جُودُه * وقولُ العشيرةِ بحرٌ خِضَمّْ

ولولا الذى زعموا لم أكن * لِأَمدحَ رَيْحانةً قبلَ شَمّْ

ويقال : الشكر ثلاثُ منازلَ : لِمَن فوقك بالطاعةِ، ولِنظيرِكَ بالمكافأةِ، ولمن دونك بالإفضال عليه . ١٥

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى الأصل ، وهو غير واضح المعنى ، وقد ورد البيت فى الديوان هكذا :

لئن جَحَدتُكَ ما أوليتَ من حسَنٍ * إنى لفى اللؤم أحظَى منكَ فى الكرم

(٢) فِرْ : فعل أمر من قولهم : وفَرَ عرضَه ووفره له لم يشتمه كأنه أبقاه له طيبا لم ينقصه بشتم قال الشاعر :

ألِكْنِى وفِرْ لابن الغريرة عرضه * الى خالد من آل سلمى بن جندل ٢٠

(٣) ق الديوان «منها» .

قال إبراهيم بن المهدىّ[١] يشكر المأمونَ :

رَددتَ مالى ولم تَمْنُنْ[٢] علىّ به * وقبل ردِّكَ مالى قد حقَنتَ[٣] دَمِى

فأُبْتُ منك وقد جلّلتنِى نِعَماً * هى الحياتان من موتٍ ومن عدَمِ

فلو بذلتُ دمى أبغِى رضاكَ به * والمالَ حتى أسُلَّ النعلَ من قدَمِى

٥ ما كان ذاك سِوى عاريّةٍ رجعَتْ * اليكَ لولم تُعِرْها كنتَ لم تُلَمِ

وقام علمُكَ بى فاحتجَّ عندكَ لى * مقامَ شاهِدِ عدلٍ غيرِ مُتَّهَمِ

وقال آخرُ، و بلغنى أنه الخَثْعمىّ :

فاذْهَبا بى إن لم يكن لكما عَقْـ * ـرٌ الى جَنب قبره فاعقِرانى

وانضَحا من دمى عليه فقدكا * ن دمى من نَداه لو تعْلمانِ

١٠ وفد رجلٌ على سليمانَ بن عبد الملك فى خلافته ؛ فقال له : ما أقدمكَ؟ قال : ما أقدمنى عليك رَغْبَةٌ ولا رَهْبَةٌ ؛ قال : وكيف ذاك؟ قال : أما الرّغبةُ فقد وصَلَتْ الينا وفاضتْ فى رِحالنا وتَنَاوَلها الأقصى والأدنى منّا ، وأما الرّهبةُ فقد أمِنّا بعدْلِ أمير المؤمنين علينا وحُسنِ سِيرتِه فينا من الظلم ، فنحن وَفدُ الشكر .

وقال الفرزدقُ فى عمرو بن عُتبةَ :

١٥ لولا ٱبنُ عُتبةَ عمرٌو والرجاء له * ما كانت البَصْرةُ الحمقاءُ لى وطَنَا

أعطانِىَ المالَ حتى قلتُ يُودِعُنِى * أو قلتُ أُودِعَ لى مالاً رآه لنَا

---

(١) راجع استعطاف إبراهيم بن المهدى وشكره للأمون وعفوه عنه وردّ ماله وضياعه اليه فى أمالى القالى (ج ١ ص ١٩٩ طبع دار الكتب) . (٢) فى أمالى القالى : «ولم تبخل» . (٣) كذا فى أمالى القالى والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٩) وفى الأصل : «ما حقنت دمى» . وهى هنا مصدرية .

بجُودِهِ مُتعِبٌ شكري ومِنَّتُه * وكلّما زدتُ شكرا زادني مِنَنَا
يَرمِي بهمّتِه أقصى مسافتِها * ولا يُريدُ على معروفِه ثمنَا

هذا مثل قول الأعرابيّ : ما زال فلانٌ يُعطيني حتى ظننتُ أنه يُودِعُني ماله . وما ضاع مالٌ أورثَ المحامدَ .

ويقال : خمسةُ أشياءَ ضائعةٌ : سراجٌ يُوقَدُ فى شمسٍ ، ومَطَرٌ جُودٌ فى سَبَخَةٍ ، وحسناءُ تُزَفُّ الى عِنّينٍ ، وطعامٌ آستُجيدَ وقُدِّمَ الى سَكرانَ ، ومعروفٌ صُنِعَ الى مَنْ لا شكرَ له .

وكان يقال : الشكرُ زيادةٌ فى النّعم وأمانٌ من الغِيَر .

وقال أسماءُ بنُ خارجةَ : اذا قَدُمَتِ المصيبةُ تُرِكَتِ التَّعزِيةُ ، واذا قَدُمَ الإخاء قَبُحَ الثناء .

بعثَ رَوْحُ بنُ حاتم الى كاتبٍ له بثلاثين ألفَ درهمٍ ، وكتب اليه (١) : قد بعثْتُ بها اليك ، ولا أُقلِّلُها تكبُّراً ، ولا أُكثِّرها تمنُّناً ، ولا أَستَثيبُكَ عليها ثناء ، ولا أقطَعُ عنك بها رجاء .

وفى كتاب للهند : لاثناءَ مع كِبْر . وفيه : سِتّةُ أشياءَ لاثَباتَ لها : ظِلُّ الغَمامِ ، وخُلّةُ الأشرارِ ، وعِشقُ النساءِ ، والمالُ الكثيرُ ، والسّلطانُ الجائرُ ، والثناءُ الكاذبُ .

والعربُ تقول : « لا تَهْرِفْ (٢) قبل أن تَعْرِف » أى لا تُطنِبَنّ فى الثّناء قبل الاختبار .

---

(١) فى الأصل : «فكتب اليه» . (٢) هذه الرواية أشار اليها صاحب اللسان فى مادة «هرف» وفى مجمع الأمثال للميدانى : «لا تهرف بما لا تعرف» وهي الرواية المشهورة .

وكتب أبو نُوَاس من الحبس الى الفضل بن الربيع :

ما من يدٍ فى الناسِ واحدةٍ * كيدٍ أبو العباس مَولاها
نام الثِّقاتُ على مَضاجعِهم * وسَرَى الى نفسى فأحياها
قد كنتُ خِفتُكَ ثم آمنني * من أن أخافَكَ خوفُكَ اللهَ
فعفوتَ عنّى عفوَ مُقتدرٍ * وجبتْ له نِعَمٌ فألغاها ٥

والبيتُ المشهور فى هذا قول النَّجاشىّ :

لا تحمَدَنّ امرأً حتى تُجرِّبَه * ولا تذُمَّنّ مَنْ لم يبْلُه الخُبُر

وقال آخَرُ فى الاختبار :

إنّ الرجالَ إذا اختبرْتَ طِباعَهم * ألفيتَهُمْ شتّى على الأخبارِ
لا تعجَلَنّ الى شَريعةِ مَوردٍ * حتى تَبيَّنَ خُطّةَ الإصدارِ ١٠

وقال الرِّياشىّ : أنشدَنى أبو العالية :

اذا أنا لم أشكُرْ[1] على الخير أهلَه * ولم أذْمُمِ الجِبْسَ[2] اللئيمَ المذمَّما
ففيمَ عرَفْتُ الخيرَ والشرَّ باسْمِهِ * وشَقَّ لِىَ اللهُ المسامعَ والفَما

قال ابن التَّوأمِ : كلُّ مَنْ كان، جُودُه يرجِع اليه، ولولا رجوعه اليه لما جاد عليك، ولو تهيأ له ذلك المعنى فى سِواك لما قصدَ اليك، فليس يجب له عليكَ شكرٌ. ١٥ وإنما يُوصفُ بالجود فى الحقيقةِ ويُشكرُ على النفع فى حُجّة العقل، الذى إن جاد عليك فلك جادَ، ونفعَكَ أراد، من غير أن يرجع اليه جودُه بشىءٍ من المنافع على جهةٍ من الجهات، وهو الله وحدَه لا شريكَ له . فإن شكَرْنا الناسَ على بعض ما جرى لنا على

(١) فى زهر الآداب للحصرى (ج ١ ص ٢٥٠) : « اذا أنا لم أمدح » . (٢) الجبس : الدنى. الجبان . ٢٠

أيديهم . فلأمْرَينِ : أحدُهما التعبُّدُ ؛ وقد أمرَ اللهُ تعالى بتعظيم الوالِدَينِ وإن كانا شيطانَينِ وتَعظيمِ مَنْ هو أسنُّ منّا وإن كنّا أفضلَ منه . والآخرُ : لأن النفسَ مالا تُحصِّلُ الأمورَ وتُميِّزُ المعانِيَ ، فالسابقُ اليها حُبُّ مَنْ جَرَى لها على يَديهِ الخيرُ وإن كان لم يُرِدْها ولم يَقْصِد اليها . ألا تَرَى أنّ عطيّةَ الرجلِ صاحِبَه لاتَخلُو أن تكونَ للهِ أو لغيرِ اللهِ ؛ فإن كانتْ للهِ فثوابُه على اللهِ ؛ وكيف يَجبُ[1] فى حجّةِ العقل شكرُه وهو لو صادفَ ابنَ سبيلٍ غيرى لمَا أعطانى ؛ وإما أن يكونَ إعطاؤه إياى للذكرِ ؛ فإن كان كذلك فإنما جعلنى سُلّمًا الى حاجتِه وسببًا الى بُغْيَتِه ؛ أو يكونَ إعطاؤه إياى طلبا للمكافأةِ ؛ فإنما ذلك تجارةٌ ؛ أو يكونَ إعطاؤه لخوف يَدِى أو لِسانى أو آجترارِ مَعُونَتى ونُصرتِى ، وسبيلُ هـذا معروفٌ ؛ أو يكونَ إعطاؤه للرحمةِ والرقّةِ ولِما يجدُ فى فؤادِه من العصر والألمِ ، فإنما داوَى بتلك العطيّةِ من دائِه ورفّه من خِناقِه .

وكان محمد بن الجَهْم يقول : نحوُ هذا قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما النّاسُ أثْنَوْا عليك * ولا عظّمـوك ولا عظّموا[2]
ولا شايَعُوك عـلى ما بَلَغْـ * ـتَ من الصالحات ولا قدّموا
ولـو وَجدوا لهُـم مَطْعنًا * الى أن يَعيبوك ما جَمْجَموا
ولكن صَـبَرتَ لِمَا ألزموك * وجُدتَ بما لم يكن يلزمُ
وكان قِراكَ اذا ما لَقُوكَ * لسانًا بما سرَّهم يُنْعِـمُ
وخَفْضَ الجناح ووَشْكَ النجاح * وتصـغيرَ ما عظّم المُنْعِـمُ
فأنتَ بفضـلك ألجأتَهـم * الى أن يُجِـلّوا وأن يُنعموا

وقال خَلَف بن خليفة الأَقْطع :

وفى اليأس من أن تسألَ الناسَ راحةٌ * تُميتُ بهـا عُسْرًا وتُحيِي بهـا يُسْرَا

(١) فى الأصل : « وكيف يجب على حجة العقل » . (٢) كذا بالأصل ، والتكرار هنا غير مستساغ ، ولعل فيه تحريفا من الناسخ فى الكلمة الأولى بأن يكون أصلها « بجلوك » مثلا ، أو فى الكلمة الثانية بأن يكون أصلها « نظّموا » أى أكثروا من نظم المدائح فيك .

وليس يـدٌ أَوْلَيْتَهـا بغَنِيمـــة * اذا كنت تَبْغِى أن يُعَـدّ لهـا شُكْرَا

غِنَى النفس يَكْفِى النفسَ ما سدّ فاقةً * فإن زاد شيئا عاد ذاك الغِنَى فَقْـرَا

قال آبن عائشة : بلغنى أنّ عبد الرحمن بن حسّان سأل بعضَ الولاة حاجةً فلم يَقْضِها له ، فسألها آخرَ فقضاها له (١) ، فقال :

٥ ذُمِمتَ ولم تُحْمَـدْ وأدركتُ حاجتى * تَوَلَّى سِواكم أَجْرَهـا وآصْـطِناعها

أبى لك كَسْبَ الحمدِ رأىٌ مُقَصِّرٌ * ونفسٌ أضاقَ اللهُ بالخـير باعَهـا

اذا هى حَثَّتْه على الخـير مَرَّةً * عَصَاها و إن هَمَّتْ بشرٍّ أطاعَهـا

وقال آبن عائشـة : قال رجلٌ يوما لآبن عُيَينة : ما شىء تُحدِّثونه يا أبا محمد؟ قال : ما هو؟ قال : يقـولون إن الله تعالى يقول : أيّمـا عَبْدٍ كانت له الىّ حاجةٌ

١٠ فشـغله الثناء علىَّ عن سؤال حاجته ، أعطيته فوق أُمْنِيَّتـه ؛ فقال له : يابن أخى ، وما تُنْكِر مِن هذا! أما سمعتَ قول أُمَيّة بن أبى الصَّلْت فى عبد الله بن جُدْعان :

اذا أثنَى عليــه المرءُ يومًا * كفاهُ مِن تَعرُّضِـه الثناءُ

فكيف بأكرم الأكرمين !

وكان يقال : فى طلب الرجل الحاجةَ الى أخيه فتنةٌ : إن هو أعطاه حَمِـد غيرَ

١٥ الذى أعطاه ، و إن منعه ذَمّ غيرَ الذى منعه .

حدّثنا الرِّياشىّ قال : أنشدنا كَيْسان لدُكَين الراجز :

اذا المرءُ لم يَدْنَس من اللُّؤمِ عِرْضُه * فـكلُّ رداءٍ يَرْتَدِيهِ جَميـلُ (٢)

اذا المرءُ لم يَصْرَع عن اللؤم نفسَهُ * فليس الى حُسْنِ الثناء سبيلُ

---

(١) كذا فى أمالى القالى (ج ٢ ص ٢٢١ طبع دار الكتب المصرية) : وهو المناسب للشعر ، وفى الأصل :

٢٠ «فشفع برجل فقضيت حاجته» . (٢) المعروف أن هذا البيت هو مطلع قصيدة للسموءل بن عادياء اليهودىّ ، كما فى أمالى القالى وديوان الحماسة لأبى تمام وغيرهما ، والبيت الثانى يروى فى الحماسة هكذا :

و إن هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سـبيل

و يروى فى أمالى القالى هكذا : اذا المرء لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

وكان يقال : أوَّلُ منازلِ الحمدِ السلامةُ من الذمّ .

قال عُروةُ بن أُذَيْنَةَ[١] اللَّيثيّ :

لا تتركنْ ، إنْ صَنيعةٌ سَلَفتْ * منك وإن كنتَ لا تُصغِّرُها

الى آمرئٍ، أنْ تقولَ إنْ ذُكِرَتْ * عندكَ فى الجِدِّ لستُ أذكُرُها

فإنّ إحياءها إماتتُها * وإنّ منًّا بها يُكدِّرُها

وإن تولّى آمرؤٌ بشُكرٍ يَدٍ * فاللهُ يَجزِى بها ويَشكُرُها

ويقال : أحيُوا المعروف بإماتته .

أبو سُفيان الحِميَريّ قال : كان مَسْعَدَةُ الكاتب أبو عمرو بن مسعدة مَوْلَى لخالد القَسْريّ ، وكان فى ديوان الرسائل بواسط ، وكان مُوجِزًا فى كُتُبه ، فكتب الى صديقٍ له : أما بعد ، فإنه لن يَعْدَمك من معروفك عندنا أمران : أجرٌ من الله وشكرٌ منّا . وخيرُ مواضع المعروف ما جمع الأجر والشكر . والسلام .

وكتب بعضُ الكُتّاب الى بعض العمّال : وما أتأمّلُ فى وقت من الأوقات ولا يومٍ من الأيّام آثارَ أياديك لدىّ ، ومواقعَ معروفك عندى ، إلا نَبَّهنِي التأمّل على ما يُحسِرُ الشكرَ ويُثقل الظهرَ ، لأنك أنعشتَ من عَثْرة ، وأنهضتَ من سَقْطة ، وتلافيْتَ نعمةً كانت على شَفَا زوالٍ ودُروس ، وتلقَّيتَ ما ألقيتُ عليك من الكَلِّ بوجهٍ طَلِيق وباعٍ رَحِيب[٢] . والسلام .

---

(١) أذينة : لقب لأبيه . واسمه يحيى بن مالك بن الحارث الليثى . وكان عروة شاعرا غزلا من شعراء أهل المدينة وثقة ثبتا ؛ روى عنه مالك وغيره من الأئمة رضى الله عنهم (راجع كتاب التنبيه على أوهام أبى علىّ فى أماليه ص ٢٦ طبع دار الكتب المصرية) وترجمته فى كتاب الأغانى (ج ٢١ ص ١٦٢ طبع أوربا) .

(٢) فى الأصل : «وبال» .

الترغيب فى قضاء الحاجة وٱصطناع المعروف

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا داود بن المُحَبَّر عن محمـد بن الحسن الهَمْدَانى عن أبى حمزة عن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : "مَنْ تَرَكَ مَعُونَةَ أخيه المسـلم والسَّعْىَ معه فى حاجتِه قُضِيَتْ أوْ لم تُقْضَ كُلِّفَ أن يسعى فى حاجة مَنْ لا يُؤْجَرُ فى حاجته . ومَنْ ترك الحَجَّ لحاجةٍ عَرَضتْ له لم تُقْضَ حاجتُه حتى يرى رءوس المحلّقين".

حدّثنى محمد بن عُبَيد قال حدّثنا ٱبن عُيَينة عن يزيد بن عبد الله بن أبى بُرْدة عن أبيه عن جدّه عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ٱشْفَعُوا إلَىَّ و يَقْضِى الله على لِسَانِ نَبِيِّكم ما شاءَ".

بلغنى عن جعفر بن أبى جعفر المـازنىّ عن ٱبن أبى السَّرِىّ عن إبراهيم بن أدهم عن منصور بن المعتمِر قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أحببتَ أن يُحِبَّـك الله فٱزهَدْ فى الدنيـا و إن أحببتَ أن يُحبّك الناسُ فلا يقع فى يدك من حُطامها شىء إلا نبذْتَه اليهم " .

حدّثنى محمد بن داود عن محمد بن جابر قال : قال ٱبن عُيَينَة : ليس أقول لكم إلّا ما سِمعتُ : قيل لٱبن المنكدر : أىُّ الأعمالِ أفضـلُ ؟ قال : إدخالُ السرور على المؤمن . وقيل : أىّ الدنيا أحبُّ اليك ؟ قال : الإفضالُ على الإخوان .

حدّثنى أبو حاتم عن الأصمعىّ قال : حدّثنا زَرِيرُ[1] العُطَارِدِىّ قال : صلّى بنـا أبو رجاء العُطَارِدىُّ العَتَمَةَ ثم أوَى الى فراشه ، فأتته ٱمرأةٌ فقالت : أبا رجاءٍ ، إنّ

(١) ورد هـذا الاسم بالأصل هكذا : «زريك» بالكاف وهو تحريف ، فقد جاء فى القاموس وشرحه مادّة زرر : « سلم بن زرير كحرير من تابعى التابعين عطاردىّ بصرى سمع أبا رجاء العطاردىّ » .

لطارق الليل حقًّا ، وإنّ بنى فلان خرجوا الى سَفْوان[1] وتركوا كُتُبَهم وشيئا من متاعهم ؛ فٱنتعل أبو رجَاء وأخذ الكُتُبَ وأدّاها وصلّى بنا الفجرَ ، وهو مسيرةُ ليلةٍ للإبل ، والناسُ يقولون : إنها أربعة فراسخ .

حدّثنى أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدّثنا ٱبن المبارَك عن حميد عن الحسن قال : لَأَنْ أَقْضِىَ حاجةً لأخٍ أَحبُّ إلىَّ من أن أعتكفَ سنةً .

قال ٱبنُ عائشةَ : كان عمرو بن معاوية العُقَيلىّ يقول : اللهم بَلِّغْنِى عَثَراتِ الكرام .

قال المأمونُ لمحمد بن عبّاد المُهَلَّبىّ : أنت متلافٌ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْعُ الموجود سُوءُ ظنٍّ بالله ، يقول الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

وكان ٱبنُ عبّاس يقول : صاحبُ المعروفِ لا يَقَعُ ، فإن وَقَع وجد مُتَّكَأً . هذا نحوُ قولِ النبىّ صلى الله عليه وسلم : "المعروفُ يَقِى مَصَارِعَ السُّوء" .

وكان ٱبن عبّاس يقول أيضا : ما رأيتُ رجلا أَوْلَيْتُهُ معروفا إلّا أضاء ما بينى وبينه ، ولا رأيتُ رجلا أَوْلَيْتُهُ سوءا إلّا أظلم ما بينى وبينه .

قال جعفر بن محمد : إن الحاجة تَعرِض للرجل قِبَلى فأُبادِر بقضائها مخافة أن يستغنِىَ عنها أو تأتِيَه وقد ٱستبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقال الشاعر :

وبادِرْ بسلطان إذا كنتَ قادرًا * زوالَ اقتدارٍ أو غِنًى عنك يُعقب

(١) سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المِرْبَد بالبصرة وبه ماء كثير السافى (التراب) .

وقال آخر فى مثله :

بدا[1] حين أثرى بإخوانه * ففكّك[2] عنهم شباةَ[3] العَدَمْ

وذكّره الحزم غِبَّ الأمور * فبادَرَ قبل آنتقال النِّعَمْ

وقرأتُ فى كتاب للهند: مَنْ صَنَع المعروفَ لِعاجل الجزاء، فهو كمُلقِى الحبِّ لِيَصِيدَ

٥ به الطيرَ لا لِينفعَه .

قال آبن عباس : ثلاثة لا أكافِئهم : رجل بَدَأنِى بالسلام ، ورجلٌ وسّع لى فى المجلس ، ورجل آغبرّت قدماه فى المشى إلىّ إرادةَ التسـليم علىّ ؛ فأما الرابع فلا يكافِئه عنّى إلا الله جلّ وعزّ؛ قيل : ومن هو؟ قال: رجل نزَل به أمرٌ فبات ليلَته يفكّر بمَنْ يُنزله، ثم رآنى أهلًا لحاجته فأنزلها بِى .

١٠ وقال سَلْمُ[4] بن قُتَيْبة : رَبُّ[5] المعروفِ أشدّ من آبتدائه .

ويقال : الاْبتداء بالمعروف نافلة، ورَبُّه فريضة .

قيل لبُزُرْجِمهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يُرْزَأ شيئا ؟ قال : نعم، من أحببتَ له الخير وبذلتَ له الوُدّ، فقد أصاب نصيباً من معروفك .

قال جعفر بن محمد : ما توسّل إلىّ أحدٌ بوسيلةٍ هى أقربُ به إلى ما يُحِبّ من

١٥ يدٍ سَلَفتْ منّى اليه ، أتبعتُها أختَها لأُحْسنَ رَبَّها وحِفظَها ؛ لأن منعَ الأواخرِ يقطع شكرَ الأوائل .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القَسْرىّ، فقال خالد : إنى لأُبغِض هذا الرجل وماله إلىّ[6] ذنب، فقال رجل من القوم: أَوْلِه أيّها الأمير معروفًا ففعل، فما لبِث أن خفّ على قلبه وصار أحدَ جلسائه .

(١) بدا بمعنى بدأ بالهمز وسهل لضرورة الشعر . (٢) لعله : «ففلّل» . (٣) الشباة : طرف السيف وحدّه ، وشباة العقرب : إبرتها ، والظاهر أن المراد هنا أذى العـدم وشدّته وحدّته .

٢٠ (٤) فى الأصل «سالم» وما أثبتناه هو الصواب . (٥) ربّ الشىء يربّه ربًّا : تعهده وأنماه .

(٦) فى الأصل : «ومالى اليه ذنب» وهى لا تتفق والسياق .

قال ابن عباس : لا يتمّ المعروف إلا بثلاثٍ : تعجيلُه وتصغيرُه وسَتْرُه، فإنه اذا عجّله هنَّأه، و إذا صغَّره عظّمه، واذا ستره تمّمه .

وقال الخُرَيمىّ فى نحو هذا :

زاد معروفَك عنـدى عِظَمًا * أنه عنـدك محقورٌ صغير

تتنـاساه كأنْ لم تأته * وهو عند الناس مشهورٌ كبيرُ ٥

وقال الطائى :

جودٌ مشيْتَ به الضَّرَاءَ[1] تواضعًا * وعَظُمْتَ عن ذكراه وهو عظيمُ

أخفيتَـه خَفَيتُه[2] وطويتَـه * فنشرتُه والشخصُ منه عميم[3]

وكان يقال : سَتَرَ رجلٌ ما أولَى، ونَشَر رجلٌ ما أُولِىَ .

وقال رجل لبنيه : إذا اتخذتم عند رجل يدا فانسَوْها . وقالوا : المنّة تهدِم الصنيعة . قال الشاعر : ١٠

أفسدتَ بالمنّ ماأسديتَ من حَسَنٍ * ليس الكريمُ إذا أسـدى بمنّانِ

قال رجل لابن شُبْرُمة : فعلتُ بفلانٍ كذا وفعلتُ به كذا، فقال : لاخيرَ فى المعروف إذا أُحصِىَ .

وفى بعض الحـديث : "كُلُّ معروفٍ صـدقةٌ وما أنفقَ الرجلُ على أهـله ونفسِه وولدِه صَدَقةٌ وما وقَى المرء به عِرضَه فهو صدقة وكلُّ نفقةٍ أنفقها فعـلى الله خَلَفُها مثلها إلا فى معصيةٍ أو بنيانٍ[4]". وفى الحديث المرفوع "فَضلُ جاهِكَ تَعودُ به ١٥

---

(١) هكذا ورد هذا الشعر فى ديوان أبى تمام الطائى (ص١٥١ طبع مصر) والضراء (بفتح الضاد وتخفيف الراء) : ماواراك من الشجر وغيره وهو أيضا : الاستخفاء والمشى فيما يواريك عمن تكيده وتختله ، يقال : لاأمشى له الضراء، ولا الخمر أى أجاهره ولا أخاتله . (٢) خفيته : أظهرته . (٣) العميم : الطويل التام . (٤) قال العزيزى فى شرحه لهذا الحديث : إنه البنيان الذى لم يقصد به وجه الله تعالى . ٢٠

على أخيكَ صدقةٌ منك عليه ولِسانُكَ تُعبّر به عن أخيك صدقةٌ منكَ عليه و إماطتُك الأذى عن الطريق صدقةٌ مِنك على أهله ".

وكان يقـال : بذلُ الجاهِ زكاةُ الشرف .

وقال بعض الشعراء :

٥ وليس فتى الفِتْيانِ مَنْ راحَ وٱغتدَى * لشُربِ صَـبُوحٍ(١) أو لشُربِ غَبوقِ

ولـكنْ فتى الفِتيان مَنْ راح وٱغتدى * لِضَـــرِّ عدوٍّ أو لنفعِ صــديقِ

قال ٱبن عباس : لا يُزَهِّدنَّك فى المعروف كفرُ من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنِعه اليه .

وقال حمّاد عَجْرد :

١٠ إنّ الكريمَ ليُخفِى عنك عُسْرتَه * حتى تراه غَنِيًّـا وهــو مجهودُ

إذا تكرّمتَ أنْ تُعطِى القليلَ ولم * تَقْدِر على سَـعَةٍ لم يَظهرِ الجودُ

ولِلبخيـــلِ على أمواله عِلَلٌ * زُرْقُ العيونِ عليها أوجُهٌ سـودُ

أَوْرِق بخـيرٍ تُرَجَّى لِلنوال فمـا * تُرْجَى ٱلثِّمارُ اذا لم يُورِقِ العُودُ

بُثّ النوالَ ولا تمنعْـكَ قِلّتُــه * فكلُّ ما سَـدّ فقرا فهـو محمودُ

١٥ والعـرب تقول : " مَنْ حَقَرَ حَرَمَ(٢) ".

حدّثني عبد الرحمن عن عمه قال: قال سَلْمُ بن قتيبة : أحدُهم يَحْقِر الشيءَ فيأتِى ما هو شرٌّ منه، يعنى المنع .

وقال الشاعر :

---

(١) الصبوح : ما شرب من اللبن بالغداة فما دون القائلة ، والغبوق : ما شرب بالعشىّ . (٢) هذا مثل ذكره الميدانىّ وشرحه بقوله : يقال : حقرته واحتقرته اذا عددته حقيرا أى من حقر يسيرا ممّا يقدر عليه ولم يقـدر على الكثير ضاعت لديه الحقوق . وفى الحديث : « لا تردّوا السائل ولو بظلف محرق » .

٢٠

وما أبالى إذا ضيفٌ تضيَّفنى * ما كان عندى إذا أعطيتُ مجهودِى
جُهدُ المقِلّ إذا أعطاك مُصْطَبِراً * ومُكثِرٌ من غِنًى سِيّانِ فى الجودِ

وفى الحديث المرفوع "أفضلُ الصّدقةِ جُهْدُ المُقِلّ".

وقال البُرَيْق الهُذَلىّ:

أبو مالكٍ قاصِرٌ فقرَه * على نفسِه ومُشِيعٌ غِنَاه ٥

وكان خالد بن عبد الله يقول على المِنبر: أيها الناس عليكم بالمعروف، فإنّ فاعل المعروف لا يَعْدَم جوازِيَه، وما ضَعُفَ الناسُ عن أدائه قَوِىَ اللهُ على جوازِيه، والبيت المشهور فى هذا قول الحطيئة:

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَه[(١)] * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

ويقال: إنه فى بعض كتب الله عزّ وجل. ١٠

قال وَهْبُ بن مُنَبِّه: إن أحسنَ الناس عيشا من حَسُنَ عيشُ الناسِ فى عَيْشه، وإنّ من ألَذّ اللّذّة الإفضالَ على الإخوان. وفى الحديث المرفوع "إنَّما لَكَ[(٢)] مِن مالِكَ ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبِستَ فأبليتَ أو أعطيتَ فأمضيتَ وما سِوى ذلك فهو مِلكُ الوارثِ".

وقال بشّارٌ: ١٥

أنفِقِ المالَ ولا تَشْقَ به * خيرُ دِينارَيْك دِينارٌ نَفَقْ[(٣)]

قال بُزُرْجِمِهْر: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفِق فإنها لا تَفْنَى وإذا أدبرت عنك فأنفِق فإنها لا تَبْقَى. أخذه بعض المُحْدَثين فقال:

---

(١) قال ابن جنى: ظاهر هذا أن تكون جوازيه جمع جاز أى لا يعدم جزاء عليه، جزاء على جواز لمشابهة اسم الفاعل للصدر، فكما جمع سيل على سوائل، كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء (انظر اللسان مادة جزى). (٢) يروى: «ليس لك من مالك إلا ما أكلت الخ». (٣) نفقت الدراهم (بفتح عين الفعل وكسرها): فنيت وذهبت. ٢٠

فأنفِقْ إذا أنفقتَ إن كنتَ مُوسِرًا * وأنفِقْ على ما خيَّلتْ[1] حين تُعْسِرُ
فلا الجودُ يُفنِي المالَ والجَدُّ مقبِلٌ * ولا البخلُ يُبْقِي المالَ والجَدّ مُدْبِرُ

وفي "كتاب كليلة": لا يُعَدّ عائِشًا من لا يُشارِكُ في غِناه .

مرّ الحسنُ برجلٍ يقلّب درهما ، فقال له : أتُحِبّ دِرهَمَك هذا؟ قال : نعم ، قال : أما إنه ليس لك حتى يخرجَ من يدك .

قال الربيعُ بن خَيْثَم لأخٍ له : كن وصىَّ نفسك ولا تجعلْ أوصياءك الرجالَ .

وقال بعضُ الشعراء :

سأحْبِس مالى على حاجتى * وأُوثِر نفسِى على الوارِثِ
أعاذِلُ عاجِلُ ما أشتهِى * أحبُّ مِن المُبطِئِ الرّائِثِ

قال عبيد الله بن عِكْرِاشٍ : زمنٌ خَؤون ، ووارثٌ شفُون[2] ؛ فلا تأمنِ الخؤون وكن وارِثَ الشّفونِ .

وقال أبو ذَرٍّ : لك فى مالِك شريكانِ اذا جاءا أخذا ولم يؤامِراك : الحَـدَثان والقَدَر ، كلاهما يمرّ على الغَثّ والسمينِ ، والورثةُ ينتظرون متى تموت فيأخذون ماتحتَ يديك وأنتَ لم تقدّم لنفسك ؛ فإن استطعتَ ألّا تكونَ أخسَّ الثلاثة نصيبا فافعل .

وقال سعيد بن العاص فى خطبة له : من رزَقه الله رزقا حسنا فليكن أسعَدَ[3] الناس به فإنه إنما يترُك لأحد رجلين : إمّا مصلِحٍ فلا يقلّ عليه شىءٌ ، وإمّا مُفْسِدٍ فلا يَبقى له شىء . فقال معاوية : جمع أبو عثمان طرَفَيِ الكلام .

---

(١) على ما خيلت أى شبهت ولونت ، ومعناه على أىّ حال . (٢) الشفون : الذى ينظر اليك كالكاره أو المبغض . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٠٦) والعقد الفريد (ج ١ ص ٨٤) : «فلينفق منه سرّا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به» .

وقال حُطَائط بن يَعْفُر :

ذَرِينى أكُنْ للمال ربًّا ولا يَكُنْ * لِىَ المالُ ربًّا تَحْمَدِى غِبَّه غدا

أرِينى جوادا مات هَزْلا لعلّنى * أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلًا مخلّدا

وقلت ولم أَعْيَ الجوابَ تبيّنى * اكان الهُزال حتفَ زيدٍ وأربدا

قال أعرابىّ : الدراهم مِيسمٌ تَسِمُ حمدًا أو ذمًّا ، فمن حبَسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ، وما كلّ من أُعطى مالًا أُعطى حمدا ، ولا كلّ عديم ذميم .

وقال بعضُ المُحدَثين :

أنتَ للمال اذا أمسكته * فإذا أنفقته فالمالُ لكْ

حدّثنى يزيد بن عمرو عن يزيد بن مروان قال : حدّثنا النعمان بن هلال عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَنْزِلُ المعُونةُ على قَدْرِ المؤُونة" .

قال معاوية لوَرْدان مولى عمرو بن العاص : ما بَقِى من الدنيا تَلَذّه ؟ قال : العريض الطويل ، قال : وما هو ؟ قال : الحديث الحسن أو ألقى أخا قد نكبه الدهرُ فأجبره ، قال : نحن أحقّ بهما منك ، قال : إن أحقّ بهما منك من سَبَقك اليهما .

وقال أعرابىّ :

وما هذه الأيام إلا مُعَارةٌ * فما آسطعتَ من معروفها فتزوَّدِ

فإنك لا تدرى بأيّةِ بلدةٍ * تموت ولا ما يُحدث اللهُ فى غدِ

يقولون لا تَبْعَدْ ، ومن يك بُعْدُه * ذِراعَيْن من قُربِ الأحِبّة يَبْعَدِ

وقال آخر :

إن كنتَ لا تَبْذُلُ أو تَسألُ * أفسدتَ ما تُعطِى بما تفعلُ

قال بعضهم : مضى لنا سَلَفٌ أهلُ تواصُلٍ ، اعتقدوا مِنَنًا ، واتَّخذوا أيادىَ ذخيرةً لمن بعـدهم : كانوا يرون ٱصطناعَ المعروف عليهم فرضا ، و إظهارَ البِرّ حقًّا واجبا ، ثم حال الزمان بِنَشْءٍ ٱتخذوا مِنَنَهم صناعةً ، و بِرَّهم مرابحةً ، وأياديَهم تجارةً وٱصطناعَ المعروف مقارضةً كنقد السُّوق خذ منّى وهاتِ .

٥ قال العُتْبِىّ : وقع مِيراثٌ بين ناس من آل أبى سفيان و بنى مروان ، فتشاحُّوا فيه ، فلما ٱنصرفوا أقبل عمرُو بن عُتْبة على ولده ، فقال لهم : إن لقريش دَرَجا تزلَق عنها أقدامُ الرجال ، وأفعالا تخشع لهـا رقابُ الأموال ، وألْسُنًا تكِلُّ معها الشِّـفار المشحوذة ، وغاياتٍ تقصر عنهـا الجيادُ المنسوبة ؛ ولو كانت الدنيا لهم ضاقت عن سـعة أحلامهم ، ولو ٱحتفلتْ ما تزيّنتْ إلا بهم . ثم إن ناسا منهم تخلّقوا بأخلاق ١٠ العوامّ ، فصار لهم رفق باللؤم وخُرق فى الحرص ، لو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقَها ؛ إن خافوا مكروها تعجّلوا له الفقر ، و إن عُجِّلت لهم نعمة أخّروا عليها الشكر ، أولئك أَنْضَاء فكر الفقر(١) وعَجَزة حَمَلة الشكر .

قال بعض الحجازيّين :

فـلو كنتَ تطلب شأو الكرام * فعلتَ كفعلِ أبى البَخْترى

١٥ تتبّـع إخـــوانَه فى البـــلاد * فأغْنَى المُقِــلَّ عن المُكْثِرِ

القَنـاعة والاستعفاف

حدّثنى شيخٌ لنا عن وكيع عن ٱبن أبى ذِئْبٍ عن محمد بن قيس عن عبد الرحمن ابن يزيدَ عن ثَوْبانَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "من يتَقبّلُ(٢) لى بواحدةٍ

(١) فى العقد الفريد : «فكرة الفقر» . (٢) فى تهذيب التهذيب للعسقلانى فى الكلام على ٢٠ عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، أورد هـذا الحديث بالهامش هكذا : " من يتقبل لى بواحدة أتقبل له بالجنة" قلت : ما هى ؟ قال "لا تسأل الناس شيئا" .

وأتَقَبَّلُ له بالجنة " فقال ثوبانُ : أنا يا رسول الله، قال : " لاتَسْأَلِ الناسَ شيئًا " فكان ثوبانُ إذا سقط سوطُه من يده نزل فأخذه ولم يَسألْ أحدا أن يُناوِلَه إياه .

وحدّثنى أيضا عن عبد الرحمن المحارِبىّ عن الأعمش عن مجاهد قال : قال عمرُ رضِى الله عنه : ليس من عبدٍ إلا وبينه وبين رزقِه حِجابٌ، فإن ٱقتصدَ أتاه رزقُه وإن ٱقتحم هتكَ الحِجابَ ولم يُزَدْ فى رزقِه .

وحدّثنى أيضا عن وَكيع عن سفيان عن أُسامة بن زيد عن أبى مَعْنٍ الإسكندرانىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الصَّفَا[1] الزَّلَّالَ الذى لا تَثبُت عليه أقدامُ العلماء الطمعُ " . وقال عليه السلام : "إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فى رُوعِى أنّ نَفْسًا لَن تَموتَ حتى تَستَكمِلَ رِزقَها[2] فٱتقُوا اللهَ وأجمِلُوا فى الطلب" .

قال ٱبن حازم :

للنـاس مالٌ ولى مالان مالَهُما * اذا تحارسَ أهـلُ المـالِ أَحْرَاسُ
مالِى الرضا بالذى أصبَحْتُ أملِكُه * ومالِىَ اليأسُ ممـا يملِكُ النـاسُ

أخذ هـذا من قول أبى حازم المدنىّ ، وقال له بعضُ الملوك : ما مالُكَ ؟ قال : الرضا عن الله، والغِنى عن الناسِ .

وقال بشّارُ بن بِشر[3] :

وإنى لعَفٌّ عن فكاهةِ جارتى * وإنى لمشـنُوءٌ الىّ ٱغتيابُهـا
اذا غاب عنهـا بعلُها لم أكن لهـا * زَءُورًا ولم تأنسْ الىّ كلابُهـا

---

(١) الصفا الزلال : الأملس من الحجارة . (٢) فى الجامع الصغير « حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها » . (٣) كذا فى الأصل ولم نجد فى كتب الأدب التى بين أيدينا شاعرا بهذا الاسم ، وقد نسب البيت الأخير من هذه الأبيات «اذا سد ... الخ» فى حماسة البحترى (ص ٣٤٢ طبع أوروبا) لزياد بن منقذ التميمى .

ولم أكُ طَلَّابًا أحاديثَ سِرِّها * ولا عالمًا من أىِّ حَوْكٍ ثِيابُها
وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيكَ مِلؤُه * ويكفيك سوءاتِ الأمورِ ٱجتنابُها
إذا سُدّ بابٌ عنكَ من دون حاجةٍ * فذَرْها لِأُخرى لَيِّنٍ لك بابُها

وقال ٱبن أبى حازم[1] :

٥ أوجعُ من وَخْزَةِ السِّنانِ * لذِى الحِجا وَخزةُ اللِّسَانِ
فٱستَرْزِقِ اللهَ وٱستعنه * فإنه خيرُ مُستَعانِ
وإن نبا منزلٌ بحُرٍّ * فمن مكانٍ الى مكانِ
لا يَثبتُ الحرّ فى مكانٍ * يُنسبُ فيه إلى الهوَانِ
الحرُّ حرٌّ وإن تعدّتْ * عليه يوما يدُ الزّمانِ

١٠ حدّثنى محمد بن داود عن جابر بن عثمانَ الحنفىّ عن يوسفَ بن عطيّةَ قال حدّثنى المعلَّى بن زياد القُرْدُوسى[2] : أن عامر بن عبد قيس العَنْبرىّ كان يقول : أربعُ آياتٍ من كتاب الله اذا قرأتُهنّ مَساءً لم أُبالِ على ما أُمْسِى ، وإذا تلوتُهنّ صباحًا لم أُبالِ على ما أُصْبِحُ : ﴿ ما يَفْتَحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَه مِنْ بَعْدِهِ ﴾ . ﴿ وَإنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِه يُصِيبُ بِهِ مَن يَشاءُ مِنْ
١٥ عِبَادِهِ ﴾ . ﴿ ومَا مِن دَابَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إلّا عَلَى ٱللهِ رِزْقُهَا ﴾ . ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ .

حدّثنى عبد الرحمن عن بِشْر بن مُصلِح قال قال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك وبين الله مُنعِمًا عليك ، وعُدَّ[3] النعمَ منه عليك مَغْرَما .

---

(١) تقدّم هذا الشاعر فى الصفحة السابقة باسم «ابن حازم» ولم ندر هل هما لشخصين أم لشخص
٢٠ واحد ، وقد بحثنا عن هذه الأبيات لنتحرى عن تحقيق هذا الاسم فلم نجدها . (٢) كذا فى الخلاصة فى أسماء الرجال للخزرجى بضم القاف . وفى الأصل : « الفردوسى » بالفاء وهو تحريف .
(٣) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل : «وأعدد النعم منهم مغنما» .

حدّثنى الرِّياشِىّ عن الأصمعىّ قال : أَبرَعُ بيتٍ قالته العربُ بيتُ أبى ذُؤَيبٍ الهُـذَلىّ :

والنَّفسُ رَاغِبـةٌ إذا رَغَّبتَها * وإذا تُرَدُّ الى قَليـلٍ تَقْنَـعُ

قال أبو حاتم عن الأصمعىّ قال حدّثنا أبو عمرو الصَّفّار عن الحجاج بن الأسـود قال : احتاجت عجوزٌ من العُجزِ القُدُمِ، قال : فجزِعتْ الى المسألة، ولو صَبَرتْ لكان خيرا لها . ولقد بلغنى أن الإنسانَ يَسألُ فيُمنَعُ، ويَسألُ فيُمنَعُ، والصَّبرُ منتبذٌ ناحيةً يقول : لو صِرتَ إلىّ لكَفَيتُكَ .

وكان يقال : أنت أخو العزّ ما ٱلتحفتَ القناعةَ، ويقال : اليأس حرٌّ والرَّجاء عبدٌ .

وقال بعضُ المفسِّرين فى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ قال : بالقنـاعة .

وقال سعد بن أبى وَقَّاص لٱبنه عمر : يا بنىّ إذا طلبت الغِنى فٱطلُبه بالقناعةِ، فإن لم تكن لك قناعةٌ فليس يُغنيكَ مالٌ .

وقال عروةُ بن أُذَيْنَةَ :

لقدعلِمتُ — وما الإسرافُ فى طمعٍ — * أنّ الذى هو رزقى سـوفَ يأتينِى (١)

أسْـعَى له فيُعنّينِى تَطَلّبُـه * ولو قعـدتُ أتانى لا يُعنّينِى

وقال أبو العَتَاهِيَة :

إن كان لا يُغنيكَ ما يَكفيكا * فكلّ ما فى الأرض لا يُغنيكا (٢)

---

(١) ورد هذا البيت فى العقد الفريد هكذا :

لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقى وإن لم يأت يأتينى

(٢) أورد الجاحظ فى البيان والتبيين عبارة منسوبة للحسن تشبه شعر أبى العتاهية وهى : «ان كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك» .

وقال بعضهم : الغِنى والفقرُ يجولان فى طلب القنـاعةِ فإذا وجداها قطَنَاها .

حجّت أعرابيّـةٌ على ناقةٍ لهـا ، فقيل لها : أين زادُكِ ؟ قالت : ما معى إلا ما فى ضَرْعِها . وقال الشاعر :

يا رُوحَ مَنْ حَسَمَتْ قناعتُـه * سَبَبَ المطامعِ مِن غدٍ وغدِ

٥ مَنْ لم يكن لله متّهِـمًا * لم يُمسِ محتـاجًا الى أحـدِ

وقال أرْدشِيرُ : خيرُ الشِّيمِ القناعةُ ، ونماءُ العقلِ بالتعلّم .

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب :

ومتى تُصبْكَ خصاصةٌ فارجُ الغِنَى * والى الذى يَهَبُ الرّغائبَ فارْغَبِ

لا تَغضبَنّ على امرئٍ فى مالِه * وعلى كرائم صُلْبِ مالِكَ فاغضَبِ

١٠ وقال أبو الأسود :

ولا تَطْمَعَنْ فى مال جارٍ لقُربه * فكلُّ قريبٍ لا يُنـالُ بَعِيـدُ

وقال كعبُ بن زُهَير :

قد يَعوزُ الحازمُ المحمودُ نِيّتُـه * بعدَ الثَّراءِ ويُثرِى العاجزُ الحَمِقُ

فلا تخافى علينا الفقرَ وانتظرى * فضلَ الذى بالغِنى مِنْ فضلِه نَثِقُ

١٥ وشكا رجلٌ الى قوم ضِـيقًا فقال له بعضهم : شكوتَ مَنْ يَرحمُكَ الى مَنْ لا يرحمُـك .

وقال هشامُ بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ودخلا الكعبة : سَلنى حاجتَكَ ، قال : أكرهُ أن أسألَ فى بيتِ الله غيرَ الله . ورأى رجلا يسألُ فى الموقفِ فقال : أفى مثل هذا الموضع تسألُ غيرَ اللهِ عزّ وجلّ ! .

وقال ٱبن المعذَّل :

تُكَلِّفُني إذلالَ نفسى لعِزّها * وهان عليها أن أُهانَ لِتكرُما

تقول سَلِ المعروفَ يحيَى بن أكثم * فقلتُ سَليه رَبَّ يحيَي بنِ أكثما

وقال ٱبن عباس : المساكينُ لا يعودونَ مريضًا ولا يَشهَدُون جنازةً، واذا سألَ الناسُ اللهَ سألوا الناسَ .

وكان الحسنُ يَطرُدُ السُّؤَّالَ يومَ الجمعةِ، ولا يَرَى لهم جُمُعَةً .

وقال بعضُ الشعراء :

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواءَ له * وقلَّ ما تَجِدُ الراضينَ بالقِسَمِ

وقال محمودٌ الورّاق :

شادَ الملوكُ قصورَهم وتحصَّنُوا * عن كلّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ

غَالَوْا بأبواب الحديد لعزّها * وتنوّقُوا(١) فى قُبحِ وجه الحاجبِ

واذا تلطّف للدّخول اليهمُ * راجٍ تلقَّوْه بوَعْدٍ كاذبِ

فٱرغَبْ الى مَلكِ الملوكِ ولا تكُنْ * ياذا الضَّراعةِ طالبا من طالبِ

وُجِدَ على ميلٍ(٢) فى طريقِ مكّةَ :

ألا يا طالبَ الدّنيا(٣) * دَعِ الدنيا لِشَانيكَا

الى كَم تَطلبُ(٤) الدنيا * وظِلُّ المِيلِ يَكْفيكَا

قال مُطرِّفُ بن عبد الله لٱبن أخيه : اذا كانت لكَ الىّ حاجةٌ فٱكتُبْ بها رُقعةً فإنى أَضَنّ بوجهكَ عن ذُلِّ السؤالِ .

(١) تنوّقوا : تأنقوا، يقال : تنوّق فى مطعمه وملبسه وأموره إذا تجوّد و بالغ فيها .

(٢) الميل : منار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . (٣) هذان البيتان نسبا فى الأغانى (ج ٣ ص ١٦٧ طبع بولاق) لأبى العتاهية . (٤) فى الأغانى : * وما تصنع بالدنيا *

وقال أبو الأسود :

وإنّ أحقَّ الناس إن كنتَ مادِحاً * بمدحك مَنْ أعطاكَ والوجهُ وافِرُ

وكان معاويةُ يتمثّل بهذين البيتين :

وفتًى خَلَا من ماله * ومن المُروءة غيرُ خالِي

٥ أعطاكَ قبل سؤاله * فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

وقال آخر :

أبا مالكٍ لا تَسْأل الناسَ وآلتمس * بكفّيك سَيْبَ الله فالله أوسعُ

فلو تَسْأل الناسَ الترابَ لأوشكوا[1] * اذا قُلتَ هاتُوا أن يَمِيلُوا فيَمْنَعُوا

والمشهور فى هذا قول عَبِيد :

١٠ مَنْ يَسأل الناس يَحْرِمُوه * وسائلُ اللهِ لا يَخِيبُ

قال سليمانُ لأبى حازمٍ : سَلْ حوائجَك ؛ فقال : قد رفعتُها الى من لا تُخْذَلُ[2] الحوائجُ دونه .

قال بعضُ المفسّرين فى قول الله عزّ وجلّ : (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أى المخلوقُ يَرْزُقُ فإذا سَخِط قطع رِزقَه، واللهُ عزّ وجل يَسْخَط ولا يَقْطَعُ .

١٥ وقال الشاعر :

لا تَضْرَعنّ لمخلوقٍ على طَمَعٍ * فإنّ ذلك وَهْنٌ منك بالدِّينِ

وآسترزق اللهَ رِزقاً من خزائنه * فإنما هو بين الكافِ والنونِ

---

(١) روى هذا البيت فى لسان العرب مادة «وشك» وشرح الأشمونى ج ١ ص ٣١٥ طبع بولاق :

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا * اذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

٢٠ (٢) كذا فى كتاب الإمامة والسياسة (ج ٢ ص ١٧٢) وفى الأصل : «تختزل» .

وقال الخليل بن أحمد :

أبلِـغْ سُليمانَ أنِّى[١] عنه فى سَعَةٍ * وفى غِنًى غيرَ أنى لستُ ذا مالِ

شُحًّا بنفسِى، إنى لا أرَى أحدًا * يموت هَزْلا ولا يبقَى على حالِ

فالرزقُ عن قَدَرٍ لا الضُّعفُ يَمنعُهُ * ولا يَزِيدُكَ فيـه حولُ محتالِ

وقال المَعْلُوطُ : ٥

متى ما يَرَ النـاسُ الغَـنِىَّ وجارُه * فَقِـيرٌ يقـولوا عاجزٌ وجَليـدُ

وليس الغِنَى والفقرُ من حيلة الفتى * ولكن حُظوظٌ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

وقال آخر :

يَخِيبُ الفتى من حيثُ يُرزَقُ غيرُه * ويُعْطَى الفتى من حيثُ يُحرَمُ صاحِبُهْ

وقال أبو الأسود : ١٠

ليتـكَ آذَنْتَنِى بواحـدةٍ * تَجْعَلُهـا منك سائرَ الأبـدِ

تَحلِفُ ألّا تَبَرَّنى أبـدًا * فإنّ فيهـا بردًا على كَبِدى

إن كان رِزْقِى إليك فارمِ به * فى ناظِرَىْ حيَّـةٍ على رَصَدِ

وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه : حِرفةٌ يقالُ فيها خيرٌ من مَسْألَةِ الناس .

---

(١) هو سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدىّ وكان والى فارس والأهواز ، فكتب الى ١٥
الخليل بن أحمد يستدعى حضوره ، وكان له راتب على سليمان المذكور ؛ فكتب الخليل جوابه : أبلغ
سليمان ... الأبيات . فقطع عنه سليمان الراتب ؛ فقال الخليل :

ان الذى شقّ فمى ضامن * للـرزق حتى يتوفانى

حرمتـنى مالا قليلا فما * زادك فى مالك حرمانى

فبلغت سليمان فأقامته وأقعدته ، وكتب الى الخليل يعتـذر اليه وأضعف راتبـه . (انظر وفيات الأعيان ٢٠
لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٣ طبع بولاق) .

وقال سعيدُ بن العاص : مَوْطنانِ لا أستحيي من العِيِّ فيهما : عند مُخَاطَبتِي جاهلًا، وعند مَسْألتِي حاجةً لنفسي .

حدّثني محمد بن عبيد عن أبي عبد الله عن محمد بن عبد الله بن واصل قال : جاء رجلٌ إلى شُرَيح يستقرِضُ دراهمَ ؛ فقال له شريحٌ : حاجتُكَ عندنا فأْتِ مَنزلَكَ فإنّها ستأتيك، إنّي لأكره أن يَلْحَقَكَ ذُلُّها . ٥

حدّثني الرِّيَاشِيّ عن الأصمعيّ عن حَكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بَنِيه عند موته فقال : إيّاكم والمسألةَ، فإنها آخرُ كسبِ الرجل .

وقال بعضُ المحدَثين :

عَوّدتُ[(١)] نفسي الضِّيقَ حتى أَلِفْتُه * وأخرجَني حسنُ العزاءِ الى الصَّبرِ

ووسّع قلبي للأذى الأنسُ بالأذى * وقد كنتُ أحيانا يَضيقُ به صَدْرِي ١٠

وصَيَّرني يأسِي من الناس راجيًا * لِسُرعةِ لُطفِ[(٢)] اللهِ من حيثُ لا أَدْرِي

وقال آخر :

حَسْبِي بعِلْمي لو نَفَعْ * ما ٱلذُّلّ إلا فى الطَّمَعْ

مَنْ راقب اللهَ نَزَعْ * عن قُبح ما كان صَنَعْ

ما طار شيء فٱرتفَعْ * إلا كما طارَ وقَعْ ١٥

(١) هكذا ورد هذا البيت فى الأصل وقد دخله الخرم، وورد فى الأغانى (ج ٣ ص ١٧٢ طبع بولاق) :

تعوّدت مسّ الصبر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر

(٢) فى الأغانى : «لحسن صنيع الله ...» .

الحِـــرص والإلحاح

لمـا قتل كِسْرى بُزُرْجِمْهـرَ وجد فى مِنْطَقتِـه كتابا : إذا كان القَـدَرُ حقًّا فالحِرصُ باطلٌ، وإذا كان الغَدْرُ فى الناس طِباعًا فالثِّقةُ بكلّ أحدٍ عجزٌ، وإذا كان الموتُ لكل أحدٍ راصِدًا فالطمأنينةُ إلى الدنيا حُمْقٌ .

وقال بعض الشعراء : ٥

من عفّ خفّ على الصَّديقِ لِقاؤه * وأخو الحوائج وجهُــه مَمْــلولُ

وفى كتاب للهنـد : لا يُكثر الرجلُ على أخيـه الحوائجَ؛ فإنّ العِجلَ إذا أفرط فى مصّ أمه نطَحتْه ونحّتْه .

وقال عدِىّ بن زيد :

قـد يُدرِكُ المُبْطِئُ من حظّـه * والرزقُ قديَسبِقُ جهدَ الحريصْ ١٠

وقال ٱبن المقفّع : الحرصُ محْرمةٌ ، والجبنُ مَقْتـلةٌ، فٱنظُرْ فيما رأيتَ وسمعتَ أَمَنْ قُتِل فى الحرب مُقْبِلا أكثرُ أم مَنْ قُتِل مُدْبِرا، وٱنظرْ مَنْ يطلبُ إليك بالإجمال والتكرم أحقّ أن تسخوَ نفسُك له بالعطيّة أم مَنْ يطلبُ ذلك بالشَّرَه والحِرص .

وقال الشاعر :

كم مِنْ حَرِيص على شىءٍ لِيُدْرِكَه * وعَلَّ إدراكَه يُدْنِى الى عَطَبِـهْ ١٥

وقال آخر :

ورُبَّ مُلِحٍّ على بغيــةٍ * وفيهـا مَنيّتُــه لو شَـعَرْ

والعـربُ تقول فى الرجل المُلحّ فى الحوائج الذى لا تنقضِى له حاجةٌ إلا سأل أخــرى :

* لا يُرسِلُ الساقَ إلا مُمسِكًا ساقا * ٢٠

وأصلُ المثل فى الحِرْباء، إذا آشتدّ عليه حَرُّ الشمس لجأ إلى شجرة ثم توَقّى فى أغصانها، فلا يُرسل غُصنا حتّى يَقبِض على آخر .

وقال الشاعر :

أَنّى أُتيــح له حِرْباءُ تَنْضُــبَةٍ[1] * لا يُرسِلُ السّاقَ إلّا مُمسِكًا ساقَا

٥ وفى كتاب كليلة : لا فقرَ ولا بلاءَ كالحِرص والشَّرَه، ولا غِنَى كالرِّضَا والقناعة، ولا عقلَ كالتّدبير، ولا وَرَعَ كالكفِّ، ولا حَسَبَ كحُسن الخلق .

قال آبن المقفع : الحرصُ والحسدُ بِكْرا الذنوب وأصلُ المهالك؛ أمّا الحسدُ فأهلك إبليسَ، وأما الحرصُ فأخرج آدمَ من الجنّة .

وفى كتاب كليلة : خمسة حُرَصاءَ، المالُ أحبُّ إليهـم من أنفسهم : المُقاتِلُ ١٠ بالأُجرة، وحفّارُ القُنِىّ[2] والأسرابِ، والتّاجِرُ يركَبُ البحر، والحاوى يُلسِعُ يده الحيّةَ، والمُخاطِرُ على شُرب السمّ .

دخل مالك بن دِينار على رجل محبوسٍ قد أُخِذ بمال عليه وقُيِّدَ، فقال له : ياأبا يحيي، أمَا ترَى ما نحن فيه من هذه القيود! فرفَع مالك رأسه فرأى سَلّةً، فقال : لمن هذه ؟ قال : لى، قال : فأمر بها أن تُنزَلَ، فأُنزِلتْ فوُضعتْ بين يديه، فإذا دَجَاجُ ١٥ وأَخْبِصةٌ[3]، فقال مالك : هذه وَضعت القيودَ فى رِجلك .

كان أشعب يقول : أنا أطمع وأُمّى تيقَنُ فقلّ ما يفوتُنا .

---

(١) قائله أبو دؤاد الإيادى . قال آبن برى : هكذا أنشده الجوهرى وصواب إنشاده : «أنى أتيح لها» لأنه وصف ظُعُناً ساقها وأزعجها سائق مجدّ (انظر اللسان مادة حرب) والتنضُبَة : واحدة التنضُب وهو شجرٌ عيدانه بيض ضخمة و ورقه متقبض ولا تراه إلا كأنه يابس مغبرّ . (٢) جمع قناة وهى الآبار ٢٠ التى تحفر فى الأرض . (٣) أخبصة : جمع خبيص، والخبيص : ضرب من الحلواء .

وقال النابغةُ :

واليأسُ عما فات يُعقِب راحةً * ولرُبَّ مَطْعَمَـةٍ[1] تعـودُ[2] ذُبَاحا[3]

وقال أبو عليٍّ الضريرُ :

فإنِّى قـد بلوتُكُمُ جميعًا * فما منكمْ على شكرى حريصُ

وأرخصتُ الثّناءَ فعِفتُموهُ * ورُبَّتَمَا غلا الشىءُ الرّخيصُ ٥

فعِفتُ نوالَكم ورَغبتُ عنه * وشَرُّ الزادِ ماعافَ الخَصِيصُ[4]

وقال أعرابىّ :

أيّها الدّائبُ الحريصُ المُعَنَّى * لك رزقٌ وسـوف تستوفيهِ

قَبّح اللهَ نائـلًا ترتجيـهِ * من يَدَىْ مَنْ تُريد أن تقتضيهِ

إنمـا الجـودُ والسماحُ لِمن يُعْـ * ـطيك عفوًا وماءُ وجهِك فيـهِ ١٠

لاينالُ الحريصُ شـيئًا فيكفيـ * ـه وإن كان فـوق ما يكفيه

فَسَـلِ اللهَ وَحدَه ودَعِ النا * سَ وأسخِطْهمُ بمـا يُرضيهِ

لا تَرَى مُعطيًا لِمـا منـع اللهُ * ولا مانعًـا لمـا يُعطيـهِ

---

(١) كذا فى لسان العرب مادة «ذبح» وفى الأصل : «مطمعة» . (٢) فى لسان العرب : «تكون» . (٣) الذباح : القتل . (٤) الظاهر من السياق أن الخصيص هو الفقير، اشتقاقا من الخصاصة وهى الفقر، ولم نعثر عليه فى كتب اللغة التى بين أيدينا . ١٥

[وجد بالأصل بآخر هذا الجزء ما يأتى] :

آخر كتاب الحوائج، وهو الكتاب الثامن من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمة الله عليه . وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علىّ الواعظ الجَزَرىّ وذلك فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة . والحمد لله ربّ العالمين، وصلاتُه وسلامُه على سيِّدنا محمد النبىّ وآله أجمعين . و يتلوه الكتاب التاسع وهو ٥ كتاب الطعام، والله الموفِّق للصّواب .

[وفيه كذلك — وهو من زيادات النّسّاخ —] :

فى الاستعفاف :

عليك باليأس من النا سِ * إنّ غِنَى نفسك فى اليا سِ
كم صاحبٍ قد كان لى وامقًا * إذ كان فى حالة إفلاس ١٠
أقول لو قد نال هذا الغِنَى * صَيَّرنى منه على الرّاس
حتى إذا ما صارَ فيما اشتهَى * وعدّه النّاسُ من النّاسِ
قَطّع بالصدّ حبالَ الصَّفا * منّى ولمّا يَرْضَ بالقاسى

آخرُ(١) وقد أحسن :

إنّ للمعروف أهلًا * وقليلٌ فاعِلوهُ ١٥
أهنأُ المعروفِ ما لم * تُبتَذَل فيه الوجوهُ
أنت ما استغنيتَ عن صا * حبك الدّهرَ أخوهُ
فإذا احتجتَ إليه * ساعةً مجّك فوهُ

(١) هو أبو العتاهية .

إنما يَعْـرِف الفضـ * ـلَ من الناس ذووه

لو رأى النـاسُ نَبِيًّـا * سائـلا ما وَصَـلوهُ

وكتب أبو العيناء الى أبى القاسم بن عُبَيد الله بن سُليمان رُقعة يقول فيها : أنا — أعزّك الله — وولدى وعِيالى زرعٌ من زَرْعك، إن سَقَيته راعَ وزكا، وإن جفوته ذَبُلَ وذَوَى . وقد مسّنى منك جفاءٌ بعد برٍّ وإغفالٌ بعد تَعَهُّد، فشَمِت عدوٌّ، وتَكلَّم حاسد، ولَعِبتْ بى ظنونٌ، وانتزاعُ العادةِ شديدٌ. ثم كتب فى آخرها :

لا تُهِنّى بعـدَ إكرامك لى * فشـديدٌ عادةٌ مُنتزَعَـهْ

آخر :

مالى مَعَاشٌ سوى ضدّ المعاشِ فلا * أغدُو إلى عمـلٍ إلّا بلا أمَـلِ

وليس لى شُغُلٌ يُجْـدِى عَلىّ إذا * فكّرتُ فيـه ومَا أنفكُّ من شُـغُلِ

كلُّ امرئ رائحٌ غادٍ إلى عمـل * وما أروح ولا أغدو إلى عمـل

ولستُ فى الناسِ موجودًا كبعضهمُ * وإنمـا أنا بعضُ النـاس فى المثل

آخـر :

المرءُ بعـد الموتِ أُحدوثةٌ * يفـنَى وتبقَى منـه آثارُهُ

يَطْـوِيه من أيّامه ما طوى * لكنّـه تُنشَـرُ أسرارُهُ

وأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئٍ * تَطِيبُ بعـد الموت أخبارُهُ

يفـنَى ويبقَى ذِكرُه بعـدَه * اذا خَلَتْ من شخصه دارُهُ

وقال حبيب الطائى :

وما ابنُ آدمَ إلّا ذِكرُ صالحةٍ * أو ذِكرُ سيئةٍ يَسرِى بها الكَلِمُ

أمَا سَمِعتَ بدهرٍ باد أُمّتُه * جاءت بأخبارها من بعدها أُمَمُ

فى البخل :

طَرَقْتُ أُنَاسًا عــلى غِرَّةٍ * فذُقتُ من العيشِ جهدَ البلاء

فأمّا القــدِيدُ[١] وأشــباهُه * فذاك مفاتِيحُــه فى السماء

وأما السَّوِيقُ فــفى عَيْبَةٍ * يُشَمُّ ويُدْعَى لــه بالبقاء

٥ ومَنْ حاولَ الخــبز قالوا له * أتذكر شيئاً خُــبِي للدَّواء

---

(١) القديد : اللحم المجفف فى الشمس .

كتاب الطعام

صنوف الأطعِمَة

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة الدِّينَوَرِى رحمة الله عليه : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أىُّ الطعامِ أحبُّ إليك ؟ قال : الزُّبْدُ والكَمْأةُ[1]، فقال عمر : ما هما بأحبّ الأطعمةِ إليه، ولكنه يُحِبّ الخِصْبَ للمسلمين .

قال الأصمعى : قال رجلٌ فى مجلس الأحنف : ليس شىءٌ أبغضَ الىَّ من التمر والزُّبْدِ[2]، فقال الأحنف : رُبَّ مَلُومٍ لا ذنبَ له .

عن أبى عمرو بن العَلَاء قال : قال الحجّاج لجلسائه : لِيكْتُبْ كلُّ رجلٍ فى رُقْعةٍ أحبَّ الطعامِ إليه ويجعلْها تحت مُصَلَّاى، فإذا فى الرِّقاع كلِّها الزُّبْدُ والتمرُ .

عن الأصمعى قال قال مَدَنِى : الكُبَادات أربع : العصيدةُ والهريسةُ والحَيْسةُ[3] والسَّمِيذةُ[4] .

عن الأصمعى عن حزم قال : قال مالك بن حِقْبة لحَسّان بن الفُرَيْعة : ما تَزَوَّدتَ إلينا ؟ قال : الحَيْسُ، قال : ثلاثةُ أَسْقِيَة فى وِعاء .

---

(١) الكمأة اسم للجمع وللواحد : نبات يقال له : شحم الأرض، مستدير كالقلقاس، لا ساق له ولا عرق لونه الى الغبرة، يوجد فى الربيع تحت الأرض . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٢) : «ماشىء أبغض الىّ من الزيت والكمأة» . (٣) الحيسة : الأقط يخلط بالتمر والسمن . (٤) السميذة (بالدال المهملة والذال المعجمة) : الحوارى، وهي لباب الدقيق .

قال الأصمعيّ : قال بعض الأعراب : أشتهى ثريدة دَ كْناء(١) من الفُلْفُل(٢)، رَقْطاء(٣) من الحِمَّص(٢)، ذات حِفافين(٤) من اللحم(٢)، لها جَناحان من العُـرَاق(٥)، أَضْرِب فيها ضَرْب ولىّ السَّوْء فى مال اليتيم .

وقال ابن الأعرابىّ : يقال : أطيبُ اللحم عُوَّذُه، أى أطيبه ما وَلِىَ العظمَ، كأنه عاذَ به .

عن أبى عُبَيدة قال : مرّ الفرزدقُ بيحيى بن الحُصين بن المُنْذر الرَّقاشىّ، [ف]قال له : هل لك يا أبا فِراسٍ فى جَدْيٍ سَمين ونَبيـذ زبيبٍ جيِّـد ؟ فقال الفرزدق : وهل يأبى هذا إلا ابنُ المَرَاغة! يعنى جريرا .

وقال الأَحْوَص لجرير : ما تُحِبُّ أن يُعَدّ لك؟ قال : شِواءٌ وطِلاءٌ(٦) وغِناءٌ، قال : قد أُعِدَّتْ لك .

وقال مَدَنىٌّ لصـديق له : والله أشتهى كَشْكِيَّةً(٧)، ومدّ بها صوتَه فخرجت منه ريح، فقال له : ما أسرع ما لَقِحَتْك يابنَ عمّ .

---

(١) ثريدة دكناء : كثيرة الأبازير، والأبازير : التابل وهو ما يطيب الطعام . (٢) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٩٤) وفى الأصل : «ومن» . (٣) الرقطاء : السوداء تشوبها نقط بيضاء . (٤) كذا فى البخلاء، والحفاف : الجانب . وفى الأصل : « خفافين » بالخاء المعجمة وهو تحريف . (٥) العراق (بضم العين) : العظام اذا لم يكن عليها شىء من اللحم . (٦) الطلاء : الخمر . (٧) فى كتب اللغة الكشكية : ماء الشعير، وفى القواميس الفارسية : الكشك : ضرب من الحساء اللزجة مصنوع من القمح والشعير وزبد لبن الشاء، وربما أضيف اليه شىء من اللحم .

وعن الأصمعيّ قال: قال شيخ من أهل المدينة: أتيتُ فلانا فأتانى بمَرَقة كان فيها مُسَقًّ، فلم أر فيها إلا كَبِدًا طافيـةً، فغمستُ يدى فوجدت مُضْغة(١)، فمددتها فامتدّتْ حتى كأنى أزمر فى ناىٍ.

أُدخل أعرابىّ على كِسْرَى ليتعجّبَ من جَفائه وجَهْـله، فقال له: أىّ شىء أطيبُ لحمـا؟ قال: الجمل. قال: فأىّ شىء أبعدُ صوتا؟ قال: الجمل. قال: فأىّ شىء أنهضُ بالحِمْل الثقيل؟ قال: الجمل. قال كسرى: كيف يكون لحم الجمل أطيبَ من البطّ والدَّجاج والفِراخ والدُّرّاج(٢) والجِـداء؟ قال: يُطبخ لحم الجمل بماءٍ ومِلْح، ويُطبخ ماذكرتَ بماءٍ ومِلْح حتى يُعرف فَضْلُ ما بين الطعمين. قال: كيف يكون الجمـل أبعدَ صوتاً ونحن نسمع الصوتَ من الكُرْكىّ(٣) من كذا وكذا مِيلا؟ قال الأعرابىّ: ضَع الكُرْكىّ فى مكانِ الجمل وضَع الجملَ فى مكان الكركىّ حتّى تعرفَ أيُّهما أبعدُ صوتا. قال كسرى: كيف تزعُم أنّ الجمل أحملُ للحِمل الثقيل والفيلُ يحمل كذا وكذا رطلا؟ قال: لِيُبْرِك الفيلُ ويُبْرَك الجملُ ولْيُحْمَلْ على الفيل حِمْلُ الجمل، فإن نهض به فهو أحمل للأثقال.

عن جعفر بنِ سليمان قال: شيئانِ لا يزيدهما كثرةُ النفقة طِيباً: الطِّيبُ والقِدْر، ولكن تُطَيِّبُهما إصابةُ القَدْر.

وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ(٤) من كتبه قال: كان أبو عبد الرحمن الثورىّ يُعْجَبُ بالرءوس ويَصِفُها ويُسمِّى الرأس عُرْسا لِما تجمَّع فيه من الألوان الطّيبة،

---

(١) المضغة: قطعة اللحم. (٢) الدرّاج (وزان رمّان): طائر يطلق على الذكر والأنثى جميل المنظر ملوّن الريش. (٣) الكركىّ: طائر يقرب من الإوَزّ أبتر الذنب رمادىّ اللون فى خدّه لمعات سود قليل اللحم صلب العظم يأوى الى الماء أحيانا. (٤) قد أورد عمرو بن بحر الجاحظ هذه القصة فى كتابه البخلاء (ص ١١٥ طبع أوربا).

وكان يسمِّيه مرَّةً الجامعَ ومرَّةً الكاملَ، ويقول: الرأس شىء واحد وهو ذو ألوانٍ عجيبةٍ وطعومٍ مختلفةٍ ؛ وكلّ قِدْرٍ وكلّ شِواءٍ فإنما هو شىءٌ واحد، والرأس فيه الدِّماغُ وطَعْمُه مُفْرد، والعينان وطعمهما مفرد [وفيه الشحمة التى بين أصل الأذن ومُؤْخِرِ العين وطعمها على حدة][1]، على أن هذه الشَّحمة [خاصّةً][1] أطيبُ من المُخّ وأنعم من الزُّبْد وأدسم من السِّلاء، ثم يَعُدّ أسقاطه كلها. ويقول: الرأسُ سيِّد البَدَن، وفيه الدّماغ وهو مَعْدِن العقل، ومنه يتفرّق العَصَبُ الذى فيه الحِسّ، وبه قِوَامُ البَدَن، وإنما القلبُ بابُ العقل؛ كما أنّ النفس هى المدركةُ والعينُ هى باب الألوان، والنفس هى السامعة الذائقة وإنما الأنف والأُذُن بابان . ولولا أنّ العقل فى الرأس لما ذهب العقل من الضربة تُصيبه؛ وفى الرأس الحواسّ الخمس . وكان يُنشد :

همُو ضَرَبُوا رأسِى وفى الرأس أَكْثَرِى * وغُــودِرَ عندَ المُلْتَــقَى ثَمَّ سَائِرِى[2]

وكان لا يَشترى الرأسَ إلا فى زيادة الشهر لمكان زيادة الدماغ ، ولا يشتريه إلا يوم السبت لأن الرءوس يوم السبت أكسدُ، للفضلات التى تَبقى فى منازل التجّار عن يوم الجمعة. وكان إذا فرغ من غَدائه يوم الرأس، عَمَد إلى القِحْف[3] والى اللَّحْيَيْنِ[4] فوضعه قُرْبَ بيوتِ النمل والذرّ، فإذا آجتمعْنَ عليه أخذه ونَفَضَه فى طَسْتٍ فيه ماء، ولا يزال يُعيد ذلك على تلك المواضع حتى يُقلِع النملُ والذرّ من داره، فإذا فَرَغ من ذلك ألقاه مع الحطب فآستوقده فى التَّنُّور .

الأصمعىّ قال: قال أبو صَوّارة أو آبن دُقّة : الأرز الأبيض بالسَّمن المَسْلىّ بالسكر الطَّبَرْزَذ[5]، ليس من طَعام أهل الدنيا .

---

(١) الزيادة عن البخلاء. (٢) فى البخلاء: «اذا». (٣) القحف: العظم الذى فوق الدماغ، أو هو ما انفلق من الجمجمة فانفصل، ولا يدعى قحفا حتى ينكسر منه شىء. (٤) اللحيان: عظما الحنك وهما اللذان عليهما الأسنان، وفى البخلاء: «الجبين». (٥) الطبرزذ: السكر الأبيض الصلب، فارسىّ.

قال: وقال أبو صَوّارة أو ابن دُقّة : أطولُ الليالى ثلاث : ليلةُ العقرب، وليلة الهرِيسة، وليلة جُدّة إلى مكة .

الأصمعى عن جعفر بن سليمان قال : قال أبو كامل مولى على رضى الله عنه : أَطْعِمونى حَفْنَةَ زُبْدٍ ثم اختموا سراويلى ثلاثا .

وقال رجل للثّوْرِى فى الحديث : "إن الله يُبغِض البيتَ اللَّحِمَ"، فقال : ليس هو الذى يؤكل فيه اللحم، وإنما هو الذى يؤكل فيه لحومُ الناس . ٥

عن أبى الصِّدِّيق[1] الناجِى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "خيرُ تمَرَاتكم البَرْنِىُّ[2] يذهب بالداء ولا داءَ فيه" .

وعن ابن عُمَر عن عمر أنه قال : ياغلام أَنْضِج العصيدةَ تَذْهَبْ حرارةُ الزيت .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بيتٌ ليس فيه تمرٌ جِياعٌ أهلُه" . ١٠

شيخٌ من أهل البادية قال : أضافنا فلان فأتانا بحِنْطة كأنها مناقيرُ الغِرْبان، وتمرٍ كأنه أعناقُ الوَزِّ[3] يَوْحَلُ فيه الضِّرس .

الأصمعى قال : قال أعرابى : تَمْرنا جُرْدٌ[4] فُطْسٌ[5] يَغيبُ فيه الضِّرْسُ، كأن نواه ألسُن الطير، تَضع التمرةَ فى فِيكَ فتجدُ حلاوتها فى كَعْبَيْكَ . ١٥

الأصمعى عن أبيه قال : أَسَرَ رجلٌ رجلين فى الجاهلية فخيَّرهما بم يُعَشِّيهما، فاختار أحدُهما اللحمَ واختار الآخرُ التمرَ، فعُشِّيا وأُلْقِيا فى الفِناءِ وذلك فى شِتاءٍ شديدٍ، فأصبح صاحبُ اللحم خامدا وأصبح صاحب التمر تَزِرُّ[6] عيناه .

(١) هو بكر بن عمرو أو ابن قيس، كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة . (٢) البرنى : ضرب من التمر أصفر مدوّر، وهو أجود التمر . (٣) فى الأصل هكذا : «الوزلان» والظاهر أنه محرّف عما أثبتناه . ٢٠
(٤) جرد : ناعمة . (٥) فطس : صغار الحب لاطئة الأقماع . (٦) تزر عيناه : توقدان .

وقال غيرُ الأصمعىّ : قيل لأعرابىّ : ما رأيك فى أَكل الجِرِّىّ[١] ؟ قال : تَمْرة نِرْسِيَانَةٌ غرّاءُ الطَّرَفِ صفراءُ السائر عليها مِثلُها زُبْدًا أحبُّ إلىّ منها ، ثم أدركه الوَرَعُ فقال : وما أُحَرِّمُهما .

وقال بعضُ الأعراب :

٥ أَلا ليتَ لِى خُبْزًا تَسَرْبَلَ رَائِبًا[٢] * وخيلًا من البَرْنِىّ فُرسانُها الزُّبْدُ

قال : ورأى أعرابىٌّ دقيقا وتمرا فآشترى التمر، قيل له : كيف وسعرُ الدقيق والتمر واحد ! قال : إنّ فى التمر أُدْمَه وزيادةَ حلاوةٍ .

عن زياد النُّمَيرىّ قال : قالت عائشة : من أكل التمرَ وِترًا لم يضرّه .

الأصمعىّ قال : حدّثنى شيخٌ عالمٌ قال : أطيبُ التمرِ صَيْحَانِيّةٌ مُصَلِّبَة[٣] .

١٠ الأصمعىّ قال : حدّثنى رجلٌ من آل حزمٍ قال : كان يقال : مَنْ خلا على التمر[٤] فالعَجْوة، ومن أكله على ثِقَلٍ فالصَّيْحانىّ .

الأصمعىّ قال : قال أعرابىّ يُفَضِّلُ الرُّطَبَ على العسل : أتجعلُ عَسَلةً فى أخثاءِ البقر كعَسَلَةٍ فى جوِّ السماءِ لها مَحارِسُ من جَرِيدٍ وذوائبُ من زُمُرُّدٍ !

وقال الأصمعىّ : قيل لآبن القَدَّاح : أىّ التمرِ أطيبُ؟ فدعا بأنواع التمر، فلمّا ١٥ أكلوا قال : آنظروا أىُّ النوى أكثرُ؟ قالوا : نوى الصيحانىّ، قال: هو أطيبُ .

---

(١) الجرّىّ : ضرب من السمك . والتمر النرسيان : نوع من التمر جيد ، واحده نرسيانة ، وفى الأصل «تمرة برسنانية» وهو تحريف . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٤ طبع بولاق) . ورواية الأصل : * ألا ليت خبزا قد تسربل رائبا *

(٣) الصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب الممضغة نسب الى صيحان وهو كبش كان يربط الى نخلة ٢٠ بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب اليه ، ويقال : صلبت التمرة اذا بلغت اليبس (انظر اللسان مادّة صلب) .

(٤) يقال : خلا على بعض الطعام اذا اقتصر عليه . قال اللحيانىّ : تميم تقول : خلا فلان على اللبن وعلى اللحم اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به . قال : وكنانة وقيس يقولون : أخلى فلان على اللبن واللحم .

وقال الأصمعىّ : العرب تقول للبخيلِ الأكولِ : "أَبَرَماً قَرُوناً"[١] أى لا يُخرِج مع أصحابه شيئا و يأكل تمرتينِ تمرتين .

وقال النابغة يصف تمرا :

صغارُ النوَى مكنوزةٌ ليس قشرُها * اذا طار قشرُ التمـر عنها بطائرِ

٥ سمِع الحسنُ رجلا يَعيبُ الفالُوذجَ[٢] فقال : فُتاتُ البُرِّ بلُعَابِ النحل بخالِص السَّمْنِ ! ما عاب هذا مسلمٌ . وقال لفَرْقَدٍ السَّبَخِىّ : يا أبايعقوبَ ، بلغنى أنك لاتأكلُ الفالوذجَ ، فقال : يا أباسعيدٍ ، أخافُ ألّا أُؤدِّىَ شكرَه ، فقال : يا لُكَعُ ! وهل تُؤدِّى شكرَ الماءِ البارد [فى الصّيفِ[٣] والحارِّ فى الشتاء ! أما سمعتَ قولَ الله تعالى : ﴿ يَأَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ ﴾] .

---

١٠ (١) كذا ورد هذا المثل فى مجمع الأمثال للميدانى ولسان العرب مادّة «برم» والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله . والقرون : الذى يقرن بين الشيئين أى هو برم و يأكل مع ذلك تمرتين تمرتين . يضرب مثلا لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين ، وفى الأصـل : « أبزما أكولا قروما » وهو تحريف .

(٢) الفالوذج : حلواء يسوّى من لب الحنطة . فارسىّ معرّب . وفى الصحاح : الفالوذ والفالوذق معرّ بة ، قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج . (انظر القاموس وشرحه مادّة فلذ) والعرب لا تعرفه حتى حكى أن ١٥ عبد الله بن جدعان ، وكان سيدا شريفا فى قريش ، وفد على كسرى مرة وأكل عنده الفالوذج فتعجب منه وسأل عن حقيقته ، فقيل : هى لباب البرّ يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاما يصنعه ، وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالأبطح الى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فكان ممن حضر أمية بن أبى الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيـلة رأس وهادى * وأنت الرأس تقدُم كلّ هادى

٢٠ له راع بمكة مشمعـلّ * وآخر فوق دارته ينـادى

الى رُدُح من الشيزى ملاءٍ * لباب البرّ يلبـك بالشهاد

(٣) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨١) .

الأصمعىّ قال: اختصم رومىّ وفارسىّ فى الطعام، فحكّما بينهما شيخا قد أكَل طعامَ الخُلفاءِ، فقال : أمّا الرومىّ فذهب بالحَشوِ والأحشاء، وأما الفارسىّ فذهب بالبارد والحَلْواء .

وعن الأصمعىّ قال : كنّا عند الرشيد فقُدِّمتْ اليه فالُوذَجةٌ، فقال : يا أصمعىّ حَدِّثْنا بحديث مُزَرِّدٍ، فقلت : إن مُزرِّدا أخا الشمّاخ كان غلاما جَشِعًا وكانت أُمّه تُؤثِرُ عيالَها بالطعام عليه وكان ذلك يُحفِظُه[1]، فخرجَتْ أُمّه ذاتَ يوم تزورُ بعضَ أهلها، فدخل مُزَرِّدٌ الخيمةَ وعمَدَ الى صاعَىْ دقيقٍ وصاعٍ من تمر وصاعٍ من سمن فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول :

ولمّا غدتْ أُمّى تَمِيرُ بَناتِها * أَغَرتُ على العِكْمِ[2] الذى كان يُمنعُ

لَبَكتُ[3] بصاعَىْ حِنْطةٍ صاعَ عَجْوةٍ * الى صاعِ سمنٍ فوقَه يتربّعُ[4]

ودَبَّلْتُ[5] امثالَ الأثافي كأنها * رءوسُ نِقادٍ[6] قُطِّعَتْ يوم تُجمَعُ

وقلتُ لِبَطنِى أَبْشِرِ اليومَ إنه * حِمَى أُمِّنا ممّا تَحُوزُ وتَرفَعُ

فإن كنتَ مَصْفورًا[7] فهذا دواؤه * وإن كنتَ غَرْثانا[8] فذا يومُ تَشبَعُ

فضحِكَ الرشيدُ حتى ٱستلقَى على ظهره، ثم قال : كُلوا بٱسم الله، هذا يومُ تَشبَعُ [يا أصمعىّ][9] .

---

(١) يحفظه : يغضبه . (٢) العكم : النمط تجعله المرأة كالوعاء تذخر فيه متاعها .

(٣) لبكت : خلطت، واللبيكة : أقط ودقيق أو تمر ودقيق يخلط و يصب عليه السمن . (٤) يتربع : يتميع هاهنا وهاهنا لا يستقرّ له وجه لكثرته . وفى الأصل : «يتربع» بالبا الموحدة . (٥) دبلت الشيء : جمعت بعضه على بعض وعظمته مثل الكتلة . وفى الأصل «وذيلت» بالذال المعجمة والياء المثناة وهو تحريف (انظر اللسان مادة ربع ودبل) . (٦) نقاد : جمع نقدة وهى الصغيرة من الغنم، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . (٧) المصفور : من به الصفر وهو داء فى البطن يصفرّ منه الوجه .

(٨) غرثان : جائع ؛ وقد وردت هذه الأبيات فى الجزء الثالث من العقد الفريد ص ٣٨٥ باختلاف قليل فى بعض ألفاظها عما هو مثبت هنا . (٩) زيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥) .

قال : وكتب الحجاجُ الى عامِله بفارسَ : ابعَثْ الىَّ عسلًا من عسلِ خُلَّار[١]، من النَّحْلِ الأبكار، مِن الدَّسْتَفْشار، الذى لم تمسَّه النار .

وقال الأصمعىّ : كتب بعض الخلفاء[٢] الى عامله بالطائف : أن أرسِل إلىّ بعسلٍ أَخْضَرَ فى سقاء، أبيضَ فى الإناء، من عَسلِ النَّدْغ[٣] والسَّحاء[٤]، من حِدَابِ بنى شبابة .

والعربُ تِصف العسلَ بالبرودة .

وفى حديث ابن عباس أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم سئِل عن أفضل الشراب قال : "الحلْواءُ البارِدُ" يعنى العسلَ . وقال الأعشى :

كما شِيبَ بماءٍ با * رِدٍ من عسلِ النحلِ

ويقال : أجودُ العسلِ الذهبىّ[٥] الذى اذا قَطَرتْ منه قطرةٌ على وجه [الأرض] استدارَ كما يَستدِيرُ الزِئبقُ ولم يَنفُشْ ولم يختلط بالأرض والتراب .

والرومُ تقول : أجودُه ما يُطبَخ على فَتيلةٍ ثم تُشعَلُ فيه النارُ فيَعْلَق .

وسُئِل ديمقراطيس العالِمُ عما يَزيدُ فى العُمْر فقال : مَنْ أدام أكلَ العسلِ ودَهَن جِسمَه به زاد الله بذلك فى عمرِه .

---

(١) خلار كرمان : موضع بفارس ينسب اليه العسل الجيد . والدستفشار : كلمة فارسية ومعناها مما عصرته الأيدى وعالجته . (انظر القاموس وشرحه مادة خلر) . وقال ابن سيده فى المخصص (ج ٥ ص ١٨ طبع بولاق) : قال أبو حنيفة : المستفشار والدّستفشار : العسل الذى لم تمسه النار . وقال : ليست واحدة منهما عربية لأن هذا البناء ليس من كلامهم . (٢) كذا فى الأصل ، وفى اللسان مادة «ندغ» أن الذى كتب الحجاج ، والحجاج لم يكن من الخلفاء كما هو مذكور هنا . (٣) الندغ : الصعتر البرىّ وهو مما ترعاه النحل وتعسل عليه وعسله أطيب العسل ، وفى الأصل « البذع » . (٤) السحاء : نبت آخر من مراعى النحل يطيب عسله عليه ، وفى الأصل «السماء» . وحداب بنى شبابة : جبال بالسراة ينزلها بنو شبابة ، قوم من فهم بن مالك كما فى اللسان وشرح القاموس مادّة (حدب) . وفى الأصل : «حدب» بدون ألف . (٥) فى ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه للمحبى ، وفى لطائف المعارف للثعالبى ص ١١٠ طبع أوروبا : «أن خير الأعسال كلها عسل أصبهان ، وأن فى أجوده هذه الخاصة وذكر الثعالبى أنه يحمل منه كل سنة الى السلطان ألفا رطل » .

والعَسلُ إن جُعل فيه اللحمُ الطرىّ بقى كهيئَتِه حتى لا ينتُنَ . ويقال : مَنْ كان به داء قديمٌ فليأخُذْ دِرهمًا حلالًا وليَشْتَر به عسلا ثم يَشرَبْهُ بماءِ سواءٍ فإنه يبرأ بإذن الله تعالى . وكان الحسنُ يُعجبُه اذا ٱستَمْشَى(١) الرجلُ أن يَشربَ اللبنَ والعسلَ .

ويزعم أصحابُ الطبائـع أن العسلَ اذا دِيفَ(٢) بالماء وخُلِطَ معه زيتٌ أو دُهنُ سِمسِمٍ نافعٌ لمن شَرِبَ السُّمومَ والأدويةَ القاتلةَ يُتقيأُ به .

ميمونُ بن مِهرانَ عن ٱبن عبّاس قال — ولا أعلمه إلّا عن النبىّ صلى الله عليه وسلم — أنه قال : "أكرِمُوا الخبزَ فإنّ الله سخّر له السمواتِ والأرضَ" .

الأصمعىّ قال : كانت امرأةٌ من(٣) بكر بن وائل تنزِلُ الطُّفَاوةَ(٤) وكانت قد أدركت بعض أصحابِ النبىّ صلى الله عليه وسلم، وكان العُبّادُ يغشَوْنَها فى منزلها، فعابَ عائبٌ عنـدها السّوِيقَ ، فقالت : لا تفْعَـلْ ! إنه طعامُ المسافِر، وطعامُ(٥) العَجْلانِ ، وغِذاءُ المبكّرِ، وبُلْغَـةُ المريضِ ، ويَشُدُّ فؤادَ الحَزينِ، ويرُدُّ من نَفسِ الضَّعيفِ؛ وهو جيّدٌ فى التّسمِين ونقاوَة البلغَمِ، ومَسْمونُهُ(٦) يُصَفّى الدمَ، إن شِئتَ كان ثريدا ، وإن شئت كان خَبيصًا، وإن شِئت كان خُبزًا .

وكان غسّانُ بن عبد الحميد كاتب سليمان بن علىّ يقول لجاريته : خَوِّضِى(٧) لنا سويقا فأَخْثِرِيه ، فإنّ الرجلَ لا يَستحِى أن يزدادَ ماءً فيرقّقَـه ، ويستحى أن يزدادَ سويقًا فيُخثّره به .

---

(١) استمشى : استطلق بطنه . (٢) ديف : خلط (٣) فى الأصل : «كان فى الطفاوية امرأة من بكر بن وائل تنزل الطفاوة ... الخ» . (٤) الطفاوة : حىّ من قيس عيلان، وموضع بالبصرة سمى بالقبيلة التى نزلته . (٥) كذا بالأصل، وهذا التكرار لا يتفق مع بلاغة السياق ، وفى العقد الفريد : «طعام المسافر والعجلان» . (٦) سمن الطعام يسمنه سمنا فهو مسمون : عمله بالسمن ولته به . (٧) خوّض الشراب وخاضه : خلطه وحرّكه . والخثورة : ضدّ الرقة، يقال : أخثر الشىء وخثّره إذا غلظه بعد الرّقة .

مرّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بعبد الحميد بن علىّ وهو فى مَزْرَعته وقد عَطِش، فاستسقاه فخاضَ له سَوِيقَ لَوْزٍ فسقاه إياه، فقال عبد الله :

شَرِبتُ طَبَرْزذا(١) بِغَرِيضِ مُزْنٍ(٢) * ولكنّ المِلاحَ بكم عِذابُ
وما [هو] بالطَّبَرْزَذِ طاب لكن * بِمَسِّكَ إنه طاب الشرابُ
وأنت إذا وَطِئتَ ترابَ أرضٍ * يَطيبُ إذا مشيتَ به الترابُ
لِأنْ نَداكَ يَنفِى المَحْلَ عنها * وتُحْيِيها(٣) أياديكَ الرِّطابُ

وقال الحسنُ : لا تَسْقُوا نِساءَكم السَّوِيقَ، فإن كنتم لا بدّ فاعِلينَ فاحفَظُوهنّ.

وقال الرّقاشىّ : السُّمنةُ لِلنّساء غُلْمةٌ وهى للرجال غَفْلةٌ.

عن ابن عمرَ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «ثَلاثةٌ لا تُرَدُّ : اللّبنُ والسِّواكُ(٤) والدُّهْنُ».

الرِّياشىّ قال : سمعتُ أبا يزيدَ يقول : رأيتُ رجلا كأنّ أسنانَه الذّهَبُ لشربه اللّبَنَ حارًّا.

الأصمعىّ عن ذى الرُّمّة أنه قال : إذا قلتَ للرجل : أىُّ اللّبن أطيبُ ؟ فإن قال : قارِصٌ(٥)، فقُلْ : عبد مَنْ أنتَ(٦)؟ و إن قال : الحليبُ، فقُلْ : ابنُ مَن أنتَ؟

مرّ رجل من قريشٍ بامرأةٍ من العرب فى باديةٍ، فقال : هل من لبنٍ يُباعُ؟ فقالت : إنك لئيمٌ أو قريبُ عهدٍ بقومٍ لِئامٍ.

---

(١) الطبرزذ : السكر فارسىّ معرّب، و يقال فيه : طبرزن وطبرزل بالنون واللام (انظر القاموس وشرحه مادة طبرزذ ومفردات ابن البيطار طبع بولاق فى اسم الطبرزذ). (٢) الغريض من اللحم والماء واللبن والتمر : الجديد الطازج. (٣) فى الأصل : «وتجنيها» بالجيم والنون وهو تحريف. (٤) فى الأصل هكذا : «الوساك» وهو تحريف. (٥) القارص : الحامض. (٦) أى هو عبد، لأنه باستطابته الحامض دل على أنه لم ير خيرا منه، اذ العبد يأكل ما يفضل من مواليه فلا يصل اليه الحليب إلا حامضا.

وكان يقـال : اللبنُ أحدُ اللّحمَيْنِ .

وقال بعضُ المدنيّينَ : مَنْ تَصبّحَ[1] بِسبعِ مَوْزَاتٍ[2] و بقـدَحٍ من لبن إبلٍ أَوَارِكَ[3] تَجشّأ بَخورَ الكعبةِ .

وقف معاويةُ على امرأةٍ فقال : هل مِن قِرًى؟ فقالت : نعم، قال: وما هو؟

٥ قالت : خُبزٌ خَمير ولَبَنٌ فَطير وماءٌ نمير[4]، والعرب تقول: "إنّ الرّثيئةَ تَفْثأُ الغضب"[5].

والرّثِيئـةُ : اللبنُ الحامضُ يُحلَبُ عليه الحليبُ، وهو أطيبُ اللبنِ . قال بعضُ الأعرابِ :

و إذا خشِيتَ على الفؤادِ لَجَاجَةً * فاضرِب عليه بجَرْعَةٍ من رائِبِ

وعن مطر الورّاق : أنّ نبيًّا من الأنبياء شكا الى الله تعالى الضعفَ، فأوحى الله

١٠ إليه : انِ اطبُخِ اللبنَ باللحم، فإنّ القوّة فيهما .

وصف أعرابىّ خِصْبَ البادية فقـال : كنتُ أشربُ رثيئـةً تَجرُّها الشّفتانِ جرًّا، وقارِصًا إذا تجشّأتُ جدَع أنفِى، و رأيتُ الكَمْأةَ تدوسُها الإبلُ بمَنَاسِمِها، وخُلاصةً[6] يَشَمُّها الكلبُ فيَعطِسُ .

وتقول الأطبّاء : إنّ اللبن اذا سُخّنَ بالنـار وسِيطَ[7] بعُودٍ من عيـدان شجرِ التّينِ

١٥ راب من ساعته. وقالوا : وإن أراد صاحبه ألّا يروبَ و إن[8] كان فيه رُوبة جعل فيه شيئا من الحبَقِ، وهو الفُوذَنْجُ[9] النهرىّ، فإنه يبقى كهيئته .

---

(١) تصبح : أكل شيئا قليلا يتعلل به . (٢) كذا فى الأصل ولعلها «لوزات» أو «تمرات» . (٣) الإبل الأوارك : التى تأكل الأراك . (٤) الماء النمير : الناجع فى الرىّ، وقيل : الماء النمير : الكثير . واللبن الفطير : الطرىّ القريب العهد من الحلب . (٥) هـذا مثل ذكره

٢٠ الميدانىّ وقال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو، وتفثأ الغضب أى تكسره وتذهبه . وأصله أنّ رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم وكان مع سخطه جائعا فسقوه الرثيئة فسكن غضبه . (٦) الخلاصة : التمر والسويق يلقى فى السمن . (٧) سيط : حرّك . (٨) فى الأصل : «فإن» . (٩) الفوذنج : نبت، معرّب عن پوذينه .

أخبار من أخبار العرب فى مآكلهم ومشاربهم

المعلَّى الرَّبَعِىّ قال : مكثتُ ثلاثا لا أذوق طعاما ولا أشرب فيهنّ شرابا ، فدعوت الله تعالى ، واذا دعا العبدُ اللهَ بقلبٍ صادقٍ كانت معه من الله عينٌ بصيرةٌ ، فدَفعتُ الى ذِئبينِ فى جَفْرٍ(١) ، فرَميتُهما فقتلتُهما ، ثم أتيتُ جَفْرًا فيه ماء فٱستقيت ، ثم أتيتهما واذا هما على مُهيدِيَتِهِما(٢) ، واذا لهما نَخْفَةٌ — يعنى شبهَ الزّفير — فاشتويتُ وٱحتذيت(٣) وٱدّهنت .

قال ٱبن قِرْفَةَ (شيخ من سليم) : أضافنى رجل من الأعراب فجاءنى بِقِدْرٍ جِمَاعٍ(٤) ضخمةٍ ليس فيها شىء من طعام إلا قِطَعُ لحم ، فاذا بَضْعة تَمْتَاتٌّ(٥) فى فمى ، وبَضْعة كأنّها بِضَع ساقٍ ، وبضعة كأنها شحمٌ زَخِمٌ(٦) ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : إنى رجل صيّاد ، جمعتُ بين ذِئبٍ وظَبيٍ وضَبُعٍ .

قال مدنىّ لأعرابىّ : ما تأكلون وما تَدَعُون ؟ قال : نأكل ما دَبَّ ودَرَجَ إلا أمَّ حُبَينٍ(٧) ، فقال المدنىّ : لِيهنِئ(٨) أمَّ حُبَينٍ العافيةُ .

---

(١) الجفر : البئر الواسعة التى لم تطو ، وقيل : هى التى طوى بعضها ولم يطو بعض . (٢) على مهيديتهما : على حالهما التى كانا عليها ، يقال : هو على مهيديته ومهيدئته ، بالهمز وعدمه ، حكاه ثعلب وقال : لامكبر لها . وقد ذكرها صاحب اللسان والقاموس فى مادتى (هدى) و (هدأ) . (٣) احتذيت : ٱتخذت نعلا . (٤) قدر جماع وجامعة : عظيمة ، وقيل : هى التى تجمع الجزور . (٥) تمات : تمتدّ وتمطط . (٦) زخم : كريه خبيث الرائحة . (٧) بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مخففة : دويبة قيل : هى ضرب من العظاء ، وقيل : هى أعرض من العظاء ، وقيل : هى أنثى الحرباء ، وقيل غير ذلك ، وهى منتنة الريح تتحاماها الأعراب فلا يأكونها لنتنها ، و يقال لها : حبينة معرفة بلا ألف ولام وانما سميت بذلك لكبر بطنها ، من الحبن الذى هو السَّق فى البطن . تقول : فلان به حبن فهو أحبن أى مستسق ، فسميت بذلك لشبهها بالمستسق . (٨) فى الأصل : «ليهن» قال شارح القاموس فى مادّة هنأ : تقول العرب فى الدعاء : ليهنئك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنة ، ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة ، أى لأن الياء بدل من الهمزة ، ثم قال : وقد ورد فى صحيح البخارى فى حديث توبة كعب بن مالك : يقولون : ليهنك توبة الله عليك . راجع شرح القاموس (مادة هنأ) .

قعد على مائدة الفضل بن يحيى رجلٌ من بنى هلالِ بن عامر، فذكروا الضَّبّ ومن يأكله، فأفرط الفضلُ فى ذمّه وتابعه القومُ، فغاظ الهلاليَّ ما سَمِع منهم، ولم يكن على المائدة عربىّ غيرُه، ثم لم يلبث أن أُتِىَ الفضـلُ بصَحْفةٍ فيها فِراخُ[1] الزَّنابير، فلم يَشُكّ الأعرابىّ أنها ذِبّان البيوت، فقال حين خرج :

وعِلْجٍ يَعَافُ الضبَّ لؤما وبِطْنَـةً[2] * وبعضُ إدَامِ العِلْجِ هامُ ذُبَابِ

٥ ولو أنّ مَلْكًا فى المَلَا ناك أمَّهُ * لقالوا لقد أُوتيتَ فصلَ خِطابِ

وقال أبو الهِندى[3] (رجل من العرب) :

أكلتُ الضِّبابَ فما عِفْتُها * وإنّى لأشهى قَدِيدَ[4] الغَنَمْ

ولحمَ الخروفِ حَنيذًا[5] وقد * أُتيتُ به فاترًا فى الشَّـبِمْ[6]

١٠ فأمّا البَهـطُّ[7] وحِيتَانُكم * فما زِلتُ منها كثيرَ السَّقَمْ

وقـــد نِلتُ منها كما نِلتُمُ * فـلم أر فيها كَضَبٍّ هَرِمْ

---

(١) قال الدميرى فى حياة الحيوان (ج ٢ ص ١٢) فى الكلام على الزنبور : « وفراخ الزنابير تؤخذ من أوكارها وتغلى فى الزيت و يطرح عليها سذاب وكراو يا وتؤكل » وذكر خاصة لذلك .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٨)، وقد وردت فيـه هذه الحكاية وهى لا تختلف فى المعنى عما ورد فى الأصل . وفى الأصل : «وعلج يعاف الضب واللوم بطنه» . (٣) كذا ١٥ ورد فى اللسان (مادتى عرب وبهط) منسوبا اليه بعض هذه الأبيات، وقد عقد له المؤلف ترجمة فى كتابه الشعر والشعراء (ص ٤٢٩) وفى الأصل : «أبو هند» . (٤) القديد : اللحم المملوح المجفف فى الشمس . (٥) حنيذ : مشوىّ . (٦) كذا فى الدميرى (ج ٢ ص ٩٣) والحيوان للجاحظ، وقد فسره الدميرى بماء الأسنان وهو غير واضح، والظاهر أنه بمعنى البرد كما هو معناه ٢٠ اللغوى . وفى الأصل : «السنم» وهو تحريف . (٧) قال فى اللسان : «البهط : كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء، واستعملته العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة» .

ولا في البيوض كبيض الدجاج * وبيض الدجاج (١) شفاء القرم (٢)

ومكن (٣) الضباب طعام العريب (٤) * ولا تشتهيه نفوس العجم

وقال بعض الأعراب :

وأنت لو ذقت الكشى (٥) بالأكباد * لما تركت الضب يعدو بالواد

ونزل رجل من العرب برجل من الأعراب فقدم اليه جرادا، فقال : ٥

لحى الله بيتا ضمني بعد هجعة * اليه دجوجي من الليل مظلم

فأبصرت شيخا قاعدا بفنائه * هو العنز إلا أنه يتكلم

أتانا ببرقان (٦) الدبى فى إنائه * ولم يك برقان الدبى لى مطعم

فقلت له غيب إناءك (٧) واعتزل * فهل ذاق هذا، لا أبالك، مسلم

وقال بعض العباسيين (٨) : ١٠

ليت شعرى متى تخب بى النا * قة نحو العذيب (٩) فالصنين (١٠)

محقبا (١١) زكرة (١٢) وخبز رقاق * وجبينا (١٣) وقطعة من نون

(١) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . وفى الأصل : «و بيض الجراد» .

(٢) كذا فى حياة الحيوان للدميرى وكتاب الحيوان للجاحظ . والقرم (بفتح القاف والراء) : شدة الشهوة الى اللحم . وفى الأصل «الشقم» وهو تحريف . (٣) المكن (بفتح الميم و إسكان الكاف) و بالنون ١٥ فى آخره) : بيض الضبة . (٤) العريب : تصغير العرب ؛ قال فى اللسان مادة عرب : صغرهم تعظيما كما قال : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب . وفى الأصل « الغريب » بالغين المعجمة وهو تحريف . (٥) الكشى : جمع كشية (بضم الكاف و إسكان الشين) وهى أصل ذنب الضب .

(٦) البرقان : جمع برقانة وهى الجرادة المتلونة . والدبى : الجراد ، أى أتانا بالمتلون من الجراد .

(٧) فى الأصل : « فناك » . (٨) ذكر هذا الشعر بالجزء الثانى من كتاب الأغانى ٢٠ (طبع دار الكتب المصرية ص ٣٤٨) منسوبا الى حنين بن بلوع الحيرى ، ولم يذكر أبو الفرج أنه أدرك الدولة العباسية . (٩) العذيب : ماء لبنى تميم ، وهو أول ماء يلقى الانسان بالبادية اذا سار من قادسية الكوفة يريد مكة . (١٠) الصنين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر و به نهر ومزارع . ورواية الأغانى فى هذا الشطر : « بين السدير والصنين » وفى اللسان : « بين العذيب فالصنين » بفاء العطف وهو ما اخترناه . وفى الأصل : « فى الصنين » . وفى هذا الشعر السناد وهو ، كما فسره ابن سيده ، المخالفة بين الحركات ٢٥ التى تلى الأرداف فى الروى . (١١) يقال : أحقب الزكرة واحتقبها اذا احتملها خلفه . (١٢) الزكرة بالزاى : زق يجعل فيه شراب أو خل . (١٣) الجبين تصغير الجبن المأكول . والنون : الحوت .

وقال بعض الأعراب :

أقول له يومًا وقـد راح صُحْبتى * تُرى أبتغِى من صَـيْده وأُخَاتِلُه (١)

فلما التَقتْ كفّى على فَضلِ ذَيله * وشالت شِمالى (٢) زَايَلَ الضّبَّ باطلُه

فأصبح محنوذًا (٣) نضيجا وأصبحتْ * تمَشّى على القِيزَانِ (٤) حُولًا حلائلُه

شديدَ آصفرار الكُشْيَتين (٥) كأنما * تَطَلَّى بورسٍ (٦) بطنـه وشَـوا كِلُه (٧)

فذلك أشهى عندنا من نَتَاجِكم (٨) * لحى الله شارِيه (٩) وقُبِّـح آكِلُه

وبنو أسدٍ تُعَيَّر بأكل الكلاب، قال الفرزدق :

إذَا أسَدِىٌّ جاع يومًا ببلدةٍ * وكان سمينًا كلبُه فهو آكِلُه

وتُعَيَّر أيضا بأكل لحوم الناس، كما قال الشاعر (١٠) :

اذا ما ضِفْتَ ليلاً فَقْعسِيًّا * فـلا تأكل له أبدًا طعامَا

فإن اللحم إنسانٌ فدعْه * وخيرُ الزادِ ما منع الحـراما

---

(١) فى الأصل : «وأخاطره» والقافية فى الشعر اللام ، وقد ورد هذا الشطر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٢٧ طبع مصر) :

* وبالله أبغى صـيده وأخاتله *

(٢) كذا فى كتاب الحيوان ، وشالت : ارتفعت . وفى الأصل : «نالت» . (٣) الشـواء المحـنوذ الذى قـد ألقيت فوقه الحجارة المرضوفة بالنار حتى ينشـوى انشواء شـديدا فيتهرّى تحتها . (٤) القيزان : جمع قوز (بالفتح) وهو الكثيب الصغير من الرمل تشبّه به أرداف النساء . (٥) كذا فى كتاب الحيوان . والكشية : شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه ، وفى الأساس أنها شحمة مستطيلة فى جنبيه . وفى الأصل : « الكليتين » . (٦) الورس : صبغ أصفر يصبغ به . (٧) الشواكل : جمع شاكلة وهى الخاصرة . (٨) كذا فى كتاب الحيوان . وفى الأصـل : « كذلك » بالكاف . (٩) فى الأصل « نيا حكم » (بالنون والياء والحاء المهملة) وهو تحريف ، والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ . (١٠) نسب هذا الشعر فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٢ طبع أوربا) الى معروف الدبيرى .

قال رجل : كنت بالبادية فرأيت ناسًا حولَ نارٍ، فسألتُ عنهم فقالوا : صادوا حيّات فهم يَشْتَوُونها ويأكلونها ، فأتيتُهم فرأيت رجلا منهم قد أخرج حيّةً من الجَمْر ليأكلها فامتنعَتْ عليه ، فجعل يمدّها كما يُمَدّ عُصَيب لم يَنْضَج ، فما صرفتُ بصرى عنه حتّى لُبِجَ (١) به فمات ، فسألت عن شأنه فقيل لى : عَجِلَ عليها قبل أن تنضج وتعمل فى سُمّها النارُ .

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لى لحمًا ، فاشتَرَوْه فطبخه حتى تهرَّى ، وأكل منه حتى انتهت نفسه ، وشَرَعَت اليه عيون ولده فقال : ما أنا بمُطْعِمِه أحدًا منكم إلا مَن أحسن وصفَ أكْلِه ؛ فقال الأكبر منهم : آكلُهُ يا أبت حتى لا أَدَع لِلذةٍ فيه مَقيلا ؛ قال : لستَ بصاحبه . فقال الآخر : آكله حتى لا يُدْرَى ألِعامِه هو أم لِعامٍ أوّل ؛ قال : لستَ بصاحبه . فقال الأصغر : أدقّه يا أبت دقا وأجعل إدامه المخّ ؛ قال : أنت صاحبُه ، هو لك .

بينا أعرابىٌّ يسير وهو يُوضع (٢) بعيرَه إذ سقط بعيرُه فنحَره وأكله ، فأنشأ يقول :

إن السّعيد من يموتُ جَمَلُهْ * يَشْبَع لحمًا ويَقِلّ عَمَلُهْ

ومرّ رجلٌ من سَلُول بفِتْيانٍ يشربون فشَرِب معهم ؛ فلما أخذ منه الشراب قام الى بعيره فنحره ، وقال :

عَلِّلانى إنما الدّنيا عِلَلْ * ودَعانِى من مَلامٍ وعَذَلْ
وانْشُلا (٣) ما اغبَرّ من قِدْرِيكما * واسقِيانِى أبعدَ اللهُ الجمَلْ

---

(١) يقال : لبج بالرجل ولبط به اذا صرع . (٢) يوضع بعيره : يعديه ويحمله على العدو الحثيث . (٣) نشل اللحم (من بابى ضرب ونصر) وانشله : أخرجه من القدر بيده من غير المغرفة .

آداب الأكل والطعام

عن أبى هريرة قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الأَكْلُ فى السُّوقِ دَنَاءَةٌ". وعن عبد الرحمن بن عِراكٍ قال : بلغنى أنه مَنْ غسل يدَه قبل الطعام كان فى سَعَةٍ من الرِّزقِ حتى يموتَ .

٥ عن الحسن أنه قال : الوُضوءُ قبل الطعام يَنفِى الفقرَ و بعده يَنفِى اللَّمَم[1] .

وعنه قال : قيل لسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ : إنّ أباك أَكَلَ طعاما كاد يقتلُه ؛ قال : لو مات ما صَلَّيتُ عليه .

وعن شُرَحْبِيل بنِ مسلم قال : قال أبو الدَّرداء : بِئسَ العونُ على الدِّينِ قَلبٌ نَخِيب[2]، و بطنٌ رَغيب[3]، ونَعْظٌ شديدٌ .

١٠ أَكَلَ الجارودُ[4] مع عمرَ طعامًا ، ثم قال : ياجاريةُ هاتِ الدَّستَورْدَ[5]؛ فقال عمر : امسحْ بِإستِك أو ذَرْ .

قال جعفر : كنا نأتِى فَرْقدا السَّبَخِىَّ ونحن شَبَبَةٌ[6] فيُعلِّمُنا : إن مِن ورائكم زمانًا شـديدًا ، فشُدُّوا الأُزُرَ على أنصافِ البطونِ ، وصَغِّروا اللُّقَمَ ، وشَـدِّدوا المضغَ ،

---

(١) اللمم : ما دون الكبائر من الذنوب ، وفى التنزيل العزيز : (الذين يجتنبون كبائر الإثم

١٥ والفواحش إلا اللمم) يعنى الذنوب الصغائر . (٢) نخيب : جبان كأنه منتزع الفـؤاد .

(٣) بطن رغيب : واسع الجوف ، وهو كناية عن كثرة الأكل وشدّة النهم . (٤) هو بشر ابن عمرو بن حنش بن المعلى من بنى عبد القيس العبدى الصحابى ، والجارود لقبه ومعناه المشئوم ، لأنه فرّ بإبله الجرد (التى أصابها الجَرَد) الى أخواله من بنى شيبان ، ففشا ذلك الداء فى ابلهم فأهلكها . وفد على النبىّ صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث . وقتل فى خلافة عمر بأرض فارس سنة احدى وعشرين .

٢٠ (٥) الدستورد : ثوب أحمر يضرب الى صفرة حسنة . وهو مركب من "دست" بمعنى ثوب، و"ورد" بمعنى أحمر ضارب الى الصفرة ، كما فى القاموس وشرحه (مادتى دست و ورد) ، ولعله يقصد هنا المنشفة .

(٦) شببة : جمع شاب .

ومُصُّوا المـاءَ مَصًّا . واذا أكلَ أحدُكم فلا يَحُلَّنَّ إزارَه فتَتَّسِعَ[(١)] أمعاؤه . واذا جلس أحدُكم لِيأكلَ فَلْيَقْعُدْ على أَلْيَتَيهِ، ولْيَلْزَقْ بطنه بِفَخذيه ، واذا فرغ فلا يَقْعُدْ ولْيَجِئْ ولْيَذْهَبْ، واحْتَمُوا[(٢)] فإنَّ مِنْ و رائكم زَمانا شديدا .

وعن عبد الله بن أبي أوفَى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "سَاقِي القَوْمِ آخِرُهم شُرْبًا" .

وعن الجارُودِ بن أبي سَبْرَةَ قال : قال لى بلالُ بن أبى بُرْدَةَ : أتَحضُرُ طعامَ هذا الشيخ — يعنى عبدَ الأعلى بن عبد الله بن عامر — ؛ فقلت : إيهًا[(٣)] واللهِ ؛ فقال : حَدِّثْنِي عنه . فقلتُ : نأتيهِ وكان سِكِّيتًا[(٤)]، إن حَدَّثَنَا أحسنَ الحديثَ، وإن حَدَّثْنَاه أحسنَ الاستماعَ ، فإذا حضرَ الغَداءُ جاء خَبَّازُه فمَثَلَ بين يديه ؛ فيقولُ : ماعندكَ ؟ فيقولُ : بَطَّةٌ بكذا، ودَجَاجَةٌ بكذا وكذا . قال : ومايريدُ بذاك ؟ قلت : كي يَحبِسَ[(٥)] كلُّ إنسانٍ نفسَه الى ما يَشتهِى ، فإذاوُضعَ الخِوانُ خَوَّى[(٦)] تَخوِيَةَ الظليم[(٧)] فما له إلا موضعُ مُتَّكَئِهِ فيَجِدُّ ويَهْزِلُ، حتى اذا رآهم قد فتَرُوا وكَلُّوا أَكَلَ معهم أكْلَ الجائعِ المقرورِ[(٨)] حتى يُنشِّطَهم بأكله .

وكان يقال : اذا اجتمعَ للطعام أربعٌ كَمَلَ : أن يكون حلالًا، وأن تَكثُرَ عليه الأيدِى، وأن يُفتَتَحَ باسم الله، ويُختَتَمَ بحَمدِ الله .

(١) فى الأصـل : «فتشبع» ، وهو تحريف . (٢) احتموا : امتنعوا عن الطعام ، وفى الأصل : «احتفوا» . (٣) إيها (بالنصب) : معناه الكف ، وقد يرد للتصديق والرضا كما هنا ، ومنه حديث ابن الزبير لما قيل له : يابن ذات النطاقين ؛ فقال : إيها والإله ، أى صدّقت و رضيت بذلك . (٤) سكيتا : كثير السكوت قليل الكلام . (٥) فى الأصل «يختبئ» والتصويب عن العقد الفريد (ج١ ص٢٨٦) . (٦) خوّى الرجل : فرّج ما بين عضديه وجنبيه . (٧) كذا فى كتاب التاج للجاحظ (ص ٢٠ طبع بولاق) وكتاب البخلاء له أيضا (ص ١٩٤ طبع أوربا) . والظليم : ذكر النعام ، وفى الأصل : « تخوية الطين » وهو تحريف . (٨) المقرور : الذى أصابه القرّ وهو البرد .

وكان يُقالُ : سَمُّوا اذا أكلتم ودَنُّوا(١) وسَمِّتُوا .

قال أَبْرَوِيزُ لِصاحِبَىْ طعـامِه وشرابه : إنى سَلَّطتُكما على المعيشـةِ، وأشركتُكما فى الحياة ، وجعلتكما أمينينِ على نفسى، ووَلَّيتُكما من طعامِى وشَرابِى ما التوسِعةُ فيه مُروءةٌ والتضييقُ فيه دَناءةٌ؛ فآجعلاه فى فضلِه على ما سواه كفضلى على مَنْ سِواىَ، وفى كثرته ككثرةِ مَنْ معى على مَنْ مع غَيرى . ولا يَشهدَنَّ طعامِى الذى آكُلُ عينٌ تراه ولا نَفسٌ تُحِسُّه ولا يَدٌ تَداولُه خلا نفسًا واحدةً؛ وإنما أفردتُه بذلك لِتَستَحكِمَ الحِجّةُ فيه علىمَنْ أضاعَ، وتنقطعَ الشبهةُ فيه عمن غفلَ،ولأجعلَ صاحِبَ ذاكَ رَهنًا بدمِ نفسه إن هو قَصَّرفى صُنعِهِ أو أوقع بغائلةٍ .

الأصمعىّ قال حدّثنى ابراهيمُ بنُ صالح : أنه كان له جَامٌ من حَبِّ رُمَّانٍ مدقوقٍ يَسُفُّ منه بينَ كل لَونَينِملعقةً حتى يعرِفَ آختلافَ الألوانِ .

وفيما أجاز لنا عمُرو بن بَحْرٍ من كتبه قال : كان أبو عبد الرحمن الثَّوْرِىّ(٢) يُقْعِدُ آبنَه معه على خِوَانه يوم الرأس(٣)، ثم يقول: إياكَ ونَهمَ(٤) الصـبيان وأخلاقَ النوائح ، و[دع عنـك] خَبْطَ المَلَّاحِين والفَعَلَةِ(٥)، ونَهْشَ الأعراب والمَهَنَة، وكُلْ من بينِ يديكَ ،فإنّ حظَّكَ الذى وَقَع وصار اليك . وآعلم أنه اذاكان فى الطعام شىء طَرِيفٌ أولُقمةٌ كريمةٌ أو بَضْعة(٦) شَهِيَّةٌ ، فانما ذلك للشـيخ المعظّم والصبىّ المدلَّل، ولستَ

---

(١) دنوا : كلوا مما بين أيديكم وما يليكم وما دنا وقرب منكم . وسمتوا : أمر من التسميت وهو الدعاء بالخير والبركة . (انظر اللسان مادّتى سمت ودنا) . (٢) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص١١٥)؛ وفى العقد الفريد «أبو عثمان الثورى» . (٣) ورد فى كتاب البخلاء : أن أبا عبدالرحمن هـذا كان يعجب بالرءوس و يحمدها و يصفها وكان يسمى الرأس عرسا . فلعل المقصود من قوله «يوم الرأس» ذلك اليوم الذى يجتمع له فيه هـذا النوع من الطعام . (٤) كذا فى العقد الفريد ؛ وفى الأصل «ونهم السلطان» . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١١٧) (٦) البضعة (بفتح الباء وتكسر) : القطعة من اللحم .

واحدا منهما، وأنت قد تأتى الدعوات، وتُجيب الولائم، وتَدخُل منازلَ الإخوانِ، وعَهدُكَ باللحم قريبٌ، وإخوانُك أشدُّ قَرَماً(١) اليه منكَ، وإنما هو رأسٌ واحدٌ، فلا عليك أن تتجافَى عن بعضٍ وتُصيبَ بعضا . وأنا بعدُ(٢) أكرهُ لك الموالاةَ بين اللحم، فإن الله يُبغِضُ أهلَ البيتِ اللَّحِمين(٣) .

وكان يقال : مُدْمِنُ اللحم كمدمِن الخمر .

ورأى رجل رجلا يأكل لحما، فقال : لحمٌ يأكل لحما، أُفٍّ لهذا عملاً ! .

وكان عمرُ يقول : إيّاكم وهذه المجازرَ، فانّ لها ضَراوةً(٤) كضَراوةِ الخمر .

يا بُنيَّ عوِّدْ نفسك الأُثْرَةَ(٥) ومجاهدةَ الهوى والشهوة، ولا تنهَش نهشَ السِّباع، ولا تَخضِم خَضْمَ البراذين، ولا تُدْمِن الأكلَ إدمانَ النِّعاج، ولا تلقَمْ لقمَ الجمال؛ فإن الله تعالى جعلك إنسانا وفضَّلك، فلا تجعل نفسَك بهيمةً ولا سبعا . واحذر سرعةَ الكِظّة(٦) وسَرَف البِطْنة .

قال بعض الحكماء : إذا كنتَ بطينا فعُدَّ نفسك من الزَّمْنى . وقال الأعشى :

... ... والبِطْنَـةُ* ممـا تُسَـفِّهُ الأحلاما(٧)

واعلم أنّ الشِّبَع داعية البَشَم، وأنّ البشم داعية السَّقَم، وأنّ السقم داعية الموت، فمن مات بهذه المِيتة فقد مات مِيتةً لئيمةً، وهو مع هذا قاتلُ نفسِه، وقاتلُ نفسه ألأمُ من قاتِل غيره .

(١) قرم الرجل الى اللحم قرما : اشتدت شهوته اليه . (٢) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١١٧) طبع أوربا، وفى الأصل « بعد » وهو تحريف . (٣) اللحمين : جمع لحم ككتف وهو الأكول للحم القرم اليه . (٤) الضراوة بالشىء : الولع به . (٥) الأثرة (بالضم) : المكرمة لأنها تؤثر أى تذكر ويأثُرها قرن عن قرن . (٦) الكظة : الامتلاء من الطعام .

(٧) هذا بعض بيت أورده اللسان فى مادّة « بطن » والبيت :

يا بنى المنذر بن عبدان والبِطْنة* مما تسـفه الأحلاما

وفى الأصل « والبطنة يوما تسفه الأحلاما » .

يا بنىّ، والله ما أدّى حقّ الركوع والسجود ذو كِظّة، ولا خشع لله ذو بِطْنة، والصومُ مَصَحّة، والوَجَبات(١) عيش الصالحين .

أىْ بنىّ، لأمرٍ مّا طالت أعمار الهند، وصحّت أبدان الأعراب. فلله درُّ الحارث ابن كَلَدة حيث يزعم أنّ الدواء هو الأَزْم(٢)، وأنّ الداء إدخال الطعام إثْرَ الطعام .

أىْ بنىّ، لِمَ صَفَتْ أذهان الأعراب، وصحّتْ أبدان الرُّهبان، مع طول الإقامة فى الصوامع حتى لم تعرف النِّقْرِس(٣) ولا وجع المفاصل ولا الأورام، إلا لقلّة الرُّزْء(٤) وخفّة الزاد . وكيف لا ترغب فى تدبيرٍ يجمع لك صحّة البدن، وذكاءَ الذهن، وصلاحَ المِعى(٥)، وكثرةَ المال، والقُرْبَ من عيش الملائكة !

أى بُنَىّ، لم صار الضبّ أطولَ شىء ذَمَاءً(٦) إلا لأنه يتبلّغ بالنسيم؛ ولِمَ قال(٧) الرسول صلى الله عليه وسلم إنّ الصوم وِجَاء(٨) إلّا ليجعله حِجازا(٩) دون الشهوات. اِفهم تأديب الله، فإنه لم يَقصِد به إلّا الى مثلك .

أى بنىّ، قد بلغتُ تسعين عاما ما نَغَضَ(١٠) لى سنّ، ولا انْتشر لى عصبٌ، ولا عرفتُ ذنين(١١) أنف، ولا سَيَلان عين، ولا سَلَس بول؛ ما لذلك علّةٌ إلّا التخفيف

(١) الوجبات : جمع وجبة وهى الأكلة فى اليوم والليلة . (٢) الأزم : ألا تدخل طعاما على طعام . (٣) النقرس كزبرج : داء يأخذ فى الرجل . (٤) الرزء : ما يصيبه الإنسان من الطعام . (٥) المعى (بالمد والقصر والقصر أشهر) : المصارين . وفى الأصل «المعاد» وهو تحريف . (٦) الذماء : بقية النفس والحركة، والمراد : أطول شىء حياة . وفى العقد الفريد "أطول عمرا" . (٧) كذا بالعقد الفريد . وفى الأصل : «زعم» . (٨) نص الحديث كما فى الجامع الصغير : «عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء» والوجاء، كما فى النهاية لابن الأثير : أن ترض أنثيا الفحل رضا شديدا يذهب شهوة الجماع و يتنزل فى قطعه منزلة الخصى . (٩) حجازا : مانعا وحائلا . وفى العقد الفريد : «حجابا» . (١٠) نغض قلق وتحرك . وانتشر العصب : انتفخ . (١١) كذا فى العقد الفريد، والذنين والذنان : المخاط الرقيق يسيل من الأنف، وفى الأصل : «دنين أذن» .

من الزاد . فإن كنتَ تحبّ الحياة فهـذه سبيل الحيـاة ، و إن كنتَ تريد الموت فلا يُبعد الله إلّا مَنْ ظلم نفسَه .

وقال أبو نَهْشَل[1] : كانت لى ٱبنـة تجلسُ معى على المـائدة فتُبرِز كفًّا كأنهـا طَلْعة ، فى ذراع كأنه جُمَّارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خَصّتنى بها ، فزوّجتُها وصرت أُجلِس معى على المـائدة ٱبنـا لى فيُبرِز كفًّا كأنها كِرْنافة[2] ، فى ذراع كأنه كَرَبة ، فوالله ما إن تسبق عينى الى لُقْمة طيّبة إلّا سبقتْ يدُه اليها .

وقال بعضهم : غلَبتْ بِطْنتى فِطْنتى .

قال عمرو بن العاص لمعاوية يوم تحكّم الحكمان : أكثروا الطعام ، فوالله ما بَطِنَ[3] قومٌ قطّ إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطينا .

وكان يقال : أقلِل طعامًا تَحْمَد مناما .

الأصمعىّ قال : كان يقال : ليس لشبعة خير من جوعة تحفِزها .

دعا عبد الملك بن مروان الى الغداء رجلا فقال : ما فىَّ فضل ؛ فقال عبدالملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يبقى فيه فضل ! فقال : يا أمير المؤمنين ، عندى مستزاد ، ولكن أكره أن أصير الى الحال التى ٱستقبحها أميرُ المؤمنين .

وقال لشيخ : ما أحسن أكلك؟ قال : عملى منـذ ستين سنة .

وقال الحسن : إنّ ٱبن آدم أسير الجوع ، صريع الشبع .

وسأل عبد الملك أبا الزعيرة[4] فقال : هل ٱتّخمتَ قطّ ؟ قال لا ؛ قال : وكيف ذاك؟ قال : لأنا اذا طَبخنا أنضجنا ، و إذا مَضَغنا دقّقنا ، ولا نُكِظّ[5] المعدة ولا نُخْلِيها .

(١) نسب هذه الحكاية ابن خلكان (ج ١ ص ٤٥٦) لأبى الحسن . (٢) الكرنافة : واحدة الكرناف (بالكسر و بضم) وهو أصول الكرب التى تبقى فى جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) البطنة : الكظة وهى امتلاء البطن من الطعام ، ومن أمثالهم : «البطنة تذهب الفطنة» . (٤) كذا فى الأصل . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) «أبا المغور» وقد ورد هذا الاسم فى الطبرى (ص ٧٩١ ، ٨٣٧ من القسم الثانى طبع أوربا) هكذا : « أبا الزعيزعة » وفى ابن الأثير (ج ٤ ص ٢٤٩ طبع أوربا : «أبا الزعيرية» . (٥) كذا فى العقد الفريد ، ولا نكظ المعدة : لا نملؤها . وفى الأصل : «لا نكب» .

وقال الأحنف : جنِّبوا مجلسنا ذكر النســاء والطعام، فإنى أُبغض الرجل أن يكون وصّافا لبطنه وفرجه، وإنّ من المروءة أن يترك الرجلُ الطعامَ وهو يشتهيه .

الأصمعىّ قال: بلغنى أنّ أقواما لبسوا المَطَارِفَ العِتاق، والعمائم الرِّقاق، وأوسعوا دورَهم، وضيّقوا قبورهم، وأسمنوا دوابّهم، وهزّلوا دينهم، طعامُ أحدهم غصب، وخادمه سُخـرة، يتّكئ على شمـاله، ويأكل من غير ماله، حتى اذا أدركته الكِظّة قال : يا جارية هاتى حاطوما [١]، ويلك! وهل تحطِم إلا دينك! أين مساكينُك! أين يتاماك! أين ما أمرك الله به! أين أين ! .

قال بعض الحكماء: مدارُ صلاح الأمور فى أربع: الطعام لا يؤكل إلّا على شَهْوة، والمرأة لا تنظر إلا الى زوجها، والملك لا يُصلحه إلا الطاعة، والرعيّة لا يُصلحها إلا العدل.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أكلَ مِن سَقَط المـائدة عاش فى سَعَةٍ وعُوفِىَ فى ولده وولد ولده من الحُمْق" .

وقيل لأعرابىّ : أتحسِنُ أن تأكلَ الرأس؟ قال: نعم، أَبْخَص [٢] عَينيه، وأسحى [٣] خدّيه، وأفُكّ لَحْيَيه، وأرمِى بالدماغ الى مَنْ هو أحوج منّى اليه . وكانوا يكرَهون أكل الدماغ، ولذلك يقول قائلهم : أنا من قبيلة تُبقِى [٤] المخّ فى الجماجم .

دِعْبِل قال: يابُنَىّ، لا تأكل أَلْيَة الشاة لأنها طَبَقُ الإست وقريبٌ من الجواعر [٥].

قال بعض الشعراء :

اذا لم أرَى إلّا لآكُلَ أكْلَةً * فلا رَفَعَتْ يُمْنَى يدىَّ طعامى

فما أكلةٌ إن نِلتُها بغنيمةٍ * ولا جَوْعةٌ إن جُعتُها بغرامِ

---

(١) الحاطوم: الهاضوم، وهو كل دواء يهضم الطعام . (٢) بخص عينه : أغارها .

(٣) يقال : سحيته أسحاه إذا قشرته . (٤) ومنه قول الشاعر :

ولا يسرق الكلب السروق نعالنا * ولا ننتقى المخ الذى بالجماجم

وفسره صاحب اللسان فقال : إنه يمدح قوما بأنهـم لا يلبسون من النعال الا المدبوغة والكلب لا يأكلها وبأنهم لا يستخرجون ما فى الجماجم لأن العرب تعير بأكل الدماغ كأنه عندهم شَرَهٌ ونَهَم .

(٥) الجواعر : جمع جاعرة وهى الدبر .

عبد الملك بن عُمَير عن عمه عن الأصمعىّ قال : لا تخرج يا بُنَىّ من منزلك حتى تأخذ حِلْمك[1] . يعنى حتى تتغدّى . وقال هلال بن جُشم[2] :

وإنّ قِرابَ البطنِ يكفيك مَلْؤُه * ويكفيك سَوءاتِ الأمور ٱجتنابُها

وقرأت فى الآيين[3] : أن رجلا من خدم دار المملكة أوصى ٱبنه فقال : إذا أكلتَ فضمّ شَفَتيك ، ولا تلتفتنّ يمينا وشمالا . ولا تتّخذنّ خِلالك قَصبا . ولا تَلْقَمنّ بسكّين أبدا ، وإذا كان فى يدك سكّين وأردتَ ٱلتقاما فضَعْها على مائدتك ثم ٱلتقِم . ولا تجلس فوق مَن هو أسنّ منك وأرفعُ منزلة . ولا تَتخَلّل بعود آس . ولا تمسح بثياب بَدَنِك . ولا تُرِق ماء وأنت قائم . ولا تحْفِر أرضا بأظفارك . ولا تجلس على حائط أو باب أو تكتب عليهما فتلُعَن ، ولا تسترح على أُسْكُفّة[4] فتُجَهَّل ، ولا تَستْنْج بمَدَر[5] فيورثك البواسير ، ولا تَمْتَخِط حيث يُسمَع ٱمتخاطك ، ولا تَبصُق فى الأماكن المنظّفة .

وأجلس معاوية[6] على مائدته رجلا يؤاكله ، فأبصر فى لقمته شَعرة ، فقال : خُذ الشعرة من لقمتك ؛ فقال له الرجل : وإنك لتراعينى مُراعاة مَنْ يُبصر الشعرة فى لُقْمتى ! والله لا أكلتُ معك أبدا ! ثم خرج الأعرابىّ وهو يقول :

ولَلْموتُ خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحظُ أطرافَ الأَكِيلِ على عَمْدِ

وكان سعيد بن جُبير إذا فرغ من طعامه قال : اللهمّ أشبعتَ وأَرْويتَ فهَنّئْنا ، وأكثرت وأطبتَ فزِدنا .

---

(١) الحلم : العقل ، وفسر أخذ الحلم بالغذاء لأن الشبع قوام العقل . وفى الأصل : «جلمك بالجيم» .
(٢) تقدّم هذا البيت فى باب القناعة والاستعفاف (ص ١٨٤ من هذا المجلد) ضمن أبيات منسوبة لبشار بن بشر . وفى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٦٦) وكتاب الحيوان له أيضا (ج ١ ص ١٩٣) نسبت هذه الأبيات نفسها الى هلال بن خثعم .
(٣) فى تعليقات كتاب التاج للجاحظ (ص ١٩ طبع بولاق) : الآيين : كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها ، ومعناها القانون والعادة .
(٤) الأسكفة : عتبة الباب .
(٥) المدر : التراب المتلبد .
(٦) كذا فى الأصل وكتاب البخلاء للجاحظ (ص ٧٤) . وفى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : «هشام بن عبد الملك» .

الجـــوع والصـــوم

قِيل لبعض الحكماء : أىُّ الطعامِ أطيبُ ؟ قال : الجوعُ أعلم .

وكان يقال : نِعمَ الإدامُ الجوعُ ، ما ألقيتَ اليه قَبِلَه .

قال لُقمان لابنه : يابنىّ ، كُلْ أطيبَ الطعامِ ، ونَمْ على أوطأ الفِراش . يقول :

٥ أكثِرِ الصيام ، وأطِلْ بالليل القيام .

اِشتاق أعرابىّ بالبصرة الى البادية فقال :

أقول بِالمِصر لمّا ساءنى شبَعى * ألا سبيلَ إلى أرضٍ بها جُوعُ

ألا سبيلَ الى أرضٍ بها عُرُسٌ[١] * جُوعٌ يُصَدِّعُ منه الرأسُ بُرقوعُ[٢]

وقال آخر :

١٠ وعادةُ الجوعِ فاْعلَمْ عِصمةٌ وغِنًى[٣] * وقد يزيدُك جُوعًا عادةُ الشِّبَعِ

العُتبِىّ[٤] قال : قلتُ لرجلٍ من أهل البادية : يا أخى ، إنى لأعجبُ من [أن] فقهاءكم أظرفُ من فقهائنا ، وعَوامّكم أظرفُ من عوامّنا ، ومجانينكم أظرفُ من مجانيننا ، قال : وما تدرِى لِمَ ذاك ؟ قلتُ لا ، قال : [من] الجوع ، ألا ترى أن العُود إنما صفا صوتُه لخلوّ جوفه ! .

١٥ وقيل لبعض حكماء الرُّومِ[٥] : أىُّ وقتٍ الطعامُ فيه أطيبُ وأفضلُ ؟ قال : أمّا لِمَنْ قَدَر فإذا جاع ، وأمّا لِمَنْ لم يَقدِر فإذا وَجَد .

---

(١) كذا بالأصل ، ولعله « غَرَثٌ » (بالغين المعجمة والثاء المثلثة) بمعنى الجوع ليناسب المقام .

(٢) جوع برقوع (بضم الباء وفتحها) : شديد ، ومثل البرقوع البركوع واليَرْقوع (بفتح الباء الموحدة وضمها فى الأوّل وفتح الياء المثناة فى الثانى) والخُنتور والخِنتار . (٣) فى الأصل : « وعنا » .

٢٠ (٤) رويت هـذه الحكاية فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) والزيادات المذكورة هنا عنه .

(٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) « بزرجمهر » وهو من حكماء الفرس .

ونَظَرَ أعرابىٌّ الى قومٍ يلتمسون هلالَ شهر رمضان، فقال : أمَا والله لئن أثرتموه لتُمسِكُنّ منه بذُنَابَى عَيْشٍ أغبر [١] .

وقيل لآخر : ألا تَصومُ البِيضَ من شعبان ! فقـال : بين يديها ثلاثون كأنها القَبَـاطِىّ [٢] .

وقيل لمدنىّ : بم تتسحّر الليلة ؟ فقال : باليأس من فطور القابلة . ٥

الرِّياشىّ قال: قيل لأعرابىّ : اشرب، فقال : إنى لا أشرب على ثَمِيلة [٣] . وقال :

إذا لم يكن قبـل النبيذ ثَرِيدةٌ * مُبَقّـلَةٌ صـفراءُ شَحْمٌ جميعُها

فإنّ نبيذ الصِّرف إن كان وحدَه * على غيرشىءٍ أوجع الكِبْدَ جُوعُها

قدِمَ أعرابىّ على ابن عمٍّ له بالحَضَر، فأدركه شهرُ رمضان، فقيل له : أبا عمرٍو لقد أتاك شهرُ رمضان، قال : وما شهرُ رمضان ؟ قالوا : الإمساك عن الطعام، ١٠ قال : أبالليلِ أم بالنهار ؟ قالوا : لا، بل بالنهار، قال : أَفَيَرْضَوْنَ بدلا من الشهر؟ قالوا : لا، قال : فإن لم أصُمْ فعلوا ماذا؟ قالوا : تُضرَب وتُحبَس، فصام أياما فلم يَصْبِر، فارتحل عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمِّى وقد زُرتُ مِصْرَهم * تهيَّـأ أبا عمـرٍو لشهرِ صيامِ

فقلتُ لهم هاتوا جِرَابى ومِزْوَدِى * سـلامٌ عليكم فاذهبوا بسَـلامِ ١٥

فبادرتُ أرضًـا ليس فيها مُسَيطِرٌ * علىّ ولا مَنّـاعُ أكلِ طعَـامِ

---

(١) قدصححنا هذه الجملة عن الجزء الحادى عشر من كتاب تذكرة ابن حمدون (ص ١٥١) وقد وردت فى الأصل محرّفة هكذا : «لتمكن منه أذناى عيش أغبر» . (٢) القباطىّ : ثياب بيض من كتان كانت تنسج بمصر، شبه بها أيام رمضان . (٣) الثميلة : البقية القليلة من الطعام أو الشراب فى البطن . ٢٠

وأدركَ أعرابيًّا شهر رمضـانَ فلم يَصُمْ ، فعذَلَته آمرأتُه فى الصـوم ، فزجرها وأنشأ يقول :

أتأمُرُنِى بآلصّـوم لا درَّ درُّها * وفى القبرِ صـومٌ يا أُمَيمَ طوِيلُ

دعا عبدُ الله بنُ الزبير الحسينَ لخضر وأصحابَه ، فأكلُوا ولم يأكُلْ ، فقيـلَ له : ألا تأكُلُ ! فقال : إنّى صَائمٌ ، ولكن تُحفةَ الصائمِ ، قيل : وما هى ؟ قال : الدُّهنُ والمِجْمَـر .

أخبـارٌ من أخبـار الأَكَلَة

الأصمعىّ قال : قال رجلٌ : أُحِبُّ أن أُرزَقَ ضِرْسًا طَحُونًا ، ومَعِدَةً هَضُومًا ، وسُرْمًا نَثُورًا[1] .

عن إسحاق بن عبد الله قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يقول : رأيتُ عمـرَ يُلْقَى اليه الصاعُ من التمر فيأكلُه حتى حَشَفه .

وقال بعضُ الشعراء :

هَمُّ الكريم كريمُ الفعلِ يَفْعَلُه * وهمُّ سـعدٍ بمـا يُلقِى الى المَعِدَهْ

وقيل لرجل رُئِى سمينا : ما أسمنك؟ قال : أكلِى الحارَّ، وشربى القارّ، وآتكائى[2] على شِمَالِى ، وأكْلِى من غيرمالِى .

وقيـل لآخرَ : ما أسمنك ؟ قال : قِلَّةُ الفِكْرةِ ، وطُولُ الدَّعَةِ ، والنَّـومُ على الكِظَّةِ[3] .

---

(١) كذا فى اللسان مادة (سرم) ، والسرم النثور : الكثير القذف للثفل من المعى . وفى الأصل : "وسرما مشاقا" . (٢) فى الأصل «وآتكالى» باللام . (٣) الكظة : شىء يعترى الانسان عند الامتلاء من الطعام .

قال الحجّاجُ للغضبان بن القَبَعْثَرَى فى حبسه : ما أسمنك ؟ قال : القيدُ والدَّعةُ، ومَنْ كان فى ضيافةِ الأميرِ فقد سَمِنَ .

وقال آخرُ لرجل رآه سمينا : أرَى عليكَ قَطيفةً من نَسْجِ أضراسِك .

وقيل لآخرَ : إنك لَحَسَنُ الشَّحْمَةِ لَيِّنُ البَشَرة، فقال : آكُلُ لُبَابَ البُرِّ بصِغارِ المَعْزِ، وأدَّهِنُ بدُهنِ البَنَفْسَجِ، وألبَسُ الكَتَّانَ .

قيل لمَيْسَرةَ الأكُولِ وأنا أسمعُ : كم تأكُلُ فى كلِّ يومٍ ؟ قال : مِن مَالى أو مِنْ مال غيرى؟ قالوا : مِن مالك، قال : دُونان[1]، قالوا : فمن مال غيرك؟ قال : اخْبِزْ واطْرَحْ .

والعرب تقول : «العاشِيةُ تَهِيجُ الآبِيَةَ[2]» . يريدون أنّ الذى لا يَشتَهِى أن يأكلَ، اذا نظر الى مَن يأكلُ هاجه ذلك على الأكل .

قال جريرٌ :

وبنــو الهُجَيمِ[3] سَخِيفةٌ أحلامُهم * ثُطُّ[4] اللِّحَى مُتَشابِهــو الألوانِ

لو يَســمَعُونَ بأكْلَةٍ أو شَرْبَةٍ * بعُمانَ أصبح جمعُهــم بعُمَانِ

متأبِّطين[5] بَنِيهِــمُ وبنَاتِهــم * صُعْرُ[6] الأنوفِ لرِيحِ كلِّ دُخَانِ

(١) دونان : كلمة فارسية ومعناها رغيفان . وفى العقد الفريد : «مكوك» والمكوك : مكيال ذكرت فى مقداره عدّة أقوال . (٢) العاشية : التى ترعى بالعشىّ من المواشى وغيرها . والآبية : التى لاتريد العشاء . أى اذا رأت الآبية الإبل العواشى تبعتها فرعت معها . (٣) فى الأصل : «وبنــو الهجين» بالنون وهو تحريف، والتصويب من القــاموس وديوان جرير (النســخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١ أدب ش) . وروى هذا الشطر فى الديوان هكذا :

* إن الهجيم قبيلة مخسوسة *

(٤) ثط : جمع أثط، والأثط : قليل شعر اللحية . (٥) فى الديوان : «متوركين» . (٦) كذا فى الديوان، وصعر الأنوف : ميلها، من الصعر وهو الميل . وفى الأصل : «صعب الأنوف» وهو تحريف .

قعَـد رجلٌ على مائدة المُغيرة ، وكان منهُومًا ، وجعـل ينهَشُ ويتعرّقُ ، فقال المغيرةُ : ناوِلُوه سِكّينًا ، فقال الرجل : كلُّ آمرئٍ سِكّينُهُ فى رأسِه .

وقيل لأعرابىّ : مالكم تأكلون اللحم وتَدَعون الثريد؟ فقال : لأن اللحم ظَاعِنٌ والثريدَ باقٍ .

٥ وقيل لآخر : ما تُسَمُّونَ المرَق ؟ قال : السَّخِينَ ، قال : فإذا بَرَد ؟ قال : لا نَدَعُه يبرُد .

قال أبو اليَقْظَانِ : كان هـلالُ بنُ أسـعرَ التَّميمىّ ، من بنى دارِم بن مازنٍ ، شديدا أكُولًا ، يزعمون أنه أكَل جمـلا إلا ما حمَل على ظهره منـه . وأكلَ مرّةً فَصيلًا ، وأكلَت آمرأتُه فصيلا ، فلما ضاجعَها لم يَصِل اليها ، فقالتْ : كيف تَصِلُ ١٠ إلىّ وبينَنا بَعيرانِ ! .

الأصمعىّ قال : دعا عَبّادُ بنُ أخضر هلالَ بن أسعرَ إلى وليمةٍ ، فأكل مع الناس حتى فرَغوا ، ثم أكَل ثلاثَ جِفانٍ تُصـنَعُ كلُّ جَفنـةٍ لعشرةِ أنفسٍ ، فقال له : أشبِعْتَ ؟ قال لا ، فأتَوْه بكل خبزٍ فى البيت فلم يَشبَعْ ، فبعثُـوا الى الجيرانِ ، فلمّا آختلفَتْ ألوانُ الخبزِ علم أنه قد أضَرَّ بهم فأمسكَ ، فقالوا : هل لكَ فى تمر شِهرِيزٍ (١) ١٥ ولبنٍ ؟ فأتَوْه به فأكلَ منه قَواصِرَ (٢) ، فقالوا له : أشبِعتَ ؟ قال : لا ، قالوا : فهل لك فى السَّوِيقِ ؟ قال : نعم ، فأتَوْه بجرابٍ ضَخْمٍ مملوءٍ ، فقال : هل عندكم نبيذٌ ؟ قالوا : نعم ، قال : أعنـدكم تَوْرٌ (٣) تَغتَسِلُونَ فيه من الجنابةِ ؟ فأُتِىَ به فغسَلَه وصبَّ السَّوِيقَ فيـه وصبّ عليه النبيذَ ، فما زال يفعل ذلك حتى فَنِىَ .

(١) الشهريز (بكسر الشين المعجمة وقد تضم و بالسين المهملة أيضا) : ضرب من التمر ، وفيه وجهان ٢٠ الاتباع والاضافة . (٢) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) : وعاء للتمر من قصب . (٣) التور : إناء من نحاس أو حجر .

الشَّمَرْدَلُ وكيل آل عمرو بن العاص قال : قدم سليمانُ بن عبد الملك الطائفَ وقد عُرِفَتْ شجاعتُه[1]، فدخل هو وعمرُ بن عبد العزيز [وأيوبُ ابنه[2] بستانًا لعمرٍو، قال : فجال فى البستان ساعةً ثم قال] : ناهيك بمالِكم هذا [مالًا[2]] لولا جِرارٌ فيه! فقلت : يا أميرَ المؤمنين، إنها ليستْ بجرارٍ ولكنها جُرُبُ الزّبيبِ، فجاء حتى ألقى صدره على غُصن، ثم قال : ويلكَ يا شمردلُ! أمَا عندك شىء تُطعِمُنى؟ قلت : بلى والله! إن عندى لجَدْيًا تغدُو عليه بقرةٌ وتروحُ أخرى، قال : ٱعْجَلْ به، فأتيتُه به كأنه عُكّةٌ[3]، وتشمّر فأكل ولم يَدْعُ ٱبنَه ولا عمرَ حتى أبقى فَخِذًا . فقال : يا أبا حفصٍ هَلُمَّ، قال : إنّى صائمٌ، ثم قال : ويلكَ ياشَمَرْدَلُ ! أمَا عندك شىء ؟ فقلت : بلى والله ! دَجاجاتٌ سِتٌ كأنهنّ رِئلانُ[4] النّعام، فأتيته بهنّ، فكان يأخذ رِجلَ الدجاجةِ حتى يُعرِى عظمَها ثم يُلقيها [بفيهِ[2]] حتى أتى عليهنّ . ثم قال : ويلك ! أمَا عندك شىء؟ فقلت : بلى والله! إن عندى لحَريرةً[5] كقُراضَةِ الذّهب، فقال : ٱعْجَلْ بها، فأتيتُه بعسٍّ[6] يَغيبُ فيه الرأسُ، فجعل يتلقّمُها[7] بيده ويشربُ، فلما فرغ تجشّأ كأنه صاحَ فى جُبٍّ، ثم قال : ياغلامُ، أفرَغْتَ من غَدائنا؟ قال : نعم، قال : وما هو؟ قال : نيِّفٌ وثمانونَ قِدرًا، قال : فأْتِنى بها قِدرًا قِدرًا، فأتاه بها وبقِناعٍ[8] عليه

---

(١) كذا بالأصل ، وسياق الكلام يأباها ، ولعلها محرفة عن كلمة تدل على معنى الجشع والنهم .
(٢) التكملة من العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) . (٣) العكة : وعاء السمن وهى أصغر من القربة . (٤) الرئلان : أولاد النعام، واحدها رأل . (٥) كذا فى العقد الفريد ، والحريرة : ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بلبن أو دسم ، وفى الأصل «لنبيذة» . وفى المستطرف ونهاية الأرب (ج ٣ : ص ٣٥٣) « سويق » . (٦) العس (بالضم) : القدح الكبير .
(٧) يتلقمها من تلقم الشىء : أكله بسرعة . وفى العقد الفريد : « يقلعها بيده » . وفى الأصل : « يتلكمه » واللكم فى كتب اللغة : الضرب باليد مجموعة ، ولعل ما أثبتناه أنسب بالمقام . (٨) القناع (بالكسر) : إناء من عُسُب النخل يوضع فيه الطعام .

رُقَاقٌ ، فأكثرُ ما أكل من قدرٍ ثلاثُ لُقَمٍ وأقلُّ ما أكل لُقمةٌ ، ثم مسح يده وآستلقى على فِراشه ، وأَذِن للناس ووُضِعت الخِواناتُ[1] فجعل يأكلُ مع الناس .

الخَطَّابىّ عن الدَّيْرانىّ أنه قال : إنى لأعرِفُ الطعامَ الذى يأكلُه سُليمانُ ؛ قال : لما آستُخلِفَ سُليمانُ قال لى : لا تَقْطَعْ عنّى ألطافَكَ التى كنتَ تُلطفنى بها قبل أن
٥ أَستَخْلَف ؛ فأتيته بزَنبيلَينِ أحدُهما بيضٌ والآخرُ تِينٌ ؛ فقال : لَقِّمْنيه ؛ فجعلت أقشِرُ البيضةَ وأقرِنُها بالتينةِ حتى أكلَ الزَّنبيلَينِ .

العُتْبِىّ عن أبيه قال : كان عُبيد الله بن زِياد يأكل كلّ يومٍ أربعَ جَرادِقَ[2] أصبهانية وجُبْنًا قبل غَدائه .

وعن سَلْم بن قُتَيبة قال : عَدَدْتُ للحجاج أربعًا وثمانين لُقْمةً فى كلّ لُقْمةٍ
١٠ رغيفٌ من خبزِ الماءِ فيه مِلْءُ كفّه سمكٌ طرِىٌّ[3] .

وكان لعبد الرحمن بن أبى بَكْرة آبنٌ أكولٌ ؛ فقال له [معاوية][4] : ما فعل آبنك التِّلْقامةُ[5]؟ قال : آعتلّ ؛ قال : مثلُه لا يَعدَم عِلّةً .

أكل أبو الأسود الدؤلىّ وأقعد معه أعرابيًّا فرأى له لَقمًا مُنكَرًا ؛ فقال له : ما آسمُكَ؟ قال : لُقمانُ ؛ قال : صدق أهلُكَ ، إنك لُقمانُ .

١٥ وُلِدَ لآبن أبى ليلى غلامٌ فعَمِلَ الأخبِصَةَ للجيرانِ ، فلما أكلوا قام مُساوِرٌ الورّاقُ فقال :

مَنْ لا يُدَسِّمْ بالثريد سِبالَنا[6] * بعد الثَّريد فلا هَناهُ الفارِسُ

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٢) . وفى الأصل : « فوضعت الخوان » .
(٢) الجرادق جمع جردق ، والجردق والجردقة (بالدال المهملة) والجرذق (بالذال المعجمة) : الرغيف فارسية معربة . (٣) كذا بالأصل . (٤) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ١٦٥
٢٠ طبع أوربا) وقد ذكرت فيه هذه الحكاية بأوضح مما فى الأصل فراجعه . (٥) التلقامة : العظيم اللقم .
(٦) والسبال : جمع سبلة وهى مجتمع الشاربين ومقدم اللحية .

وقال العُجَيْفُ[١] فى أُمّه :

يا ليتما أُمُّنا شالت نعامتُها * إمّا[٢] الى جنّـة إمّا الى نار

ليستْ بشَبْعى وإن أسكنتها هَجَرا[٣] * ولا بِرَيّا ولو حلّتْ بذى قار[٤]

تلهّم الوَسْق مشدودًا أشِظّته[٥] * كأنّما وجهها قد طُلِىَ[٦] بالقار

٥ خرقاءُ فى الخير لا تُهدَى لوجهته * وهى صَنَاعُ[٧] الأذى فى الأهل والجار

رأى أبو الحارث جُمّيز سَلّة بين يدىْ رجلٍ من الملوك، فقال له : جُعلتُ فداك، أىّ شىء فى تلك السّلّة؟ فقال : بَظْرُ أُمّك، قال : فأعِضّنى به .

قيل للحارثىّ : لم لا تؤاكل الناس ؟ فقال : لو لم أترك مؤاكلتهم إلا لِنَزُوعِى عن الأسوارىّ[٨] لتركتُها، ما ظَنّكم برجل نَهش بَضْعة لحم بقرٍ فانقلع[٩] ضرسُه وهو لا يدرى .

١٠ وكان اذا أكل ذهب عقلُه وجَحظتْ[١٠] عيناه وسَكِر وسَدِر[١١] وتربّد[١٢] وجهُه وغضب ولم يَسْمعْ ولم يُبصِرْ، فلما رأيتُه وما يعتريه ويعترى الطعامَ منه صرتُ لا آذنُ له إلا ونحن نأكل الجوزَ والتمرَ والباقِلّى ؛ ولم يَفجأنى قطّ وأنا آكلُ تمرًا الا استفّه سفًّا وزدا[١٣] به

(١) نسب هذا الشعر فى شرح ديوان الحماسة (طبعة أوربا ص ٨١٠) الى شخص اسمه «سعد» . ونسب فى شرح شواهد المغنى (٦٧ طبعة مصر) الى من اسمه سعد بن قرين سيار ويلقب بالنحيت الحدرى .

١٥ (٢) فى ديوان الحماسة واللسان والمغنى : «أيْمَا الى جنة أيما الى نار» . (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بكثرة التمر . (٤) ذوقار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة .

(٥) كذا فى الحماسة، والأشظة : جمع شظاظ وهو خشبة عقفاء تدخل فى عروة الجوالق . وفى الأصل «أسربه» وهو تحريف . (٦) كذا فى ديوان الحماسة، وفى الأصل «مطلو بالقار» .

(٧) كذا فى شرح شواهد المغنى (ص ٦٧ طبع مصر)، وفى الأصل : «وفى اصطناع الأذى» . وهو تحريف .

٢٠ (٨) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٢ طبعة أوربا) : « ... ... لو لم أترك مؤاكلة الناس وإطعامهم الا لسوء رعة على الأسوارى لتركته، وما ظنكم ... الخ ... » . ولعل الصواب : الا لشره على الأسوارى أو نحو ذلك . وفى الأصل هنا : « إلا لنزوعى عن الأسواق »، والظاهر أن كلمة « الأسواق » هنا محرفة عن « الأسوارى » وهو الشخص الذى يتحدث عنه فى هذا الحديث .

(٩) فى كتاب البخلاء : « فنهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه » . (١٠) جحظت عينه : عظمت مقلتها ونتأت .

٢٥ (١١) سدر الرجل : تحير . (١٢) تربد وجهه : تغير .

(١٣) زدا به : رمى به . وفى كتاب البخلاء « وذرا به ذروا » .

زَدْوًا، ولا وجده كَنيزا إلا وتناوَلَ القِطعةَ منه بِجُمْجُمَةِ الثَّور (١) كَدْمها كَدْما (٢)، ونهشها طُولا وعرضًا، ورفعًا وخفضًا، حتى يأتى عليها؛ ثم لا يقعُ عَضُّه إلا على الأنصافِ والأثلاثِ؛ ولا رمى بنَواةٍ قطّ، ولا نزع قِمعًا (٣)، ولا نفى عنه قِشرًا، ولا فتّشه مخافةَ السوس والدود .

٥ وقال بعض الشعراء :

تَبِيتُ تُدَهْدِه (٤) القِرّانَ (٥) حَوْلى * كأنك عنـد رأسى عُقْرُبانُ
فلو أطعَمتَنى حَمَلًا سمينًا * شكرتُك والطعامُ له مكانُ

وقال بعض الأعراب :

وإنّ طعامًا ضمّ كفّى وكفَّها * لعمرُكَ عندى فى الحياةِ مبارَكُ
١٠ فمن أجلها أستوعبُ الزادَ كلَّه * ومن أجلها أهوِى يدى فأدارِكُ

وقال آخر :

عريضُ البِطان (٦) جديد الخوان * قـريب المَراث (٧) من المـرتع
فنِصفُ النهار لِكِرْياسِه (٨) * ونِصفٌ لمـأكله أجمـع

الأصمعىّ قال : قيل لأعرابىّ : ما يُعجبك من هذا القِنْد (٩) ؟ قال : يُعجبنى ١٥ خَضْدُه وبَرْدُه . قال الأصمعىّ : الخضد : المضغ والأكل الشديد .

---

(١) الكنيز : التمر يجعل فى قواصر للشتاء . (٢) كدمه كدما : عضه بأدنى فيه . (٣) القمع (بكسر ففتح وبالكسر) : ما التصق بأسفل التمرة ونحوها حول علاقتها . (٤) تدهده : تدحرج . (٥) القرّان (كشدّاد) : القارورة . (٦) كذا فى البيان والتبيين، وأصل البطان : حزام القتب الذى يجعل تحت بطن الدابة ، ولعله يريد به كبر بطنه ؛ وفى الأصل : « الخوان » .
٢٠ (٧) المراث بفتح الميم : مكان الروث . (٨) كذا فى البيان والتبيين . وفى الأصل « بتر ياسه » وهو تحريف ، والكرياس : الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقناة الى الأرض . (٩) القند : عسل قصب السكر اذا جمد . وقد ورد فى اللسان : « قيل لأعرابىّ – وكان معجبا بالقناء – : ما يعجبك منه ؟ قال : خضده » .

قال خالد بن صفوان يوما لجاريته : يا جارية ، أطعمينا جبنا ، فإنه يُشهّى الطعامَ ويَهيج المعدة ، وهو يُعدّ من حمض العرب . قالت : ما عندنا منه شىء . قال : لأُعلمك إنه والله ، ما علمتُ ، ليَقْدَح فى الأسنان ويستولى على البطن ، وأنه من طعام أهل الذمّة .

٥ كان يقال : اذا كثُرت المِقْدرة ، ذهبت الشهوة .

وقال بعض الظرفاء :

زرعنا فلما سلّم اللهُ زرعَنا * وأوفى عليه مِنجلٌ بحَصادِ

بُلينا بكوفىّ حليفِ مجاعةٍ * أضرّ علينا من دَبًى(١) وجرادِ

عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "مَنْ دَخَل على غير دَعوة دخل سارقا وخرج مُغيرا ، ومن لم يُجب الدَّعوةَ فقد عصى الله ورسولَه" . ١٠

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا دُعى أحدُكم فجاءَ مع الرسولِ فإنّ ذلك له إذنٌ" . وعن مجاهد : أن ابن عمر كان اذا دُعى الى طعام وهو صائم يجيب ، وكان يهيئ اللقمة بيده ثم يقول : كلوا باسم الله فإنى صائم . وعن أسماء بنت رُفَيد قالت : دخلنا على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأُتى بطعام فعرَض علينا فقلنا : لا نشتهيه ، فقال : "لا تجمعُنّ كذِبًا وجوعًا" . ١٥

دعا رجل علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه الى طعام ، فقال : نأتيك على ألّا نتكلّف ما ليس عندك ، ولا تدّخر عنا ما عندك .

وكان يقول : شرّ الإخوان مَنْ تُكُلِّف له .

دعا رجل رجلا الى الغداء ثم قال له : هذه بِكرُ زيارة ولم نستعدد ، فلعل تقصيرا فيما أُحبّ بلوغَه ، فقال الآخر : حرصُك على كرامتى يكفيك مؤونةَ التكلّف . ٢٠

(١) الدبى : الجراد قبل أن يطير .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : أتانى الزبيرُ بن دَحْمانَ(١) يوما فسألته أن يقيم عندى، فقال : قد أرسل إلىّ الفضل بن الربيع وليس يمكننى التخلُّف عنه ؛ فقلت له :

أقم يا أبا العوّام ويحك نشربِ * ونَلْهُ مع اللاهين يومًا ونَطربِ
إذا ما رأيتَ اليوم قد جاء خيرُه * فخذه بشكرٍ واتْرُكِ الفضلَ يَغضبِ

٥

وقال بعض المحدَثين :

نحن قوم متى دُعِينا أجَبْنا * ومتى نُنْسَ يَدْعُنا التطفيل
ونَقُلْ علّنا دُعِينا فغِبْنا * وأتانا فلم يجدنا الرسول

كان طُفَيْلُ العرائس الذى يُنسب اليه الطُّفَيليُّون يُوصى أصحابَه فيقول لأحدهم :
إذا دخلتَ عُرسا فلا تتلفَّتْ تلفُّتَ المُرِيب، وتخيّرِ المجالس، وأجِدْ ثيابك، واعمل على أنها العقدة التى تَشغَل . وإن [كان](٢) العرس كثير الزحام فمُرْ وانْهَ . ولا تنظر فى عيون أهل المرأة ولا عيون أهل الرجل، فيظن هؤلاء أنك من هؤلاء وهؤلاء أنك من هؤلاء . وإن كان البوّاب غليظا وَقاحًا فابدأ به ومُرْه وانْهَه من غير أن تُعنِّف عليه، وعليك بكلامٍ بين النصيحة والإدلال .

١٠

عرض رجل على رقبة الغداء، فقال : إن أقسمتَ علىّ وإلّا فدعنى .

١٥

ومن أشعار الطُّفَيليِّين :

دعوتُ نفسى حين لم تدعُنى * فالحمدُ لى لا لكَ فى الدّعوهْ
وقلتُ ذا أحسنُ من مَوعِدٍ * إخلافُه(٣) يدعو إلى جَفْوهْ

(١) كذا فى الأغانى (ج ٥ ص ٧٨ طبع بولاق)، وفى الأصل : "يزيد بن دحمان" وهو تحريف . (٢) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٧) . (٣) كذا فى نهاية الأرب . وفى العقد الفريد : « مخلفه » . وفى الأصل : « أخلفه » .

٢٠

وقال آخر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضيفنٌ(١) * فأودى بما تُقْرى الضيوفُ الضّيافِنُ

وقال إسحاق(٢) بن إبراهيم الموصلىّ :

نعم الصديقُ صديقٌ(٣) لا يكلّفنى * ذبحَ الدَّجاج ولا شَىَّ الفَراريجِ

يرضى بلونينْ من كَشْك ومن عدس * وإن تشهّى فزيتونٌ بطَسُّوج(٤) ٥

كان سعيد بن أسعد الأنصاري إمام الجامع بالبصرة طفيليّاً؛ فإذا كانت وليمةٌ سبق الناسَ اليها، فربما بسَط معهم البُسُطَ وخدم . فقيل له فى ذلك فقال : إنى أُبادر بردَ الماء، وصفوَ القدور، ونَشاطَ الخبّاز، وخلاءَ المكان، وغفلةَ الذِّبّان، وجفافَ المنديل .

وقيل لبعض الطفيليّين : كم آثنان فى آثنين قال : أربعة أرغفةٍ . ١٠

باب الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام

عن المِقدام(٥) أبي كريمة أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أيُّما مسلم ضَافه قومٌ(٦) فأصبحَ الضيفُ محروما كان له على كلّ مسلم نَصرُه حتى يأخذَ بِقرى ليلته من زرعِه ومالِه" .

(١) الضيفن : الطفيلىّ . (٢) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٤١) : «وقال ابراهيم الموصلىّ فى طفيلىّ كان يصحبه» . (٣) فى العقد الفريد : «نعم النديم نديم الخ» . (٤) الطسوج : مقدار من الوزن مقداره حبتان من الدانق، والدانق أربعة طساسيج . وأراد بالطسوج والدانق نسبتهما من الدرهم لا من الدينار لأن الدرهم ستة دوانيق وثمان وأربعون حبة فيكون طسوج الدرهم حبتين ودانقه ثمان حبات (راجع شرح القاموس) . (٥) هو المقدام بن معديكرب وكنيته أبو كريمة . وفى الأصل : «المقدام بن أبى كريمة» وهو خطأ . (٦) رواية الجامع الصغير : "أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم الخ" . ١٥ ٢٠

روى ٱبنُ العَجْلانِ[١] عن أبيه قال : قال أبو هريرة : إذا نَزلْتَ برجل ولم يَقْرِكَ فقاتِلْه . عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الخيرُ[٢] أسرعُ الى مُطعِمِ[٣] الطّعام من الشَّفْرةِ[٤] فى سَنام البعير" .

داود قال : قلت للحسن : إنك تُنفِق من هذه الأطعمة وتُكثِر، قال : ليس فى الطعام سَرَفٌ .وقال الثورىّ : ليس فى الطعام ولا فى النساء سرفٌ . ٥

عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنّ مِنَ السُّـنّةِ أن يَمشِيَ الرجلُ مع ضَيفِهِ الى باب الدارِ" .

عن عبد الرحمن بن عباس قال : رأيت ٱبن عباس فى وليمة فأكل وألقى للخبّاز درهمـا .

١٠ الأصمعىّ قال: سُئل أَقرَى أهل اليمامةِ للضيف : كيف ضبطتم القِرَى؟ قال : بأنا لا نتكلّفُ ما ليس عندنا .

عن بعض النُّسّـاك قال : قد أعيانى أن أنزِلَ على رجل يَعلمُ أنى لستُ آكل من رزقه شيئا .

---

(١) فى الأصل : « رؤبة بن العجاج » وهو تحريف، اذ أن هذا العلم لم يرد إلا ضمن الشعراء ولم ١٥ توجد له مناسبة بين رواة الحديث .ولعل ما أثبتناه أنسب، لأنه ورد فى تهذيب التهذيب : أن العجلان روى عنـه ٱبنه وروى هو عن أبى هريرة . (٢) كذا فى الجامع الصغير والإنافة فيما جاء فى الصدقة والضيافة لابن حجر الهيتمى . وفى الأصل : «انحر واسرع» وهو تحريف .

(٣) فى الجامع الصغير : «الى البيت الذى يغشى» وفى الانافة : «الى البيت الذى يؤكل فيه» .

(٤) فى الأصل : « السفرة » بالسين المهملة وما أثبتناه عن الجامع الصـغير . والشفرة (بالفتح) : ٢٠ السكين العظيمة العريضة .

عن عَوْن بن عبد الله قال : ضلّ رجلٌ صائمٌ فى عام سنةٍ ، فٱبتُلِىَ برجل عند فطره وقد أُتى بقُرصين فألقى اليه أحدَهما ، ثم قال : ما هذا بمُشبِعه ولا بمُشبِعى ، ولأن يشبَع واحد خير من أن يجوع ٱثنان ، وألقى اليه الآخر. فلما أَوَى الى فراشه أتاه آتٍ فقال : سَلْ ؛ فقال : أسأل المغفرة ؛ قال : قد فُعِل ذلك بك ؛ قال : فإنى أسأل أن يُغَاثَ الناسُ . ٥

عن الحسن : أنّ رجلا جَهَده الجوعُ ، ففطِنَ له رجلٌ من الأعيان ، فلمّا أمسى أتى به رحْلَه[٢] ، فقال لامرأته : هل لكِ أن نَطوِىَ ليلتَنا هذه لضيفنا ؟ قالت : نعم قال : فإذا قدّمتِ الطعام فادْنِى الى السراج كأنك تُصلحينه فأطفئيه ، ففعلتْ وجاءتْ بثريدة كأنها قَطَاة فوضعتْها بين أيديهما ، ثم دَنَتْ الى السراج كأنّها تُصلحه فأطفأته ، فجعل الأنصارىّ يضع يده فى القَصْعة ثم يرفعها خالية ؛ فأُطلِع على ذلك رسولُ الله ١٠ صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أصبح الأنصارىّ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ، فلما سلّم أقبل على الأنصارىّ وقال : "أنت صاحبُ الكلام الليلة" ؛ ففزع الأنصارىّ وقال : أىّ كلامٍ يا رسول الله؟ قال : كذا وكذا : قوله لامرأته ؛ قال : كان ذاك يا رسول الله ؛ قال : "فوالله لقد عجِب اللهُ من صُنعِكما الليلة" .

الأصمعىّ قال : كان عمر بن عبد العزيز اذا قدِم عليه بَرِيدٌ قال : هل رأيت ١٥ فى الناس العُرُسَات؟ يعنى الخِصبَ للمسلمين .

وقيل لأعرابىّ كان فى مجلسٍ : فيم كنتم؟ قال : كنّا فى قِدْر تفور ، وكأسٍ تدور ، وغِناء يصور[٣] ، وحديث لا يخور[٤] .

(١) فى الأصل : «صاىما» . (٢) رحله : منزله . (٣) يصور : يصوّت .

(٤) لا يخور : لا يضعف . ٢٠

بلغنى أن محمد [بن خالد] (١) بن يزيد بن معاوية كان نازلا بحَلَب على الهَيْثَم بن يزيد التَّنُوخىّ (٢)، فبعث الى ضيف له من عُذْرة فقال: حَدِّثْ أبا عبد الله ما رأيتَ فى حاضرة المسلمين من أعاجيب الأعراس؛ قال: نعم، رأيتُ أمورا مُعْجِبة: منها أنى رأيت قرية عاصم (٣) ابن بكر الهلالىّ، فإذا أنا بُدورٍ متباينة، واذا أخصاصٌ مُنظَّمٌ بعضها الى بعض، واذا بها ناس كثيرٌ مُقبِلون ومُدبِرون وعليهم ثياب حَكَوْا بها ألوانَ الزَّهْر، فقلت لنفسى: هذا أحد العيدين الأضحى أو الفِطر، ثم رجع إلىّ ما عَزَب عنّى من عقلى، فقلت: خرجت من أهلى فى عَقِبِ صَفر (٤) وقد مضى العيدان قبل ذلك؛ فبينما أنا واقفٌ ومُتعجِّب أتانى رجل فأخذ بيدى [فأَدخَلَنى دارا قَوْراء] (٥) وأدخلنى بيتا قد نُجِّدَ فى وجهه فُرُش قد مُهِّدت وعليها شابّ ينال فروعُ شعره كَتِفَيْه، والنـاس حوله سِمَاطانِ (٦)؛ فقلت فى نفسى: هذا الأمير الذى يُحكى لنا جلوسُه وجلوس الناس حولَه، فقلت وأنا ماثلٌ بين يديه: السلام عليـك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته؛ فجَـذَب رجلٌ بيدى وقال: آجلس فإن هذا ليس بالأمير؛ فقلت: ومن هو؟ قال: عَرُوس؛ قلت: وَاثُكْلَ أُمّاه! رُبّ عروسٍ رأيتُ بالبـادية أهونُ على أصحابه من هَنِ أمِّـه؛ فلم ألبَثْ إذ دخلت الرجالُ عليها هَنَاتٌ مدوَّراتٌ من خشب وقُضْبان، أمّا ما خَفَّ فيُحْمَلُ حملا، وأمّا ما ثَقُـل فيُدَحْرَج، فوُضِعتْ أمامنا وتحلّق القوم حلَقا حلَقا، ثم أُتِينـا بخِرَقٍ بِيضٍ

(١) التكملة عن كتاب الأغانى (ج ١٢ ص ٣٥ طبع بولاق)، وقد ورد فيه هذا الخبر بتوسع عما هنا وذكر اسم الأعرابى الذى رواه وأفرد له ترجمة خاصة، وهو ناهض بن ثومة بن نصيح وكان شاعرا بدويا فصيحا من شعراء الدولة العباسية. وذكر أنه كان بدويا جافيا كأنه من الوحش طيب الحديث، يقدم البصرة فيكتب عنـه شعره وتؤخذ عنـه اللغة، روى عنه الرياشىّ وأبو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة. وقد وردت فى الأصل كلمات محرفة صححناها عن الأغانى ونبهنا عليها فى مواضعها. (٢) فى الأغانى: «النخعى». وفى العقد الفريد: «الهيثم بن عدى». (٣) فى الأغانى: «فررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عبد الله الهلالىّ». وفى العقد الفريد: «قرية بكر بن عاصم الهلالى». (٤) فى الأغانى: «خرجت من أهلى فى بادية البصرة فى صفر». (٥) الزيادة عن الأغانى. وقوراء: واسعة. (٦) سماطان: صفان.

فأُلقيتْ بين أيدينا، فظننتها ثيابا (١) وهممت عندها أن أسأل القوم خِرقًا أقطعُ منها قميصا، وذلك أنى رأيت نَسْجًا مُتلاحِكا (٢) لا تبين له سَدًى ولا لُحْمَة، فلما بسَط القومُ أيديهم إذا هو يتمزّق سريعًا وإذا هو [فيما زعموا] (٣) صِنفٌ من الخبز لا أعرفه. ثم أُتينا بطعامٍ كثيرٍ من حلوٍ وحامضٍ وحارٍّ وبارد، فأكثرتُ منه وأنا لا أعرف ما فى عَقبه من التُّخَم والبَشَم. ثم أُتينا بشرابٍ أحمر فى عِسَاس (٤)، فلما نظرت اليه قلت: لا حاجة لى فيه، أخاف أن يقتلنى. وكان فى جانبى رجلٌ ناصحٌ لى — أحسن الله جزاءَه — كان ينصح لى من بين أهل المجلس، فقال: يا أعرابىّ، إنك قد أكثرتَ من الطَّعام، وإن شربتَ الماء انتفخ بطنُك — فلما ذكر البطن تذكرتُ شيئا كان أوصانى به [أبى و] (٣) الأشياخ [من أهلى] (٣): قالوا: لا تزال حيًّا ما دام شديدا (يعنى البطن) فإذا اختلف فاوِص — فلم أزل أتداوَى به ولا أَمَلُّ من شربه، فتداخلنى — نالك الخير — صَلَفٌ (٥) لا أعرفه [من نفسى]، وبكاء لا أعرف سببه ولا عهدَ لى بمثله، واقتدارٌ على أمرٍ أظن معه أنى لو أردت نيلَ السقف لبلغتُه ولو شاوتُ الأسَد لقتلتُه، وجعلتُ ألتفت الى الرجل الناصح لى فتحدّثنى نفسى] (٦) بهتم أسنانه وهَشْم أنفه، وأهُمّ أحيانًا بان أقول له: يابن الزانية؛ فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعةٌ:

(١) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «فألقيت عليها فهممت الخ». (٢) متلاحكا: متداخلا بعضه فى بعض تداخلا شديدا. (٣) زيادة عن كتاب الأغانى. (٤) كذا فى العقد الفريد (ج٢ ص١٢٦)، والعساس: جمع عُس بالضم وهو القدح الكبير. وفى الأصل: «عساف»، والعسف: القدح الضخم، ولم يرد هذا الجمع فى كتب اللغة والوارد فيها عسوف. (٥) كذا فى الأغانى. وفى الأصل: «خلف» وهو تحريف. (٦) العبارة المحصورة ما بين المربعين وردت فى الأغانى. وفى الأصل: «لا أعرفه وبقى فى نفسى لا عهد لى به وأشكل علىّ أمرى، وكان ألى جانبى الرجل الناصح لى، فجعلت نفسى تحدّثنى الخ».

أحدهم قد عَلَّق فى عُنُقه جَعْبة فارسـية مُشَنَّجَة[1] الطرفين دقيقة الوسط قد شُبِحَت[2]
بالخيوط شَبْحا منكرا، وقد أُلبِستْ قطعةَ فَرْوٍ كأنهم يخافون عليها القُرّ . ثم بَدَر الثانى
فاستخرج من كُمِّه هَنَة [سوداء][3] كَفَيْشَلة الحمار فوضع طَرَفها فى فيه فضرط فيها فآستتمّ
بها أمرُهم، ثم حَسَبَ[4] على جِحَرة فيها فاستخرج منها صوتا ملائما مشاكِلا بعضُه بعضا
٥ [كأنه — علم الله — ينطق][3]. ثم بدر الثالثُ عليه قميص وَسِخ وقد غرِق شعره بالدُّهْن
معه مرآتان فجعل يَمْرِى إحداهما على الأخرى مَرْيا. ثم بدر الرابع عليه قميصٌ قصير
وسراويلُ قصـير وخُفَّان أجذمان لاساقينِ لهما، فجعـل يَقْفِز كأنه يَثِب على ظهور
العقارب ، ثم التبط بالأرض، فقلت : معتوه وربِّ الكعبـة! ثم ما بَرِح مكانَه
حتى كان أَغْبطَ القومِ عندى ، ورأيت النـاس يحذِفونه بالدراهم حَذْفا منكرا . ثم
١٠ أرسلت الينا النساءُ أن أمتِعونا من لهوكم ، فبعثوا بهـم إليهن وبقيت الأصوات
تدور فى آذاننا . وكان معنا فى البيت شابٌّ لا آبَهُ له ، فعلَت الأصواتُ له بالدعاء،
نخرج فجاء بخشبة عيْنُها فى صدرها فيها خُوَيْطاتٌ أربعة، فآستخرج من جنبها عُودا
فوضعه على أُذنه ، ثم زمّ الخيوطَ الظاهرةَ، فلما أحْكَمها وعَرَك آذانَها حرّكها بِجَسّةٍ
فى يده، فنطقتْ وربِّ الكعبة! وأذاهى أحسنُ قَيْنة[5] رأيتهاقطُّ ،[وغنّى عليها][3] فآستخفّنى

١٥ (١) التشنج : التقبض ، وفى الأغانى : «مسنجة» بالسين المهملة ، ومعناه : مخططة ، وكلا المعنيين
هنا غير واضح ، وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٢٦) : مفتحة الطرفين . ولعـل صواب الكلمة « متنفخة
الطرفين » لوضوح المعنى بهـا ولمطابق وصف الوسط بالدقة . والظاهر أن الأعرابىّ يصف بهذا الوصف
الآلة المعروفة عندنا الآن بالكمنجا . (٢) كذا فى الأغانى . وشبحت : شدت . وفى الأصل :
« قد سبحت بالخيوط سبحا منكرا » . وفى العقد الفريد : « شبكت » . (٣) زيادة فى الأغانى .
٢٠ (٤) يريد : حرك أصابعه على ثقوب هذه الهنة ، وهى المزمار ، كما يصنع الحاسب حين يعـد بأصابعه .
وعبارة الأغانى : «ثم حرك أصابعه... الخ » . (٥) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « قشة »
وهو تحريف .

فى مجلسى حتى قمتُ بجلستُ بين يديه ، فقلت : بأبى أنت وأمّى ! ما هذه الدابة؟(١) [فلستُ أعرفها] (٢) للأعراب وما خلقتْ إلا حديثا ! فقال : يا أعرابىّ ، هذا البَرْبَط الذى سمعتَ به ، فقلت : بأبى أنت وأمى ! فما هذا الخيط الأسفل؟ (٣) قال : زير ، قلت : فما الذى يليه ؟ قال : مَثْنى ، قلت : فالثالث؟ قال : المَثْلَث ، قلت : فالرابع؟ قال : البَمّ ، قلت : آمنتُ بالله أوّلا وبالبمّ ثانيا .

٥

وقال الخُرَيمىّ :

أُضاحِك ضَيفى قبل إنزالِ رَحْلِه * ويُخْصِب عندى والمَحلّ جَدِيبُ
وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يَكْثُر القِرَى * ولكنّما وجهُ الكريم خَصِيبُ

وقال أَرْطاة بن سُهيّة :

وإنّى لَقَوّامٌ الى الضيف مَوْهِنًا * اذا أغدف السِّتْرَ البخيلُ المُواكِلُ (٤)

١٠

دعا فأجابَتْه كلابٌ كثيرةٌ * على ثقةٍ مِنّى بما أنا فاعلُ
وما دُون ضَيْفى من تِلادٍ تَحُوزُه * لِىَ النفسُ إلا أن تُصانَ الحلائلُ

آخر (٥) :

إذا نزل الأضيافُ كان عَذَوّرًا (٦) * على الأهلِ حتى تَسْتقِلّ مَراجِلُهْ

يقول : يُسَيِّئُ خُلقَه حتى يُطعِم أضيافَه ، لإعجاله إياهم ولخوف تقصيرٍ يكون منهم .

١٥

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصل « الداهية » . (٢) زيادة عن كتاب الأغانى .
(٣) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « فما هذه الخيوط السفلى » . (٤) المواكل : العاجز الذى يكل أمره الى غيره ويتكل عليه . (٥) الشعر لزينب بنت الطثرية ترثى أخاها يزيد وقيل إنه لغيرها . (راجع الشعر فى الأغانى ج ٧ ص ١٢٣) . (٦) العذوّر : السيئ الخلق القليل الصبر فيما يريده ويهم به .

٢٠

وقال دِعْبِل[(١)] :

وإنى لعبدُ الضيفِ من غيرِ ذِلّةٍ * وما فىَّ إلا تلك من شيمةِ العبدِ

وقال آخر[(٢)] :

لحَافِى لحافُ الضَّيف والبيتُ بيتُه * ولم يُلْهِنِى عنـه الغزالُ المُقَنَّعُ[(٣)]

٥ أُحَدِّثُه، إن الحـديث من القِرَى * وتعـلمُ نفسى أنه سـوف يَهْجَعُ

وقال الفرزدق فى العُذافر :

لَعَمْرُكَ ما الأرزاقُ يومَ اكتيالِها[(٤)] * بأكثرَ خيراً من خِوَانِ عُذَافِرِ

ولو ضافَه الدَّجال يلتمِسُ القِرَى * وحَلَّ على خَبّازه بالعساكر

بِعِدّةِ يأجوجٍ ومأجوجَ كُلِّهـم * لأشـبعهم يوماً غَدَاءُ[(٥)] العُـذَافِرِ

١٠ وقال مِسْكِين الدارِمىّ :

نارِى ونارُ الجارِ واحدةٌ * وإليهِ قَبْـلِى تُنْزَلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جارًا لى أُجاوِرُهُ * ألّا يكونَ لبابِه سِـتْرُ

ضاف رجلٌ من كَلْب أبا الرِّمْكاء الكلبىّ، ومع الرجلِ فَضْـلة من حِنْطة، فراحَتْ مِعْزَى [أبى] الرِّمْكاء، فَحَلَبَ وشَرب، ثم حلب وسَقَى ابنَه، ثم حلب وسَقَى

---

١٥ (١) ذكر أبو الفرج فى الأغانى هذا البيت ضمن أبيات منسوبة الى قيس بن عاصم المنقرىّ (انظر الأغانى فى ترجمته ج ١٢ ص ١٥٠ طبع بولاق)، وكذلك رواه المبرد فى الكامل له أيضا (ص ٣٣٤ — ٣٣٥ طبع أوربا) وقد رواه :

وإنى لعبد الضيف ما دام ثاويا * وما من خلالى غيرها شيمة العبد

وفى شرح الحماسة (ص ٥٢٥) أنه للمقنع الكندى من أبيات مفتوحة الروىّ. (٢) هو عتبة بن ٢٠ بجير وقيل مسكين الدارمى، انظر شرح أشعار الحماسة (ص ٧٥٠ طبع أوربا) وص ٢٢٣ من المجلد الثانى من هذا الكتاب. (٣) يريد بالغزال المقنع امرأته. (٤) كذا فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٩ طبع أوربا). وفى الأصل : «حين اتكالنا». (٥) فى كتاب البخلاء «شهرا».

آمرأته؛ فقال الرجل : ألَا تسقُون ضيفكم ؟ فقال أبو الرَّمْكاء : ما فيها فضل ؛ فآستخرج الرجلُ مافي عِكْمِه[1] من طعام وقال : هل من رَحًى؟ فأسرعوا بها نحوه ، فطحَنَ وعجَنَ وأوقد خبزتَه وأخرجها فنَفَضها[2]، فاذا رسول أبى الرمكاء يقول : يقول لك أبو الرمكاء : لا عهدَ لنا بالخبز، فقال الرجل : ما فيها فضل ، ثم أكل وارتحل، وقال : ٥

بات أبو الرمكاء لم يَسْقِ ضيفَه * من المَحْضِ ما يَطْوِى عليه فيَرْقُدُ

فقمتُ الى حنّانةٍ فوق أختها * ونارٍ وباتتْ وهى تورَى وتوقَد

فلما نفضتُ الخبزَ بالعودِ أقبلت * رسائل تشكو[3] الجوع والحىُّ سُهَّدُ

وقال أبو الرمكاء بالخبز عهدُه * قديمٌ له حولٌ كريبٌ[4] مُطَرَّد

فقلت ألَا لافضلَ فيها لباخلٍ * ولا مَطْمَعٌ حتى يلوح لنا الغَدُ ١٠

فباتَ أبو الرمكاء من فَرْطِ ريحها * يَئِنّ كما أنّ السليمُ المُسَهَّدُ

ذكر أعرابىّ قوما فقال : ألغَوْا من الصلاة الأذانَ، مخافة أن تسمعه الآذان، فَيَهِلّ عليهم الضِّيفان .

وقال بعضهم فى ذلك :

أقاموا الدَّيْدبانَ على يَفَاعٍ * وقالوا لا تَنَمْ للدّيدبانِ ١٥

فإنْ أبصرتَ شخصًا من بعيدٍ * فصَفِّقْ بالبنان على البنانِ

تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرْسًا * يُصَلُّون الصلاةَ بلا أذانِ

---

(١) العكم : ما يبسط من الثياب و يجعل فيه المتاع . (٢) فى الأصل : « قال » .

(٣) فى الأصل : «تشكى» . (٤) كريب : مكروب اشتد عليه الغم .

وقال زياد الأعجم :

وتُكْعَمُ(١) كلبَ الحىّ من خَشْيةِ القِرَى * وقِـدْرُكَ(٢) كالعَذْراء من دونهـا سِتْرُ

وقال آخر :

وإنّى لأجفو الضيفَ من غير عُسْرةٍ * مخافةَ أن يَضْرَى(٣) بنـا فيعودُ

وقال آخر :

أعددتُ للضِّيفان كلبا ضاريًا * عندى وفضلَ هِرَاوةٍ من أرزنِ(٤)

ومَعَاذِرًا كَذِبًا ووجهًا باسرًا * مُتَشَكِّيًا عَضَّ الزمانِ الألزنِ(٥) .

رأى رجلٌ الحُطَيْئَةَ وبيده عصا، فقال : ما هذه ؟ قال : عَجْراء من سَلَمٍ ، قال : إنى ضيف، قال : للضِّيفان أعددتُها .

وقال آخر(٦) :

وأُبغِضُ(٧) الضيفَ ما بى جُلُّ مأكلِه * إلّا تَنَفُّخَه حــولِى إذا قَعَـدَا

ما زال ينفُـخ جنبيه(٨) وحَبْـوتَه * حتى أقولَ لعلّ الضـيفَ قد وَلَدا

وقال حُمَيْدُ الأرقطُ يذكر ضيفًا :

إذا ما أتانا واردُ المصرِ مُرْمِلًا(٩) * تأوّبَ(١٠) نارِى أصفر العقل(١١) قافلُ(١٢)

فقلتُ لعبـدىّ اعْجَلَا بعشَـائه * وخيرُ عَشَاء الضيفِ ما هو عاجلُ

---

(١) كعم الكلب : شدّ فاه بالكعام لئلا ينبح فينبه الأضياف . (٢) فى اللسان : «ونارك» . (٣) يضرى بنا : يولع بنا ويعتاد . (٤) الأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصىّ . (٥) الزمان الألزن : الشديد الكلب . (٦) هو حميد الأرقط كما فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) . (٧) رواه فى العقـد : « لا أبغض » . (٨) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصـل « ينفخ كتفيه » . (٩) المرمل : الذى نفد زاده . (١٠) تأوّب : جاء أوّل الليل ويقال : تأوّبه وتأيبه على المعاقبة اذا أتاه ليلا . (١١) كذا فى الأصل . (١٢) القافل : اليابس الجلد وقيل : اليابس اليد .

فقال وقد ألقى المَرَاسِىَ للقِرَى * أبِنْ لِى ما ٱلحجَّاج بالناس فاعل
فقلت لَعَمْرِى ما لهذا طَرَقتنا * فكُلْ ودَعِ الأخبارَ ما أنت آكلُ
تُجَهِّز كفَّاهُ فيحْـدُرُ حَلْقُه * إلى الزَّورِ ما ضُمّتْ عليه الأناملُ(1)
أتانا ولم يَعْـدِلْه سَحْبانُ(2) وائلٍ * بيانًا وعلمًـا بالذى هو قائـلُ
فمـا زال منـه اللَّقمُ حتى كأنه * من العِىّ لمـا أن تَكَلَّمَ باقـلُ(3) ٥

وقال أيضا فى نحو ذلك :

ومُرمِلين على الأقتاب برّهم * حقـائب وعبـاءٌ فيـه بعرين(4)
مقدّمين أُنوفًا فى عصائبهم * هُجْنًا، ألَا جُدِعَتْ تلك العرانينُ
يُسَطِّرون لنا الأخبارَ إذ نزلوا * وكلُّ ما سـطّروا لِلّقمِ تمكينُ
باتوا وجُلتنا الصهبـاءُ(5) بينهمُ * كأنّ أظفارَهم فيهـا سكاكينُ ١٠
فأصبحوا والنَّوَى عالى مُعَرَّسِهِم(6) * وليس كُلَّ النوى تُلقِى المساكينُ

---

(1) فى الأصل : «إليه» ، وورد هذا البيت فى اللسان مادّة «بقل» :

تدبّل كفاه ويحـــدر حلقه * الى البطن ماضمت عليه الأنامل

وقال : التدبيل : تعظيم اللقمة عند الأكل. (2) سحبان : اسم رجل من ربيعة من بنى بكر بن وائل ، كان لسنا بليغا يضرب به المثل فى البيان والفصاحة . (3) باقل : اسم رجل من ربيعة يضرب ١٥ به المثل فى العىّ . قال الليث : بلغ من عىّ باقل أنه كان اشـترى ظبيا بأحد عشر درهما ، فقيل له : بكم اشتريت الظبى ؟ ففتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه — يشير بذلك الى أحد عشر — فانفلت الظبى وذهب ؛ فضربوا به المثل فى العىّ . (4) كذا بالأصل . (5) كذا فى كتاب سيبويه (ج ١ ص ٣٥ طبع بولاق) . والجلة : قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ، فلذلك وصفها بالصهبة . وفى الأصل : «باتوا وجلتنا السهزين بينهم» . ولعله محرّف عن : * باتوا وجلتنا السهريز بينهم * والسهريز ٢٠ (بالسين المهملة والشين المعجمة) : ضرب من التمر . (٦) يعنى لمـا أصبحوا ظهر على معرسهم — وهو موضع نزولهم آخر الليل — نوى التمر وعلاه لكثرته ، على أنهم لحاجتهم لم يلقوا الا بعضه ؛ وهذا إشارة الى كثرة ما قدمه لهم منه وكثرة أكلهم له .

وقال أيضا فى نحو ذلك :

وعاوٍ عوَى والليـلُ مُستحلِس النَّدَى * وقــد ضَجَعتْ للغَوْرِ تاليـةُ النجم (١)

فسلَّمَ تسـليمَ الصَّـديقِ ولم يكنْ * صـديقًا لنـا إلا ليـأنَس باللَّقمِ (٢)

فقلت له والنارُ تأخذ صــدرَه * لَقمتَ لِسَمْتٍ أم سَرَيْتَ على عـلمِ (٣)

٥ وقال بعض الرُّجّاز :

برَّحَ بالعينين خَطَّابُ الكُثَبْ (٤) * يقـول إنِّى خاطبٌ وقــد كَذَبْ

* وإنمـا يَطلبُ عُسًّا مِنْ حَلَبْ *

وقال آخر :

إنى لمثلكمُ من ســوء فعلكمُ * إن زرتكم أبدًا إلَّا معى زادِى

١٠ وقال حمَّاد عَجْرَد :

حُرَيْثٌ أبو الصَّلت ذُو خِبْرةٍ * بمـا يُصلِـحُ المِعْدَةَ الفاسـدهْ

تخـوَّفَ تُخْمَـةَ أضيـافِه * فَعَـوَّدهم أكلةً واحـدهْ

عن قَتَـادة قال : قال زيادٌ لغَيلان بن خَرَشَـة : أُحِبُّ أن تُحَدِّثنى عن العرب وجُهْدِها وضَنْكِ عيشِها، لِنَحْمَدَ الله على النِّعمة التى أصبحنا بها؛ فقال غَيْلان : حدّثنى

١٥ (١) مستحلس الندى متراكبه يعلو بعضه بعضا لكثرته . وضجعت للغور : مالت للغيب . وتالية النجم : إحدى تاليات النجوم وهى أواخرها . (٢) فى الأصـل : «التأيس» وما أثبتناه هو المناسب للسياق . (٣) السمت : السير على الطريق بالظن، وقيل هو السير بالحدس والظن على غير طريق . (٤) خطاب : كثير التصرف فى الخطبة . والكثب : جمع كثبة (بالضم)، والكثبة من الماء واللبن : القليل منه؛ يعنى أن الرجل يجىء بعـلة الخطبة وإنما يريد القرى . قال ابن ٢٠ الأعرابى : يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى بعلة الخطبة : إنه ليخطب كثبة . وفى الأصل «حطاب» بالحاء المهملة وهو تحريف . والعس (بالضم) : القدح الكبير، وفى الأصل : «وقسا من حلب» وهو تحريف (انظر اللسان مادتى خطب وكثب) .

عمّى قال : توالتْ على العرب سِنُونَ تسعٌ فى الجاهليّة حَطَمت كلَّ شىء ، فخرجتُ على بَكْرٍ لى فى العرب . فمكثتُ سبعًا لا أطعَمُ شيئا إلا ما ينـال منه بعيرى أو من حَشَراتِ الأرض ، حتى دَفعتُ فى اليوم السابع إلى حِواءٍ(١) عظيم ، فإذا بيتٌ جُحِش(٢) عن الحىّ ، فملتُ اليه فخرجتْ الىّ امرأة طُوَالةٌ(٣) حُسّانة ، فقالت : من ؟ قلت : طارق ليلٍ يلتمس القِرى ، فقالت : لو كان عندنا شىء لآثرناك به ، والدّالُّ على الخير كفاعله ، حِسّ(٤) هذه البيوتَ ثم ٱنظُرْ الى أعظمِها ، فإن يك فى شىءٍ منها خيرٌ ففيه ، ففعلتُ حتى دَفَعْتُ اليه ، فرحّب بى صاحبُه وقال : من ؟ قلتُ : طارقُ ليلٍ يلتمسُ القِرَى ، فقال : يافلانُ ، فأجابه ، فقال : هل عندك طعامٌ ؟ فقال لا ، فوالله ما وَقَر فى أذنى شىء كان أشدّ منه . قال : فهل عندك شراب ؟ قال لا ، ثم تأوّه فقال : بلى ! قد بَقّينـا فى ضَرْع الفلانة(٥) شيئا لطارقٍ إن طَرَقك ، قال : فأت به ، فأتى العَطَن(٦) فابتعثها . فحدّثنى عمّى أنه شهد فتح أصْبِهَان وتُسْـتَرَ ومِهْرَجان وكُوَرَ الأهـواز وفارسَ وجاهه عنـد السلطان وكثرة ماله وولده ، قال : فمـا سمعتُ شيئا قطُّ كان أشدّ من شَخْب تيكَ الناقة فى تلك العُلْبة ، حتى إذا ملأها [و] فاضت من جوانبها وٱرتفعت عليها شمكرةٌ(٧) كجُمّةِ الشيخ ، أقبل بها يَهْوِى نحوى ، فعثَر بعود أو حجر ، فسقطت العُلبة من يده ، فحدّثنى

(١) الحواء (بالحاء المهملة) : مجتمع البيوت . (٢) جحش : نحى وأبعد عن البيوت .

(٣) طوالة (بالضم) : طويلة القامة . وحسانة (بالضم وتشديد السين) : حسناء الصورة ، وهما وصفان تمدح بهما المرأة . (٤) حس هذه البيوت : تعرّف أحوالها .

(٥) فلان وفلانة بغير الألف واللام كناية عن أسماء الآدميين ، والفلان والفلانة بالتعريف بهما كناية عن غير الآدميين ، تقول العرب : ركبت الفلان وحلبت الفلانة . وفى الأصل : «الفلانية» بزيادة ياء النسبة . (٦) قال الليث : عطن الإبل ومعطنها : مناخها حول وردها ، فأما فى مكان آخر فراح ومأوى . (٧) كذا بالأصل ، ولم نوفق الى تحقيقها ، وسياق الكلام يقتضى أن يكون هنا ما يدل على الرغوة التى تعلو اللبن وقت حلبه .

أنه أُصيب بأبيه وأمّه وولده وأهل بيته فما أُصيب بمصيبةٍ أعظمَ من ذهاب العُلْبة. فلمـا رأى ذلك ربُّ البيت خرج شاهرًا سيفه فبعَث الإبل ثم نظر الى أعظمهـا سَنامًا ودفع إليه مُدْيةً وقال : يا عبـد الله آصْطَلِ وآحتمِلْ . قال: فجعلت أهوِى بالبَضْعة إلى النار فإذا بلغتْ إناها[(١)] أكلتُها، ثم مسحتُ ما فى يدى من إهالتها على جلدى وقد كان قَحَل[(٢)] على عظمى حتى كأنّه شَنٌّ، ثم شَرِبتُ شَرْبة ماءٍ وخَرَرْتُ مَغْشيًّا علىّ فما أفقتُ الى السَّحَر . وقطع زيادٌ الحديث وقال : لا عليـك ألّا تخبِرنا بأكثر من هذا، فمن المنزولُ به ؟ قلت : أبو علىّ عامرُ بن الطُّفَيْل .

قال بعض الشعراء يهجو قوما :

وتراهمُ قبل الغداء لضَيفِهم * يتخلّلون صُـــبابةً للزّاد

وقال آخر[(٣)] :

اسْـتَبْقِ وُدَّ أبى المُقَـا * تِل حين تأكل من طَعامِهْ

سِيَّانِ كَسْرُ رغيفِــه * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامهْ

فتراه من خـــوف آلنزيـ * ـلِ به يُرَوَّع فى منامـــهْ

فإذا مررتَ ببابه * فآحفظ رغيفَك من غلامهْ

وقال آخر[(٤)] :

صـــدِّق أَلِيَّتَه إن قال مجتهـــدًا * لا والرغيف، فذاك البِرُّ من قَسَمِهْ

قد كان يُعْجِبــنى لو أنّ[(٥)] غيرتَه * على جرادقِه[(٦)] كانت على حُرَمِـــهْ

إن رمتَ[(٧)] قتلته فآفتِكْ بخُـــبْزَته * فإنّ موقعهـا من لحمـــه ودَمِهْ

---

(١) إناها : نضجها . والاهالة : الشحم المذاب وكل ما ائتدم به من الأدهان . (٢) قحـل (كمنع وعلم وعنى) : يبس . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣١٨ طبعة أولى) نسب هذا الشعر لدعبل . (٤) هو أبو تمـام ، (أنظر ديوانه : باب الهجاء ، قافية الميم) . (٥) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٩) . وفى الأصـل : « لو كان » . (٦) الجراذق : جمع الجردق بالفتح والذال المعجمة كالجردق بالدال المهمـلة وكلاهما معناه الرغيف فارسىّ ، معرب « كِرده » بالكاف . (٧) فى الديوان ونهـاية الأرب (٢ ج ص ٣١٨ طبعة أولى) : « وإن هممت به فافتك بخبزته » .

قلت لرجل كان يأكل مع أبى دُلَف : كيف كان طعامه؟ قال : كان على مائدته رغيفان بينهما نُقْرة جَوْزة؛ وقال :

أبو دُلَفٍ يُضيِّع ألفَ ألفٍ * ويَضرب بالحُسَام على الرغيف

أبو دلفٍ لمطبخه قُتَارٌ [1] * ولكن دونه ضربُ السيوف

وقال أبو الشَّمَقْمَق [2] :

رأيت الخبز عزّ لديك حتى * حسِبت الخبز فى جوّ السحابِ

وما روّحتنا لِتَذُبّ عنا * ولكن خِفتَ مَرْزِئةَ الذُّباب

وقال دِعبِل :

إنّ مَنْ ضنّ بالكَنيف على الضيـ * ـفِ بغير الكنيف كيف يجودُ !

ما رأينا ولا سمعنا بحُشٍّ [3] * قبل هذا لِبَابه إقليدُ

إن يكن فى الكنيف شىء تخبّا [4] * ه فعندى إن شئت فيه مزيدُ

ولهذا الشعر قِصة قد ذكرتها فى باب الشعراء [5] .

قال أبو محمد : شُوِى لجعفر بن سليمان [6] الهاشمىّ دَجاجٌ فَفُقِدَ نِخْذٌ من دَجاجةٍ ، فأمر فنودى فى داره : من هذا الذى تعاطى فعقر ! والله لا أخبِز فى هذا التنُّور شهرا أو يُرَدّ! فقال ٱبنُه الأكبر : أتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ! .

(١) القتار : الدخان . (٢) أبو الشمقمق هو مروان بن محمد الشاعر، قال هذا الشعر يعيب به طعام جعفر بن أبى زهير وكان ضيفا عنده . انظر كتاب البخلاء للجاحظ (طبع أوربا ص ٧٧) .
(٣) الحش (بتثليث الحاء) : البستان و يكنى به عن بيت الخلاء، لما كان من عاداتهم التغوط فى البساتين ، والجمع حشان . والاقليد : المفتاح . (٤) كذا فى الأصل والشعر والشعراء (ص ٥٤١ طبع أوروبا)، ولعله : «تخبيه» . (٥) ذكر المؤلف هذه القصة فى كتابه الشعر والشعراء وهى أن دعبلا كان ضيفا لرجل فقام لحاجته فوجد باب الكنيف مغلقا فلم يتهيأ فتحه حتى أعجله الأمر .
(٦) كذا فى غرر الخصائص (ص ٢٩٨ طبع بولاق) وفيما سيأتى قريبا وهو الصواب ، لأنه هو المعروف بالبخل . وفى الأصل : « أبو جعفر » .

قال بعض الشعراء[(١)]:

يا تاركَ البيت عـلى الضيف * وهاربًا منـه من الخـوف

ضـيفك قـد جاء بخـبزٍ له[(٢)] * فارجِع فكن ضيفا على الضيفِ

وقال أبو نُوَاس[(٣)]:

٥ خبزُ إسمـاعيلَ كالوَشْـ * ـى اذا ما شُـقّ يُرْفَا

عجبـا من أثر الصنـ * ـعة فيـه كيف يَخـفَى

إن رَفّاءك هــذا * أحـذقُ الأمة كفَّـا

فإذا قابـل بالنصـ * ـف من الجَرْدَقِ نصفَا

مثل ما جاء من التَّنّـ * ـور ما غادر حـرفا

١٠ أحكم الصنعةَ حتى * لا يُرَى موضعُ إشْـفَى[(٣)]

وله فى المـاء أيضـا * عمـلٌ أبدع ظَـرْفَا

مزجُه العذبَ بمـاءِ الـ * ـبئر كى يزدادَ ضِعْفَا

فهو لا يَشرَبُ منـــه * مثـل ما يشرب صِرفَا[(٤)]

---

(١) قال هذا الشعر رجل من ايمامة فى مروان بن أبى حفصة الشاعر، وكان قد نزل عليه ضيفا، فأخلى مروان له المنزل وهرب منه مخافة أن يلزمه قراه فى هذه الليلة، فخرج الضيف واشترى ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه بهذا الشعر. انظر المستطرف للابشيهى (ج ١ ص ٢٠٦) (٢) كذا فى العقد والمستطرف، وفى الأصل "ضيفن" بالنون.

(٣) قال هـذا الشعر فى اسماعيل بن نو بخت بعد أن نصب اسماعيل فى صحن داره طارمة (بيت من خشب كالقبة، معرب) واصطبح فيها أربعين يوما ومعه جماعة منهم أبو نواس، فبلغت نفقته أربعين الف درهم؛ ثم قال أبو نواس بعد ذلك هذا الشعر. (٤) انظر هذه الأبيات مع التعليق عليها فى (ج ٢ ص ٣٧) من هذا الكتاب.

عن عبد العزيز بن عمران قال : نزلتُ ببِنتِ [ٱبن] هَرْمة فقلت : ٱنحرُوا لنا جَزُورا ، قالت : والله ما هى عندنا ، قلت : فبقرة ، قالت لا ، قلت : فشاة ، قالت لا ، قلت : فدجاجة ، قالت لا ، قلت : فأين قول أبيك :

لا أُمتِعُ العُوذَ(١) بٱلفِصَال ولا * أبتـاعُ إلا قريبةَ الأجَـلِ

قالت : ذاك أفناها . فبلغ ٱبنَ هَرْمة ما قالت ، قال : أشهدُ أنهـا ٱبنتى ، وأشهدُ أن دارى لها دون الذكور من أولادى .

قال ٱبن أبى فَنَنٍ :

لا أشتُمُ الضيفَ ولكنَّنى * أدعو له بالقُرْب من طَوْقِ
بقُرْبِ مَنْ إن زاره زَائرٌ * مات الى الخبز من الشوقِ

دخل على ٱبنٍ لرجلٍ من الأشراف داخلٌ و بين يديه فَرَارِيجُ ، فغطَّى الطبقَ بمنديله وأدخلَ رأسَـه فى جيبه وقال للداخل عليه : كن فى الحجرة الأخرى حتى أفرُغَ من بَخُـورى .

وفيما أجاز لنـا عمرُو بن بحرٍ من كتبه قال : دخل رجل على رجلٍ قـد تغدّى مع قومٍ ولم تُرفعِ المـائدةُ قال لهم : كُلوا وأجهِزوا(٢) على الجرحى . يريد : كلوا ما كُسِر ونِيل منه ولا تَعْرِضوا الى الصحيح .

---

(١) العوذ : الحديثات النتاج من الظباء والإبل والخيل ، واحدتها عائذ مثل حائل وحول . والفصال : جمع فصـيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه . يريد أنه لكرمه لا يمتع العوذ بأولادها بل يذبحها لضيوفه الكثيرين . وفى الأصل وردت هذه الجملة هكذا : «لا أمنع العود بالحصال» وهو تحريف . والتصحيح عن أمالى القالى (ج ٣ ص ١١٠ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) فى الأصل : «وأجيروا» وهو تحريف وما أثبتناه عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) . وقد وردت هذه الحكاية فيه بأوضح مما هنا . ونصها «قال : ودخلت عليـه (يريد عبد الله بن يحيى بن خالد بن أمية) يوما والمـائدة موضوعة والقوم يأكلون وقد رفع بعضهم يده فمددت يدى لآكل فقال أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء»

قال : وقال لقوم يؤاكلونه : يزعمون أن خبزى صغار! أىّ ابن زانية يأكل من هذا رغيفين! . قال : ويقول لزائره إذا أطال عنده المكث : تغدّيتَ اليوم ؟ فإن قال نعم، قال : لولا أنك تغدّيتَ لغدّيتُك بطعامٍ طيّب. وان قال لا، قال : لو كنت تغدّيتَ لسقيتُك خمسةَ أقداح . فلا يكون له على الوجهين لا قليلٌ ولا كثير .

٥ وحُكى عن أبى نُوَاس أنه قال : قلت لرجلٍ من أهل خراسان[(١)] : لِمَ تأكل وحدَك ؟ قال : ليس علىّ[(٢)] فى هـذا الموضع سؤال، إنما السؤال على من أكل مع الجماعة ، لأن ذاك تكلُّف وأكلِى وحدى هو الأكل الأصلىّ .

وكنّا عند داود بن أبى داود بواسِط أيام ولايته كَسْكَر[(٣)]، فأتته من البصرة «دايا» وكان فيها زِقَاقُ دُوشَابٍ[(٤)]، فقسمها بيننا، فكلُّنا أخذ ما أُعطِى، غيرَ الحِزَامِىّ، فأنكرنا ذلك ١٠ وقلنا : إنما يجزَع الحِزامىّ من الإعطاء وهو عدوّه، فأما الأخذ فهو ضالّتُه وأُمنيّتُه؛ فإنه لو أُعطِىَ أفاعىَ سِجِسْتَان، وثعابينَ مصر، وجَرّاراتِ[(٥)] الأهواز لأخذها، إذ كان اسم الأخذ واقعا عليها؛ فسألناه عن سبب ذلك ، فتعسّر قليلا ثم باح بِسرِّه وقال : وَضِيعته[(٦)] أضعافُ ربحه ، وأخذُه من أسباب الإدبار؛ قلت : أوّلُ وضائعه احتمالُ ثِقَل السُّكْر؛ قال :

---

(١) كذا فى البخلاء. وفى الأصل : «منهم» انظر هذه الحكاية فيه ص ٢٦ . (٢) كذا فى البخلاء ١٥ (ص ٢٦) . وفى الأصل : «من» . (٣) كسكر : كورة من كور بغداد وقصبتها واسط ، وهى مشهورة بالفراريج الكسكرية . (٤) كذا فى الأصل ، والدوشاب : نبيذ التمر معرّب ، قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب فى قدح ❊ بصـفاء ماء طيب الـــبرد

وقال ابن الرومى :

علّى أحمدُ من الدوشاب ❊ شربة بغضت قناع الشباب

٢٠ وفى كتاب البخلاء أنها زقاق دبس ، والدبس : عسـل التمر وعصارته من غير طبخ . وقال السمعانى : إنه الدبس بالعربية (انظر شفاء الغليل للخفاجى) . (٥) جرارات الأهواز : عقارب بها القتالة .

(٦) وضيعته : خسارته وغرمه .

هذا لم يخطُر ببالى قطّ، ولكن أوّل ذلك كِرَاء الحَمّال، فإذا صار الى المنزل صار سببا لطلب العَصيدة والارُزَّة والستندفود[(١)]، فإن بعتُه فِرارًا من هذا البلاء صيّرتمونى شُهْرة[(٢)]، وإن أنا حبَسته ذهَب فى العَصائد وأشباهِها، وجذَب ذلك شِراءَ السَّمْنِ، ثم جذَب السمنُ غيرَه، وصار هذا الدُّوشاب علينا أضرَّ من العِيال؛ وإن أنا جعلتُه نبيذًا آحتجتُ الى كِراء القُدُور وإلى شِراء الحُبّ[(٣)] والى شراء الماء والى كِرَاء من يُوقِد تحتَه؛ فإن ولّيتُ ذلك الخادمَ آسودّ ثوبُها وغَرَّمتنا ثمنَ الأُشْنان[(٤)] والصابون، وآزدادتْ فى الطُّعم على قَدْرِ الزيادة فى العمل؛ فإن فسَد ذهبت النفقةُ باطلا ولم نَستخلِف منها عِوضا بوجه من الوجوه[(٥)]، لأن خلّ الدَّاذِىّ[(٦)] يَخْضِب اللّحمَ ويغيّر الطَّعم ويسوِّد المرَقَة ولا يصلُح [إلا][(٧)] للاصطباغ[(٨)]. وإن سلِم ـ وأعوذ بالله ـ وجاد وصفا لم نجد بُدًّا من شربه ولم تَطِب أنْفسُنا بتركه؛ فإن قعدتُ فى البيت أشربه لم يُمكن ذلك إلا بترك

(١) كذا فى الأصل، وفى البخلاء (ص ٦٧) : «البستندود» ولم نوفق الى معرفته.

(٢) الشهرة : ظهور الشىء فى شنعة. (٣) الحب بالضم : الجرة. (٤) الأشنان : الحمض الذى تغسل به الأيدى. (٥) كذا فى البخلاء، وفى الأصل : «ولم يخلف منها بوجه من الوجوه». (٦) فى القاموس وشرحه (مادة «دوذ» بمهملة فمعجمة) : الداذى : شراب الفساق وهو الخمر، وهو على صيغة المنسوب وليس بنسب. ثم قال فى مادة «ذوذ» بمعجمتين : والداذى : نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل فى الفرق (مكيال) فتعبق رائحته ويجود إسكاره، قال الشاعر :

شربنا من الداذىّ حتى كأننا ✻ ملوك لنا بر العـراقين والبحر

فلما انجلت شمس النهار رأيتنا ✻ تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

ثم قال شارح القاموس : «ولذا حكم الحذاق باتحاده مع الذى قبله، وكلاهما غير عربى ولا معروف». واقتصر فى اللسان على «الداذىّ» بمهملة فمعجمة وذكر البيت. (٧) التكملة عن البخلاء.

(٨) كذا فى البخلاء. وفى الأصل : «للاصطناع».

سُلافَ الفارسيّ المُعَسَّل، والدَّجاج المُسمَّن، وجِداء كَسْكَر[١] وفاكهة الجبل والنَّقْل الهَشّ والرَّيْحان الغَضّ، عند من لا يَغِيض مالُه، ولا تنقطع مادّتُه، وعند من لا يُبالى على أى قُطْرَيه[٢] سقط، مع فوْت[٣] الحديث المؤْنِس والسَّماع الحسن؛ وعلى أنى إن جلستُ فى البيت أشربه لم يكن بُدٌّ من واحد، وذلك الواحدُ لا بُدّ له من لحْمٍ بدرهم، ونَقْلٍ بطَسُّوج[٤]، وريحانٍ بِقيراط، ومن أَبْزَارٍ للقِدر وحَطَبٍ للوقود؛ وهذا كله غُرْم

٥

وشؤم وحِرمان وحُرفة[٥] وخروج من العادة الحسنة. فإن كان النديمُ غيرَ موافقٍ فأهلُ السجن أحسنُ حالًا منى، وإن كان موافِقا فقد فتح اللهُ على مالى به بابا من التَّلَف، لأنه حينئذ يسير فى مالى كَسَيْرِى فى مال غيرى ممّن هو فوق. فإذا علِم الصديقُ أن عندى دَاذِيًّا[٦] أو نبيذًا دقّ على الباب دقّ المُدِلّ، فإن حَجَبناه فبَلاء، وإن أدخلناه فشقاء. وإن بدا لى فى استحسان حديثِ الناس كما يَستحسنه

١٠

[منى] من أكون عنده[٧]، فقد شاركتُ المُسْرِفين، وفارقت إخوانى الصالحين، وصرتُ من إخوان الشياطين؛ والله تقدّستْ أسماؤه يقول: ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾؛ فاذا صِرتُ كذلك فقد ذهب كسبى من مالِ غيرى، وصار غيرى يكتسب منِّى؛ وأنا لو ابتُلِيتُ بأحدهما لم أقُمْ به فكيف اذا ابتُليتُ بأن أُعطِى ولا آخُذ، وبأن أُؤَكِّل ولا آكُل! أعوذ بالله من الخِذْلان بعد

١٥

العِصْمة، ومن الحَوْر[٨] بعد الكَوْر؛ ولو كان هذا فى الحداثة كان أهونَ[٩]. هذا

(١) كسكر: تقدم فى تعريفها فى صفحة ٢٥٠ من هذا الجزء، أنها مشهورة بالفراريج الكسكرية، ولعلها مشهورة أيضا بجدائها. (٢) القطر: الناحية. (٣) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «قرب». (٤) الطسوج: ربع الدانق. انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ... ص ... من هذا الجزء. (٥) الحرفة: الحرمان. (٦) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «رأسا».

٢٠

(٧) التكملة عن البخلاء. (٨) الحور: النقصان. والكور: الزيادة ومنه الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور». (٩) كذا فى البخلاء. وفى الأصل: «أحسن».

الدُّوشاب دسيسٌ من الحُرفة، وكيدٌ من الشيطان، وخُدعةٌ من الحسود، وهو الحلاوة التى تُعقب المرارةَ . ما أخوَفنى أن يكون أبو سليمان قد ملّنى فهو يحتال لى الحِيلَ ! .

وحُكِى عن الحارثىّ أنه قال : الوَحْدة خيرٌ من جليس السوء، وجليسُ السوء خير من أكيل السوء؛ لأن كل أكيلٍ جليس وليس كل جليس أكيلا؛ فإن كان لا بدّ من المُؤاكلة ولا بدّ من المشاركة فمع من لا يستأثر علىّ بالمخ[1]، ولا ينتهز بيضة البقيلة؛ ولا يلتقم كَبِدَ الدجاج، ولا يُبادر إلى دماغ السُّلاءة[2]، ولا يختطف كُلْية الجَدْى، ولا يَزْدرِد قانِصة الكُرْكِىّ[3]، ولا ينتزع شاكِلةَ الحَمَل[4]، ولا يبتلع سُرّةَ السمك، ولا يَعْرِض لعيون الرءوس، ولا يستولى على صدور الدُّرّاج[5]، ولا يسابِق إلى أَسْقاط الفِراخ، ولا يتناول إلا [ما][6] بين يديه، ولا يلاحظ ما بين يدى غيره، ولا يمتحِن الإخوانَ بالأمور الثمينة، ولا ينتهِك أستارَ الناس بأن يشتهىَ ما عسى ألّا يكون موجودا؛ فكيف تصلُح الدنيا ويطيب العيشُ بمن اذا رأى جَزُوريّة[7] التقط الأَكبادَ والأَسْنِمة، وإذا عاين بَقَريّةً استولى على العِراق[8] والقِطْنة[9]، وإن عاين بطنَ

(١) كذا فى البخلاء، وقد أوردها المحبّى فى كتابه « ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه » فقال : « بيضة البقيلة تذكر فى عيون الأطعمة ولا تستحسن المبادرة اليها » . وفى الأصل : « البيضة المقاية » .

(٢) السلاءة : واحدة السلاء وهو ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين .

(٣) الكركى : طائر يقرب من الإوز أبتر الذنب رمادى اللون فى خده لمعات سود يأوى الى الماء أحيانا .

(٤) الشاكلة : الخاصرة .

(٥) الدرّاج كرمان : طائر جميل المنظر ملوّن الريش، يطلق على الذكر والأنثى .

(٦) التكملة عن البخلاء .

(٧) كذا فى البخلاء، ويظهر أنها ضرب من الطعام ينسب الى الجزور وهو واحد الإبل يقع على الذكر والأنثى . وفى الأصل : « جزرية » والجزرة : الشاة السمينة أو ما يذبح من الشاء، وذكر الأسنمة فى الكلام يأباها .

(٨) العراق : ما دون السرة من الحشا معترضا بالبطن .

(٩) القطنة : مثل الرمانة تكون على الكرش وهى ذات الأطباق، والعامة تسميها الرمانة .

سمكةٍ آحترق كلَّ شيء فيه ،وإن أتَوا بجنب شِوَاءٍ آكتسح ما عليه ،ولا يرحم ذا سِنٍّ لضعفه ، ولا يَرِقُّ على حَدَثٍ لِحدّة شهوته ، ولا ينظر للعيال ، ولا يُبالى كيف دارت الحال . وأشدُّ من كل ما وصفْنا أن الطبّاخ ربما أتَى باللون الظريف الطّريف ، والعادةُ فى مثل ذلك اللون أن يكون لطيفَ الشخص صغيرَ الحجم ، فيقدّمه حارًّا مُمْتنِعًا[1] ، وربما كان من جوهرٍ بَطىءِ الفُتور[2] ، وأصحابُنا فى سهولة آزْدِراد الحارّ عليهم فى طبائع النَّعام ، وأنا فى شدّة الحارّ [علىّ[3]] فى طِباع السِّباع ، فإن نظرتُ[4] الى أن يُمكِن أتَوْا على آخره ، وإن أنا بادرتُ مخافةَ الفَوْتِ وأردتُ أن أشاركهم[5] فى بعضه لم آمَن ضررَه ، والحارُّ ربما قتل وربما أعْقَم وربما أبال الدم . قال : وعُوتِب على تركه إطعامَ الناس معه وهو يتخذ فيُكثِر ، فقال : أنتم لهذا أتركُ منى ، فإن زعمتم أنى أكثرُ مالا وأعَدُّ عُدّةً ، فليس بين حالى وحالكم من التفاوت أن أُطْعِم أبدا وتأكلوا أبدا ، فإذا أتيتُم من أموالكم من البَذْل على قدْر احتمالكم ، علمتُ أنكم الخيرَ أردتم ، والى تزيينى[6] ذهبتم ، وإلا فإنكم إنما تحلبون حَلَبًا لكم شَطْرُه .

قال : كان أبو ثُمامة[7] أفطر ناسًا وفتح بابَه[8] فكثُر عليه الناسُ ، فقال : إن الله لا يَستحى من الحق ، وكُلّكم واجبُ الحق ، ولو استطعنا أن نَعُمَّكم بالبِرّ كنتم فيه سواءً ولم يكن بعضكم أولى به من بعضٍ ؛ كذلك أنتم اذا عجَزنا أو بدا لنا ، فليس بعضُكم أحقَّ بالحِرمان والاعتذار اليه من بعض ، ومتى قربتُ بعضَكم وفتحتُ بابى لهم وباعَدتُ الآخرين ، لم يكن فى إدخال البعضِ عذرٌ ، ولا فى منع الآخرين حُجّة ؛ فآنصرَفوا ولم يعودوا .

---

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : «ممتنعا» وهو تحريف . (٢) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : «فى» . (٣) التكملة عن البخلاء . (٤) نظرت : انتظرت . (٥) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : « أشاركه » . (٦) كذا فى الأصل ، وفى البخلاء : « والى تربيتى » . (٧) فى كتاب البخلاء (ص ٢١٥) : « ثمامة » . (٨) فى الأصل : « ويفتح » .

قال : وكان محمد بن أبى المؤمَّل يقول : قاتل الله رجالًا كنّا نؤاكلهم ، مارأيتُ قَصْعةً رُفعت من بين أيديهم إلا وفيها فضلٌ ، وكانوا يعلمون أن إحضارَ الجَدْى إنما هو شىء من آيِين[1] الموائد الرّفيعة ، وإنما جعل كالقافية[2] وكالخاتمة وكالعلامة[3] لليسر والفراغ ، ولم يُحضَر للتفريق والتخريب ، وأن أهلَه لو أرادوا به سوءا لَقدَّموه لتقع الحِدّة به ؛ ولذلك قال أبو الحارث جُمَّيز[4] حين رآه لا يُمَسّ : هذا المدفوعُ عنه .

ولقد كانوا يَتحامَوْن بيضةَ البقيلة ، ويدَعُها كلٌّ واحد لصاحبه ، وأنتَ اليوم اذا أردت أن تُمتِّع عينيك بنظرة واحدة منها ومن بيضة السَّلّاءة[5] لم تَقْدِر على ذلك .

وكان يقول : الآدام أعداءُ الخبز ، وأعداها له المالح ؛ فلولا أن الله أعان عليها بالماء وطلبِ آكِله له لأتى على الحَرْث والنّسل .

وكان يقول[6] : ما بال الرجلِ اذا قال : اَسْقِنى ماءً أتاه بقُلّة على قدر الرِّىّ أو أصغر ، وإذا قال : أطْعِمْنى شيئا أو هات لفلان طعاما ، أتاه من الخبز بما يَفضُل عن

---

(١) كذا فى البخلاء ، والآيين : العادة ، وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة ، أعجمى عرّبه المولدون ، قال مهيار فى قصيدة له :

يجمع الخرّيت حولا أمره * وهو لم يأخذ لها آيينها

(راجع شفاء الغليل) وفى الأصل : « أنس الموائد » . (٢) فى البخلاء : « كالعاقبة » (٣) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « كالعلاوة للبشر » وهو تحريف . (٤) فى الأصل والبخلاء : « جمين » بالنون فى آخره . وورد فى القاموس وشرحه فى مادّة (ج م ن) : «أبو الحارث جمين كقبيط المدينى ، هكذا ضبطه المحدثون بالنون ، وهو صاحب النوادر والمزاح ، والصواب بالزاى المعجمة فى آخره ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا * قد أوتى الحكمة والميزا

وقد أهمله المصنف (مؤلف القاموس) فى حرف الزاى ونبهنا عليه هناك » اه . ولذا رجحنا ذكره بالزاى المعجمة فى جميع المواضع التى ورد فيها . (٥) تقدّم تفسيرها قريبا . (٦) كذا فى البخلاء ، وفى الأصل : «وكان يقال» .

الجماعة، والطعامُ والشَّرابُ أخَوان . أمَا إنه لولا رُخْص الماء وغلاء الخبز لما كَلِبوا على الخبز وزَهِدوا فى الماء، والناسُ أشدّ شيء تعظيما للمأكول إذا كثُر ثمنُه وكان قليلا فى مَنْبِته وعُنْصره . هذا الجَزَر الصافى والباقِلاء(١) الأخضر أطيب من كُمَّثْرَى خُرَاسانَ والمَوْز البُستانى، وهذا الباذنجان أطيب من الكَمْأة، ولكنهم لِقصرِ هِمَمِهم وأذهانهم فى التقليد والعادة لا يشتهون إلا على قدر الثمن .

وكان يقول : لو شرِب الناسُ الماءَ على طعامهم لما ٱتَّخَمُوا . وذلك أن الرجل لا يَعرِف مِقدارَ ما أكل حتى ينالَ من الماء شيئا، لأنه ربما كان شبعان وهو لا يَدرى . وفى قول الناس : ماءُ دِجلة أمرأ من ماء الفُرات، وماء مِهْران(٢) أمرأ من ماء [نهر] بَلْخ(٣)، وفى قول العرب : هذا ماءٌ نَمِيرٌ يَصلح عليه [المال] دليلٌ على أن الماء يُمْرِئ، حتى قالوا : إن الماء الذى يكون عليه النقّاطات(٤) أمرأ من الماء الذى تكون عليه القيّارات(٤) . فعليكم بشرب الماء على الغداء [فانّ ذلك أمرأ](٥) .

قال وكان الثَّورىّ يقول لعياله : لا تُلقوا نوى التمر والرُّطَب وتعوّدوا ٱبتلاعه، فإن النوى يَعْقِد الشحمَ فى البطن، ويُدْفِئ الكُلْيتيْن بذلك الشّحم، واعتبروا ذلك ببطون الصَّفَايا(٦) وجميع ما يَعتلِف النَّوى . والله لو حملتم أنفسكم على قضم الشّعير وٱعتلافِ القتّ(٧) لوجدتموها سريعة القَبول، وقد يأكل الناسُ القتّ قَدَاحا(٨)،

(١) الباقلاء (بتخفيف اللام ممدودا وتشديدها مقصورا) : الفول الواحدة بهاء أو الواحد والجمع سواء . (٢) مهران : نهر عظيم بقدر دجلة تجرى فيه السفن . (٣) التكملة عن البخلاء (ص ١٠٤) . ونهر بلخ هو جيحون . (٤) كذا بالأصل وكتاب البخلاء . (٥) الزيادة عن كتاب البخلاء . (٦) الصفايا : جمع صفى ، والصفى : الناقة الغزيرة اللبن وكذلك الشاة . (٧) القت : حب برى يأكله أهل البرية عام القحط بعد دقه وطبخه . (٨) قداحا : رطبا قبل أن يجفف .

والشّعيرَ فَرِيكا، ونوى البُسْر الأخضر، ونوى العَجْوة ؛ وإنما بَقِيتْ عليكم الآن عَقَبة، أنا أقدِر أن أبتلع النوى وأُعْلِفه الشّاءَ[1]، ولكنى أقول هذا بالنظر لكم .

وكان يقول لهم : كلوا البَاقِلَاء بقشوره ، فإن البَاقِلَاء يقول : من أكلنى بقشورى فقد أكلنى، ومن لم يأكلنى بقشورى فأنا آكلُه؛ فما حاجتكم [إلى] أن تصيروا طَعاما لطعامكم، وأكلًا لما جُعِل أكلا لكم .

قال: وحُمّ هو وعيالُه فلم يقدروا على أكل الخبز، فربح أقواتَهم فى تلك الأيام؛ ففرِح وقال : لو كان فى منزلى سوقُ الأهواز ونَطَاة خَيْبر[2] رجوْتُ أن أستفضِل فى كل سنة مائةَ دينار .

قال : ودعا موسى بنُ جَنَاح جماعةً من جِيرانه ليَفْطُروا عنده [فى شهر رمضان][3]، فلما وُضعت المائدة أقبل عليهم ثم قال لهم : لا تَعْجَلوا، فانّ العَجَلة من عمل الشيطان . ثم وقف وقفةً ثم قال : وكيف لا تَعْجَلون والله تعالى يقول : ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ . اسمعوا ما أقول لكم، فإن فيه حسن المُؤَاكلة والتبعُّد من الأَثَرة، والعاقبةَ الرشيدة، والسيرةَ المحمودة : اذا مدَّ أحدُكم يدَه ليستقىَ ماءً فأمسكوا أيديكم حتى يَفرُغ ، فإنكم تجمعون عليه خصالًا : منها أنكم تنغِّصون عليه فى شربه ، ومنها أنه إذا أراد اللّحاق بكم فلعلّه يتسرّع إلى لُقمةٍ حارّة فيموت، وأدنى ذلك أن تبعَثوه على الحِرْص

---

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصل : « أن أقدر أن أبيع النوى » . (٢) كذا فى البخلاء ، ويريد بسوق الأهواز : كورها وهى كثيرة الحمّى ووجوه أهلها مصفرّة مغبرة . ونطاة خيبر : قصبتها وهى مشهورة بالحمى أيضا . قدم أعرابىّ خيبر فقال :

قلت لحمى خيبر استعدى ❊ هاك عيالى فاجهدى وجدّى
وباكرى بصالب وورد ❊ أعانك الله على ذا الجند

فحمّ ومات وبقى عياله . وفى الأصل : « مظلة خيبر» . (٣) التكلة عن كتاب البخلاء .

وعلى عِظَم اللَّقْم . ولهذا قال بعضهم وقد قيل له : لم تبدأ بأ كل اللحم ؟ قال : لأن اللحم ظاعنٌ والثريد مقيمٌ . وأنا و إن كان الطعام طعامى فإنى كذلك أفعل ؛ فإذا رأيتم فعلى يخالف قولى فلا طاعةَ لى عليكم . قال بعضهم : فربما نَسِى بعضُنا فمدَّ يده وصاحبه يشرب ، فيقول له : يدَكَ يا ناسِى ، ولولا شىءٌ لقلتُ لك : يا متغافِل .

٥ قال : فأتانا بأَرُزَّةٍ لو شاء أحدُنا أن يَعُدّ حباتِها[1] لعدّها ، لتفرُّقِها وقِلّتِها ، وهى مقدار نصف سُكُرَّجَة[2] ، فوقعتْ فى فمى قطعةٌ ، وكنتُ الى جنبه ، فسمع صوتا حين مَضْغتُها ، فقال : أجرُشْ يا أبا كعب .

قال : وكنّا[3] نسمع باللئيم الراضع ، وهو الذى يرضع الحَلَب[4] فلا يحلبُه فى الإناء لئلّا يُسمع صوتُ الحَلْب — وقال بعضهم : لئلا يضيعَ من اللبن شىءٌ — ثم رأيتُ

١٠ أبا سعيد المَدائنى قد صنع أعظمَ من ذلك : ارتضع من دَنّ خَلًّا حتى فَنِي ولم يخرج منه شىء .

قال : وكان الكِنْدِىّ لا يزال يقول للساكن من سُكّاننا — [وربما قال[5]] للجار — إن فى دارى آمرأةً بها حَبَلٌ ، والوَحْمَى ربما أسقطتْ من ريح القِدر الطيّبة ، فإذا طبختم فرُدُّوا شهوتَها بغَرْفة أو بلَعْقة فإن النفسَ يردُّها اليسير ، وإن لم تَفعل

١٥ ذلك وأسقَطتْ فعليك غُرّةٌ[6] : عبدٌ أو أَمَةٌ .

---

(١) فى الأصل : «حبتها» بالإفراد .   (٢) السكرجة : الصحفة .

(٣) فى الأصل : «وكذا نسمع» .   (٤) الحلب (بالتحريك) : اللبن .   (٥) التكملة عن كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٨٣ طبع أوربا) .   (٦) الغرة : البياض الذى يكون فى وجه الفرس ، والمراد بالغرة هنا العبد الابيض أو الأمة البيضاء . وسمى غرة لبياضه ، فلا يقبل فى الدية عبد أسود ولا جارية

٢٠ سوداء ، وليس ذلك شرطا عند الفقهاء . و إنما الغرة عندهم ما بلغ ثمنه نصف عشر الدية من العبيد والإماء .

وقال بعضهم : نزلنا دارا بالكِرَاء للكِنْدِىّ على شروط ، فكان فى شَرْطه على السكّان أن يكون له رَوْثُ الدابّة ، وبَعَرُ الشاة ، ونِشْوارُ[١] العَلُوفة ، وألّا يُخرجوا عَظْما ولا يُخرِجوا كُناسة ، وأن يكون له نَوَى التمر ، وقشورُ الرمّان ، والغَرْفة من كل قِدْر تُطبَخ للحُبْلَى فى بيته ، وكان فى ذلك يَتَنزَّل[٢] عليهم ، فكانوا لِطيبه و إفراط بخله يحتملون ذلك .

٥

وقال دِعْبِل : أقمنا يوما عند سَهْل بن هارون ، فأطلنا الحديث حتى آضطرّه الجوعُ إلى أن دعا بغَدَائه ، فأُتِى بصَحْفةٍ عُدْمُلِيّة[٣] فيهـا مَرَق لحم ديكٍ عاسٍ[٤] هَرِمٍ ليس قبلها ولا بعـدها غيرُها ، لا تَحُزّ[٥] فيه السكين ، ولا تؤثّر فيه الأضراس ، فاطّلع فى القَصْعة وقلّب بصره فيها ، فأخذ قطعة خبزٍ يابسٍ فقلَب بها جميع ما فى الصحفة ففقد الرأسَ ، فبقِى مُطرِقًا ساعةً ، ثم رفع رأسه الى الغلام وقال : أين الرأس؟ قال : رميتُ به ؛ قال : ولِمَ ؟ قال : ما ظننتُ أنك تأكله [ولا تسأل عنـه][٦] ! قال : ولأىّ شىءٍ ظننتَ ذلك؟ فوالله إنى لأمْقُت من يرمِى برِجْلِه فكيف من يرمى برأسه ! والرأسُ رئيس ، وفيه الحواسّ الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوتُه ما أريد ، وفيه عُرفه الذى يُتبَرّك به ، وفيه عينه التى يُضرب بها المثل فيقال : "شراب كعين الديك"[٧] ، ودِماغه عجَبٌ لوجع الكُلْية ، ولن ترى عظما قطُّ أهشَّ من عظم رأسه ؛ فإن كان من نُبْلِ أنك لا تأكله فإنّ عندنا من يأكله . أو ما علمتَ أنه خير من طَرَف الجَناح ومن الساق ومن العنق ! . انظر أين هو . قال : لا والله لا أدرى أين هو ، رميتُ به ؛ قال : لكنى أدرى أنك رميت به فى بطنك ، واللهُ حَسْبُكَ .

١٠

١٥

---

(١) النشوار : ما يتبقى من علف الدابة . (٢) يتنزل عليهم : ينزل عليهم و يطرقهم .
(٣) عدملية : قديمة . (٤) العاسى : الذى أسن حتى جف وصلب .
(٥) لا تحز : لا تقطع . وفى الأصل : « لا تجز » . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) (٧) تقول العرب فى أمثالها : «أصفى من عين الديك» .

٢٠

وحُكى عن رجل أنه قال : مررت ببعض طُرُقات الكوفة ، فإذا رجل يُخاصِم جارًا له ، فقلت : ما بالُكما تختصمان؟ فقال [أحدهما](١) : لا والله إلّا أنّ صديقا لى زارنى فآشتهى علىّ رأسا ، فاشتريتُه وتغدّينا به وأخذت عظامَه فوضعتُها على باب دارى أتجمّل بها عند جيرانى ، فجاء هذا فأخذها وتركها على باب دارِه يُوهِم أنه اشتراه .

٥ قال : وتناول رجل من بين يدى أميرٍ من الأمراء بَيْضةً(٢) وهو معه ، فقال : خذها فإنها بيضة العُقْر(٣) ، ولم يأذن له بعد ذلك .

قال : وقُدّمت مائدة لرجلٍ عليها أرغفة على عدد الرءوس ورغيفٌ زائد يوضع على الصِّحَاف ، فلما أنفد القوم خبزَهم التفت الى رجلٍ الى جانبه فقال : اِكْسِرْ هذا الرغيفَ وفرِّقه بينهم ، فتغافلَ ، فأعاد عليه ، فقال : يُبْتَلَى على يد غيرى .

١٠ قال المدائنىّ : كان للمُغيرة بن عبد الله الثَّقَفِىّ وهو على الكوفة جَدْىٌ يوضع على مائدته بعد الطعام لا يَمَسُّه هو ولا غيرُه ، فقدِم أعرابىٌّ يوما فأكل لحمَه وتعرَّق(٤) عظامَه ، فقال ، ياهذا ، أتطالب هذا البائسَ بذَحْل(٥) ؟! هل نطحتْك أُمُّه ! قال : وأبيك إنك لَشفيق(٦) عليه ! هل أرضعتْك أُمُّه ! .

قال المدائنى : كان(٧) لزِياد بن عبد الله الحارثىّ جدىٌ لا يَمَسُّه [أحد](٨) ، فعشَّى ١٥ فى شهر رمضان قومًا فيهم أشعب ، فعرَضَ أشعب يومًا للجدى من بين القوم ،

---

(١) التكملة عن العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) . (٢) جاءت هذه العبارة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) ضمن الحكاية التى سيرويها المدائنى بعد عن المغيرة بن عبد الله الثقفى والأعرابى الذى قدم عليه . (٣) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود ، يضرب مثلا لمن يصنع الصنيعة ثم لا يعاودها . راجع اللسان مادة «بيض» . (٤) تعرق العظم : أخذ ما عليه من لحم .

٢٠ (٥) الذحل : الثأر . (٦) فى الأصل : « إنه لشفيق » .

(٧) فى الأصل : «قال» وكتب فى هامش الأصل الفتوغرافى : «لعله كان» وهو الصواب .

(٨) الزيادة عن كتاب البخلاء (ص ١٦٢ طبع أوربا) .

فقال زياد حين رُفعت المائدة : أَمَا لأهل السجن إمامٌ يصلّى بهم ؟ قالوا : لا ، قال : فلْيُصَلِّ بهم أشعب ، قال أشعب : أَوَ غيرَ ذلك أيها الأمير ؟ قال : وما هو ؟ قال : لا آكل لحم جدى أبدا .

قال : وكان المغيرة بن عبد الله الثقفى يأكل وأصحابه تمرا فانطفأ السراج ، وكانوا يُلْقونَ النَّوَى فى طَسْتٍ ، فسمِع صوتُ نواتين ، فقال : من ذا يلعب بالكعبتين[1] ؟ ٥

قال الأعشى[2] :

تبيتون فى المشتى مِلاءً بطونكم * وجاراتكم سُغْبٌ يبِتْنَ خمائصا

وقال آخر[3] :

وضيف عمرٍو وعمرٌو ساهران معا * فذاك من كِظّةٍ والضيف من جوعِ ١٠

وقال آخر :

وجيرةٍ لا ترى فى الناس مِثلهمُ[4] * اذا يكون لهم عِيدٌ وإفطارُ

إن يُوقِدوا يوسِعونا من دُخانِهمُ * وليس يبلُغُنا ما تُنْضِج النار

وقال سَمَاعةُ بن أَشْوَل :

نزلْنا بسَهْمٍ والسماءُ تلفُّنا * لَحَى اللهُ سَهْمًا ما أدقَّ وألأَمَا ١٥

فلما رأينا أنه عاتِمُ القِرَى[5] * بخيلٌ ذكَرْنا ليلةَ الهَضْبِ كَرْدَمَا

---

(١) الكعبة والكعب : العظم الذى تلعب به الصبيان .

(٢) هو ميمون بن قيس ، قال هذا الشعر يهجو علقمة بن علاثة .

(٣) هو بشار كما فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٢٠ طبعة أولى) ، ورواية البيت فيه :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع ٢٠

(٤) فى الأصل : « لم تر » . (٥) عاتم القرى : بطيئه .

فقُمْنا وحَمَّلْنا على الأَيْنِ والوَجَى * جُلَالا(١) بأوصال الرَّديفَيْن مِرْجَما(٢)
يَدُقُّ(٣) خراطِيمَ القِنَانِ كأنما * يدق بصَوّانِ الجَلاميد حَنْتَما(٤)
تَجِئنا وقد باض الكَرَى فى عيوننا * فَتًى من عيون المُعْرِقين(٥) مسلَّما
تُنَاخُ اليــه هَجْمةٌ(٦) واتِكيّة(٧) * رعتْ بالجِواء(٨) البَقْل(٩) حولاً مُجرِّما(١٠)
٥ كأنّ بأحْقِيها(١١) اذا ما تَنَعَّمتْ * مَزادًا(١٢) سقا فيه المُزَوِّد مُعصما(١٣)
فبات رفيقى بعد ما ساء ظنُّه * بمنزلة من آخر الليل مُكْرَما
ولو أنها لم يدفَع العِيسَ زمُّها * رأى بعضها من بعض أنْسائها(١٤) دما

وقال حُمَيْدٌ الأرقط :

ومُسْتَنْبِح(١٥) بعد الهدوء وقد جرتْ * له حَرْجَفٌ نكْباءُ والليـلُ عاتمُ
١٠ رفعتُ له مخلوطةً(١٦) فاهتدى بها * يشبّ لها ضوءٌ من النار جاحمُ
فأطعمتُه حتى غدا وكأنما * تنازعه(١٧) فى أخْدَعَيْه المَحاجِمُ

---

(١) الجلال : الجمل الضخم . (٢) المرجم : المضطرم العدو ، وفى الأصل : «مرحما» .
(٣) فى الأصل : «تدق» . (٤) الحنتم : الخزف بأنواعه ؛ قال سالم بن دارة :

وقد أوغلت فى السير حتى كأنما * يكسر قيض بينهن وحنتم

١٥ والقيض : قشرة البيضة العليا اليابسة . وكتب فى الأصل الفتوغرافى أمام كلمة الحنتم : «الحصيد» ولعله من معانى الكلمة . (٥) فى الأصل : «المغرقين» ، ولعله : «من عيوب المغرقين مسلما» ، و يريد مدحه بأنه سالم من عيوب المغرقين الذين أفسدوا ما عملوا من صالح بما ارتكبوه من أثام . (٦) الهجمة من الابل : أولها الأربعون الى ما زادت ، وفيها أقوال غير ذلك . (٧) هكذا بالأصل ولعلها «وائلية» .
(٨) الجواء : الواسع من الأودية ، و ربما أريد به موضع بعينه . (٩) فى الأصل : «النقل» .
٢٠ (١٠) مجرما : تاما ، وفى الأصل : «محزما» . (١١) أحق : جمع حقو وهو الخصر .
(١٢) المزاد : جمع مزادة وهى الراوية والقربة التى يستقى فيها . (١٣) معصما : مشدودا بالعصام وهو رباط القربة . (١٤) أنساء : جمع نسا وهو عرق من الورك الى الكعب . وفى الأصل : «أنسابها» . (١٥) فى الأصل : «ومنتبح» . (١٦) كذا بالأصل ولعلها « مخبوطة » وهى الشجرة التى نفض عنها ورقها . (١٧) فى الأصل «تناعه» .

كَزَمْهانَ[1] يَفْطُو[2] المشىَ لو جُعلتْ له * رعايا الحِمى لم يلتفت وهو قائمُ
حريصٌ على التسليم لو يستطيعه * فلم يستطع لما غدا وهو عائمُ[3]

وقال الأعشى[4] :

اذا حلّتْ معاويةُ بنُ عمرو * على الأَطْواءِ خنّقتِ الكلابَا

وقال آخر[5] :

أيا ٱبنــةَ عبــد الله وٱبنــةَ مالكٍ * ويا بَنــةَ ذى البُرْدينِ والفرسِ الوَرْد
اذا ما عمِلتِ الزادَ فالتمِسى له * أكِيلًا فإنى غيرُ آكِلِه وَحْدى[6]
بعيــدًا[7] قصــيًّا أو قريبًــا فإننى * أخاف مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بعدى
وكيف يُسِيغُ المرءُ زادًا وجارُه * خفيفُ المِعَى بادى الخَصاصةِ والجَهْدِ
ولَلْموت خيرٌ من زيارة باخلٍ * يُلاحِظ أطرافَ الأَكيلِ على عمــدِ

وقال مُرّةُ بن مَحْكانَ السَّعْدِى :

فقلت لما غَدَوْا أُوصى قعيدتَنا * غَدِّى بَنيكِ فلن تُلْفِيهُم[8] حِقَبَا
أُدْعَى أباهم ولم أُقْرَفْ بأُمِّهِـمُ * وقد هَجُعتُ ولم أعرِف لهم نَسبَا

---

(١) الزمهان : الحران . (٢) فطا الدابة يفطوها : ساقها سوقا شديدا .

(٣) كذا بالأصل ، ولعلها «صائم» كما يقتضيه السياق . (٤) هو أعشى بنى تغلب كما فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ١ ص ١٩٤) . (٥) هو حاتم الطائى يخاطب امرأته ماوية بنت عبدالله ، وعنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة . (٦) رواية أشعار الحماسة :

اذا ما صنعت ...... * ...... فانى لست ...

(٧) روى هذا الشطر فى أشعار الحماسة :

* أخا طارقا أو جار بيت فإننى *

(٨) رواية الشعر والشعراء للؤلف (ص ٤٣٢) : «فلن تلقيهم» .

وقال حمّاد عَجْرد :

زرتُ آمرأً فى بيته مرّةً * له حياءٌ وله خِيرُ

يكرَه أن يُتْخِمَ إخوانه * إنّ أذى التُّخْمةِ محذور

ويَشْتَهِى أن يُؤْجَرُوا عنده * بالصومِ والصائمُ مأجور

٥ وقال بعض المُحدَثين :

أبو نوحٍ نزلتُ عليـه يومًا * فغَـدَّانى برائحـة الطعامِ

وجاء بلحيم لا شيءٍ سمينٍ (١) * فقـدّمه على طبق الكلامِ

فلما أن رفَعتُ يدى سقانى * مدامًا بعـد ذاك بلا مدامِ

فكان كمن سقى الظمآن آلًا * وكنتُ كمن تغدّى فى المنامِ

١٠ وقال عُرْوةُ بن الوَرْد :

إنى آمرُؤٌ عافِى إنائِىَ شِرْكةٌ * وأنت آمرُؤٌ عافى إنائِك واحدُ

أتهزأ منِّى أن سَمِنتَ وأن ترى * بجسمِى مسَّ الحقِّ والحقُّ جاهدُ (٢)

أُقسِّم جسمِى فى جسومٍ كثيرةٍ * وأحسو قَرَاحَ الماءِ والماءُ باردُ

---

(١) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٨) :

١٥ وقـدم بيننا لحما سمينا * فقـدّمه على طبـق الكلام

فلما أن رفعت يدى سـقانى * كؤوسا حشوها ريح المدام

(٢) فى أشعار الحماسة (ص ٧٢٣ طبع أوربا) : «بوجهى شحوب الحق» .

باب القـدور والجفان

ذكر الفرزدق عقبةَ بن جَبَّار المِنْقرى وقِدْرَه فقال :

لو أن قِدْرًا بكت من طولِ مَحْبِسها * على الحفوفِ[1] بكتْ قِـدْرُ ابن جَبَّارِ

ما مسَّها دَسَمٌ مُـذْ فُضَّ معدِنُهـا * ولا رأت بعـد نارِ القَينِ من نارِ

وقال :

كأنّ تطلُّعَ التِّرْعيب[2] فيها * عَذارٍ[3] يَطَّلِعْن إلى عَذارِ

وقال الكُمَيت :

كأنّ الغُطَامِطَ من غَلْيِها * أَرَاجيزُ أَسْلَمَ تَهجو غِفَارَا[4]

وقال آخر[5] :

وقِدْرٍ بجَوْف الليل أَحْمَشْتُ[6] غَلْيَهَا * ترى الفِيلَ فيها طافيًا لم يُفَصَّـلِ

وقال ابن الزَّبِير[7] يمدح أسماءَ بن خارِجة :

ترى البازِلَ البُخْتِيَّ فوقَ خِوَانِه * مقطَّعـةً أعضاؤه ومَفاصِـلُه

---

(١) كذا فى ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش أدب (ص ٣٩) . والحفوف : قلة الدسم . وفى الأصل : « الجفون » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت من أبيات يمدح بها أبا السمحاء سحيم بن عامر أحد بنى عمرو ، ومطلعها :

سألنا عن أبى السمحاء حتى * أتينـا خير مطـروق لسارى

(٣) كذا فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب . والترعيب : السنام المقطع شطائب مستطيلة . وفى الأصل : « الترغيب » بالغين المعجمة وهو تحريف . (٤) الغطامط (بضم الغين المعجمة) : صوت الغليان ، ويقـال : تغطمطت القـدر اذا اشتدّ غليانها . وأسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة . (٥) هو ميسرة أبو الدرداء ، كما فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٤٨ طبع أوربا) . (٦) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : « اجشمت » وهو تحريف . وأحمش القدر : أشبع وقودها .

(٧) هو عبد الله بن الزبير الأسدى كما فى الأغانى (ج ١٣ ص ٣٥ ، ٤٢ طبع بولاق) .

وقال الرَّقاشىّ :

لنا من عطاء الله دَهْماءُ[1] جَـوْنةٌ * تناولُ[2] بعـد الأقربين الأقاصيا
جعلتُ أَلَالًا والرِّجَامَ وطِخْفَةً[3] * لهـا فاستقلَّت فوقهـنّ الأثافيا
مـؤدِّيةٌ عنا حقـوقَ محمـدٍ * إذا ما أتانا بائسُ[4] الجنبِ طاويا
٥ أتى ابنُ بسيرٍ[5] كى يُنَفِّسَ كَرْبه * إذا لم يَرُحْ وافَى مع الصبح غاديا

فأجابه ابن بسير[6] :

وثَرْماءَ ثَلْمَاءِ[7] النـواحى ولا يَرَى * بهـا أحدٌ عَيْبا سِـوى ذاك باديا
إذا انقاصَ[8] منهـا بعضُها لم تَجِدْ لها * رَءُوبا لمـا قد كان منهـا مُدَانيـا
و إن حاولوا أن يَشْـعَبوها فإنهـا[9] * على الشَّـعْبِ لا تزداد إلا تداعيا
١٠ مُعَـوَّذة الإِرْجالِ[10] لم تُوفِ مَرْقَبًا * ولم تَمْتَـطِ[11] الجَوْنَ الثلاثَ الأثافيا

---

(١) الدهماء : القدر . وجونة : سوداء . (٢) فى الأصل « يناول » بالياء المثناة .
(٣) ألال (وزان حمام ويروى بكسر همزته) : اسم جبل بعرفات . والرجام : جبل طويل أحمر نزل به جيش أبى بكر رضى الله عنـه يريدون عمان أيام الردة . وطخفة (بكسر الطاء وبفتح) : جبـل .
(٤) فى كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٢٥٠) : « بائس الحال » . (٥) كذا فى كتاب البخلاء،
١٥ وقد ورد هذا البيت فى الأصل محرفا هكذا :

أنا ابن بشـيران تنفس كربة * إذا لم ترح وافا من الصبح عاديا

(٦) كذا فى كتاب البخلاء وهو محمد بن يسير اليسيرىّ كما فى الكامل للبرد (ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ طبع أوربا) وطبقات الشعراء للؤلف (ص ٥٦٠ طبع أوربا)، وفى الأصل : « ابن بشير » .
(٧) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصـل : « سلما » وهو تحريف . والثرماء : من كسرت ثنيتها، شبه
٢٠ بها القدر التى تكسرت أطرافها من كثرة الاستعمال . والثلماء : المكسورة النواحى . (٨) انقاص : انشق . (٩) فى الأصل : «وانها» بالواو . (١٠) معوذة : ممنوعة، والإرجال : مصدر أرجله اذا جعله يمشى، ولعـله يريد أن هذه القدر لاتنقـل لضخامتها . و فى كتاب البخلاء : «معودة الأرحال» . (١١) فى الأصل : «ولم يمتط» .

ولا آجترعتْ من نحو مكة شُقّةً (١) * إلينا ولا جازت بها العِيسُ واديَا
ولكنها فى أصلها مَوْصِلِيَّةٌ * مجاوِرةٌ فَيْضًا (٢) من البحر جاريَا
أتتنا تُزَجِّيها (٣) المجاذيف نحونا * وتُعقِب فيما بين ذاك المَزاديا (٤)
يقول لِمَن هذى القدور التى أرى * تَهِيلُ عليها الرِّيحُ تُرْبًا وسافيا
فقالوا ولن يَخفى على كل ناظرٍ * قدورُ رَقاشٍ إن تأمّل دانيا (٥)
فقلت متى باللحم عهدُ قدورِكُمْ * فقالوا إذا ما لم يَكُنَّ عوارِيَا
من آضْحَى إلى أضحى وإلّا فإنها * تكون بنَسج العنكبوت كَماهيا
فلما آستبان الجَهْدُ لى فى وجوههم * وشكواهمُ أدخلتُهم فى عِياليَا
يُنادى ببعضٍ بعضُهم عند طلعتى * ألَا أبْشِروا هذا اليَسيرىّ جائيا

وقال أبو نُوَاس :

ودَهْماءَ (٦) تُثْفيها رَقاشُ اذا شَتَتْ * مُرَكَّبةِ الآذان أُمِّ عِيالِ (٧)
يَغَصُّ بحَيْزُومِ (٨) البعوضة صدرُها * وتُنزِلها عفوًا بغير جِعالِ

---

(١) اجترعت : قطعت . وفى الأصل : «اجترعت» بالراء .
(٢) فى الأصل : «غيضا» بالغين المعجمة . (٣) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : «تجزينا» وهو خطأ . (٤) المزادى : جمع مزداة ، والمزداة : الحفيرة يرمى الصبيان فيها النوى . (٥) رواية البخلاء : «رائيا» .
(٦) الدهماء : السوداء من القدور . وتثفيها : تجعل لها أثافىّ . وفى ديوانه (ص ١٧٦ طبع مصر) : «ترسيها» من قولهم : قدر راسية لا تبرح مكانها ولا يطاق تحويلها . (٧) أم عيال : تقوتهم وتقوم بحاجتهم . (٨) فى الأصل : تعض بحيزون . . . . » وهو تحريف . وقد ورد هذا الشعر فى ديوانه (ص ١٧٧ طبع مصر هكذا) :

يغص بحيزوم الجرادة صدرها * و ينضج ما فيها آتقاد ذبال
وتغلى بذكر النار من غير حرها * و ينزلها الطاهى بغير جعال

والجعال بالكسر : خرقة تنزل بها القدر .

ولو جئتهـا ملاى عَبِيطًا مُجَزَّلًا[١] * لأخرجتَ ما فيهـا بعُود خِلال

هى القِدْرُقِدْرُ الشيخ بكربن وائلٍ * رَبِيع اليتـامى عام كلّ هُزالِ[٢]

وقال أيضـا :

رأيتُ قُدورَ الناسِ سودًا من الصَّلَى[٣] * وقِدْرَ الرَّقاشِيِّين زَهْراء كالبـدرِ

ولو جئتهـا مَلأى عَبِيطًا مُجَزَّلًا * لأخرجتَ ما فيها على طَرَف الظُّفْرِ ٥

يُثَبِّتُهـا[٤] للمُعـتَفى بِفِنـائِهـم * ثلاثٌ كخَطِّ[٥] الثاء من نُقَط الحِبرِ

تَرُوح على حَىّ الرِّباب[٦] ودَارِمٍ * وسَـعْدٍ وتعـروها قَراضِبةُ الفِزْرِ

ولِلْحَىّ عَمْـرٍو نَفْحَةٌ من سِجالِهـا * وتَغْلبَ والبِيضِ اللَّهامِيمِ[٧] من بَكْرِ

إذا ما يُنادَى بالرحيـل سَعَى بهـا * أمامَهُـمُ الحَوْلِىُّ من وَلَدِ الذَّرِّ

وقال أبو عُبيدة : كان لعبد الله بن جُدْعانَ جَفْنَة يأكل منها القائمُ والراكبُ . ١٠
وذكر غيرهُ أنه وقع فيها صبىّ فغرِق .

---

(١) العبيط : اللحم الطرىّ . ومجزل : مقطع .

(٢) كذا فى الديوان وكتاب البخلاء . وفى الأصل : « منيع » .

(٣) فى البخلاء (ص ٢٥١) : «سودا على الصلى» . والصلى : النار . (٤) كذا فى البخلاء (ص ٢٥١) : وفى الأصل : « يبينها للمعتفى بفنائه» . (٥) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل «مخط» وهو تحريف . (٦) الرباب ودارم وسعد والفزر : أسماء قبائل . والقراضبة : اللصوص والفقراء، واحده قرضاب أو قرضوب . (٧) كذا فى كتاب البخلاء . واللهاميم من الخيل : جيادها ، ولهاميم الإبل : غزارها ، ولهاميم الناس : أشياخهم . وفى الأصل : « اللهاين من فكر » وهو تحريف . ١٥

وقال الأشعر[١] :

وأنت مَلِيخٌ[٢] كلحم الحُوَار * فلا أنتَ حُلْوٌ ولا أنت مُرّْ
وقد عَلِم الضيفُ والطارِقون * بأنك للضيفِ جوعٌ وقُـرّْ

سأل يحيي بن خالد أبا الحارث جُمَّيْزًا عن طعام رجلٍ، فقال : أما مائدته فمقنة[٣] [٤]
وأما صِحافه فمنقورةٌ من حَبّ الخَشْخَاشِ، و بين الرغيف والرغيف نقرة جوزة، و بين ٥
اللونِ واللونِ فَتْرَةُ نبِيّ. قال : فمن يحضُرها ؟ قال : الكِرام الكاتبون . قال : فيأ كل
معه أحدٌ؟ قال: نعم، الذُّباب . قال : فلهذا ثو بُك مخرَّق ولا يَكْسُوك وأنتَ معه
و بفِنائه؟ ! قال أبو الحارث: جُعِلتُ فِداءَك، واللهِ لو مَلَك بيتًا من بَغْداذَ الى الكوفة
مملوءا إبراً، فى كل إبرةٍ خيط، ثم جاءه جبريلُ وميكائيـلُ معهما يعقوبُ يَضْمَنان
عنه إبرة يَخيط بها قميصَ يوسف الذى قُدّ من دُبرٍ، ما أعطاهم . ١٠

وقال بعضهم :

ولو عليك ٱتّكالِى فى الغِذاء اذًا * لكنتُ أوّلَ مدفونٍ[٥] من الجوع

---

(١) هو الأشعر الزقبان الشاعر، واسمه عمرو بن حارثة أسدى جاهلى، قال هذا الشعر يخاطب به رجلا اسمه رضوان (انظر اللسان وشرح القاموس مادّة مسخ) وقد ورد هذان البيتان فيهما ضمن شعر له مع اختلاف فى بعض الكلمات وهو : ١٥

بحسبك فى القوم أن يعلموا * بأنك فيهـم غنىّ مضرّ
وقـد علم المعشر الطارقوك * بأنك للضيف جوع وقرّ
اذا ما انتدى القوم لم تأتهم * كأنك قـد ولدتك الحمر
مسيخ مليخ كلحم الحـوار * فلا أنت حلو ولا أنت مرّ

(٢) المليخ : الذى لا طعم له ، وخص به بعضهم لحم الحوار (وهو ولد الناقة) حين ينزل من بطن أمه . ٢٠
(٣) يلاحظ هنا أن صدر كلام جميز فى حاجة الى الوضوح لغموض عبارته . (٤) كذا بالأصل . والذى فى العقـد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) : « أما مائدته فمغيبة » بالغين والياء المثناة من تحت والباء الموحدة . (٥) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٥) : « مقتول » .

سياسة الأبدان بما يصلحها من الطعام وغيره

قال الحجاج لتياذوق متطبّبه (١): صِف لِى صفةً آخُذُ بها [فى نفسى] ولا أعدُوها، قال تياذوق : لا تتزوّج من النساء إلا شابّة ، ولا تأكل من اللحم إلا فتيّا ، ولا تأكله حتى يُنْعَم طَبْخه ، ولا تشربَنّ دواءً إلا من عِلّةٍ ، ولا تأكل من الفاكهةِ إلا نَضيجَها ، ولا تأكل طعاماً إلا أجدْتَ مَضْغه ، وكُلْ ما أحببتَ من الطعام واْشربْ عليه ، وإذا شَربت فلا تأكل عليه شيئا ، ولا تحبِس الغائطَ والبولَ ، وإذا أكلتَ بالنهارِ فنَمْ ، وإذا أكلتَ بالليل فتمشّ ولو مائة خُطْوةٍ (٢).

رَوَى عبد العزيز بن عِمْران عن الحُلَيْس بن حَيّان الأَشْجَعىّ قال حدّثنى أبى عن شيوخ من أشْجَع قال : سألنا يهودَ خَيْبَر : بِمَ صَحَحْتُم بخيبر ؟ قالوا : بشرب الخمرِ ، وأكل الفوم ، وسكونِ اليَفاعِ ، وتجنُّبِ بطونِ الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع الفجرِ وسقوطه (٣).

قال الحجاج للحَكَم بن المُنْذِر بن الجَارُود : أخبِرنى عن صفاء لونِك وغِلَظ قَصَرتِك (٤)، أَتَشْرَبُ اللبنَ فهو منه؟ قال : لا؛ قال : ولم ؟ قال : لأنه منتنة منفخة . قال : فما شرابُك ؟ قال : نبيذ الدَّقَلِ (٥) فى الصيفِ ونبيذ العسلِ فى الشتاء .

---

(١) كذا فى تاريخ الحكماء للقفطى (ص ١٠٥ طبع أوربا) وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١٢١)، وكان طبيبا مشهورا فى صدر الاسلام والدولة الأموية واختص بالحجاج بن يوسف فكان يثق به و يعتمد عليه فى مداواته . وهذا الاسم ذكر مرة فى الأصل «بياذوق» ومرة أخرى «بيادوق» ، وفى العقد الفريد «يتنادون» . وكله تحريف . (٢) فى طبقات الأطباء : «خمسين خطوة» . (٣) فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) : «عند طلوع النجم وعند سقوطه» . (٤) القصرة : أصل العنق اذا غلظ . وفى الأصل : «... عن صفاء لونك وقصر غلظ قصرتك» . (٥) الدقل (بالتحريك) : أردأ التمر وضرب من النخل تمره صغير الجرم كبير النوى .

قال عبد الملك لأعرابى : إنك حَسَن الكِدْنة[(١)]، قال : إنى أُدْفِئُ رِجْلىّ فى الشتاء، وأُغْفِل غاشية الغمّ، وآكُلُ عند الشهوة .

عن علىّ رضى الله عنه أنه قال : مَن ٱبتدأ غِذاءَه بِالملح أذهَب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء . ومن أكل كلَّ يومٍ سبعَ تمرات عَجْوةٍ قتلت كلَّ داء فى بطنه . ومن أكل كلَّ يومٍ إحدى وعشرين زبيبةً حمراء لم يَرَ فى بَدَنه شيئا يكرَهُه . واللحم يُنبِتُ اللحم . والثريدُ طعام العرب . ولحم البقر داء، ولبنُها شِفاء ، وسَمْنها دَواء . والشَّحمُ يُخرِجُ مِثْلَه من داء . ولم يَسْتَشْفِ الناسُ بشىء أفضلَ من الرُّطَب . والسَّمك يُذيب الجسدَ، وقراءةُ القرآنِ والسواكُ يُذهِب البلغم[(٢)]. ومن أراد البقاءَ — ولا بقاءَ — فلْيُباكِرِ الغَداءَ، ولْيُقَلِّل غِشْيانَ النّساء، ويُخَفِّفِ الرداء ، ولْيَلْبَسِ الحذاء . قيل : وما خِفّةُ الرّداء فى البقاء ؟ قال : قِلّة الدَّيْنِ .

قيل لرجل : إنك لَحَسَن السَّحْنة، فقال : آكُل لُبَابَ البُرّ بِصغار المَعز،وأدّهِن بِحام البنفسج[(٣)]، وألبَسُ الكَتّان .

ويقال : ثلاثة أشياء تُورِثُ الهُزالَ : شربُ الماءِ على الرِّيق، والنومُ على غير وِطَاءٍ، وكثرةُ الكلام برفع الصوت .

ويقال : أربَعُ خِصالٍ يَهْدِمن العُمْرَ وربما قَتَلْنَ[(٤)] : دخولُ الحمّامِ على بِطْنةٍ ، والمجامعة على الآمتلاءِ، وأكل القَديد[(٥)] الجافّ ، وشربُ الماء البارد على الرّيقِ؛ وقيل : ومجامعة العجوزِ .

---

(١) الكدنة (بالكسر وقد يضم) : غلظ الجسم وكثرة اللحم . وفى الأصل : «الكدية» بالياء المثناة من تحت ، وهو تحريف . (٢) كذا فى الأصل ، والعبارة غير واضحة ، ولعلها محرّفة . (٣) كذا بالأصل ، ولعلها «بحمّ البنفسج» والحم : ما أذيبت إهالته ، والمراد به دهن البنفسج وهو زيته الذى يستخرج منه .
(٤) هى من نصائح تياذوق الطبيب للحجاج كما فى طبقات الأطباء، ونسبها صاحب العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٧) لبزرجمهر . (٥) القديد : اللحم المجفف ، وقيل ما قطع منه طولا .

وفى الحديث : ” ثلاثةُ أشـياءَ تُورِث النِّسْيان أكل التُّفاح الحـامِض وسُؤْر الفأرة ونَبْذُ القملة[١]“ . وفى حديث آخر ”والحجامة فى النُّقْرة[٢] والبَوْل فى المـاءِ الراكِدِ“ .

ويقال : أربعـة أشياء تَقْصِد الى العقلِ بالإفسادِ : الإكثارُ من البصـل ، والباقِلَاءُ ، والجِماع ، والخُمَار .

وقال النَّظّام : ثلاثةُ أشياء تُخْلِق العقل وتُفسد الذِّهن : طولُ النَّظر فى المِرآة ، والاستغراب فى الضَّحِك ، ودوام النَّظرِ الى البحر .

وكان يقال : عَشَاءُ الليلِ يُورِث العَشا[٣] .

ويروى فى الحـديث : ” تَرْكُ العَشاءِ مَهْرَمة “ . والعرب تقول : ترك العَشاءِ يذهب بلحم الأَلْيَتَيْنِ[٤] .

باب الحِمْيَـــة

قال الحارث بن كَلَدَة طبيب العرب : الدواء هو الأَزْم . يعنى الحِمْيَـة .

قال آخر : الحِمية إحدى العِلّتَيْنِ .

وقيل لجالينوس[٥] : إنك تُقِلّ من الطّعامِ ، قال : غرضى من الطّعامِ أن آكُلَ لأَحْيا ، وغرض غيرى من الطعامِ أن يَحيا ليأكُلَ .

---

(١) ورد هذا الحديث فى كتاب حياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٣١١) هكذا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «ست خصال تورث النسيان : أكل سؤر الفأر و إلقاء القملة وهى حيـة والبول فى المـاء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض» . (٢) النقرة : الوهدة فى القفا . (٣) العشا : أن يسوء بصر الانسان أو هو العمى ، أو أن يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل . (٤) قال أبو زيد : مثنى الألية أليان كما تقول هما خصيان وواحده خصية وقد ورد أليتان فى شعر عنترة :

متى ما تلقنى فردين ترجف * روانف أليتيـك وتستطارا

(٥) ردو هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٦) منسوبا لأبقراط .

وقال العَمِّى[1] : مَنِ احتَمَى فهو على يقينٍ من المكروه ، وفى شكٍّ مما يأمُلُ من العافية .

وكان يقال : ليس الطبيب من حمَى الملكَ ومنعَه الشهواتِ ، إنما الطبيب من خلّاه وما يريد وساس بدنَه .

وقال بعض الشعراء :

وربَّتَ حزمٍ كان للسُّقمِ علّةً * وعِلّةُ بُرْءِ الداءِ خَبْطُ المُغَفَّلِ

ويقال : الحِمية للصحيح ضارّة كما أنها للعليل نافعة .

وفى الحديث : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صُهَيْبًا يأكل تمرًا و به رمَدٌ، فقال له : "أتأكل التمر و بك رمَد"، فقال : يا رسول الله، إنما أمضُغ بهذه[2] .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جدّه[3] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تُكرِهوا مَرْضاكم على الطّعام والشّراب فإن الله يُطعمهم ويَسقيهم" .

باب شرب الدواء

قال عبد الله بن بكر السَّهْمِىّ : حدّثنا بعض أصحابنا يرفعه الى النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "من استقلّ بدائه فلا يتداوَيَنّ فإنه رُبَّ دواء يُورث الداءَ" .

---

(١) هو عقبة بن مكرم (بضم أوله و إسكان الكاف وفتح المهملة) أبو عبد الملك البصرى الحافظ مات سنة أربعين ومائتين . (انظر الخلاصة فى أسماء الرجال) .

(٢) يريد أنه يمضغ بناحية العين التى لا رمد فيها . ونص الحديث فى الجزء السابع من شرح الزرقانى على المواهب : «وفى سنن ابن ماجة عن صهيب قال : قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم و بين يديه خبز وتمر ، فقال : «أدن وكل» فأخذت تمرا فأكلت ، فقال : «تأكل تمرا وبك رمد» فقلت : يارسول الله أمضغ من الناحية الأخرى ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى لأنه إن كان يضره أكل التمر لم يفده المضغ من ناحية العين التى لا رمد بها .

(٣) كذا بالأصل ، ولعل هذه الكلمة زيادة من الناسخ ، لأن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف روى عن أبيه ، وجدّه مات مقتولا فى الجاهلية ، كما فى كتاب المعارف لابن قتيبة ، فلم تكن له رواية عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وكانت الحكماء تقول : إياك وشربَ الدواء ما حَمَلت صِحّتك داءك .

وقالوا : مَثَلُ شُرْب الدواء مثل الصابون للثوب يُنْقِيه، ولكنه يُخلِقه ويُبْلِيه .

عن يزيد بن الأصمّ قال : لقيتُ [طبيب][1] كسرى شيخًا [كبيرا][1] قد أوثق حاجبيه بخِرْقة، وسألته عن دواء المَشْى[2]، قال : سهم يُرمى به في جوفك أخطأ أو أصاب[3] .

قال ابقْراط : الدواءُ من فوقُ، والدواءُ من تحتُ، والدواءُ لا فوقُ ولا تحتُ .

٥ وفسّره المفسّر فقال : من كان داؤه في بطنه فوق سُرّته سُقِي الدواء، ومن كان داؤه تحت سُرّته حُقِن، ومن لم يكن به داءٌ لا من فوقُ ولا من تحتُ لم يُسْق الدواء، فإن الدواء اذا لم يجد داء يعمَل فيه وجد الصحّة فعمِل فيها .

قال أبو اليَقْظان : كان عبد العُزّى[4] بن عبد المُطَّلِب يشتكى عينه وهو مطرِقٌ

١٠ أبدا، وكان يقول : ما بِعَيْنى بأس، ولكن كان أخى الحارث اذا آشتكت عينُه يقول : آكحَلُوا عين عبد العُزّى معى فيأمُرُ[5] من يَكْحَلنى معه ليُرضيه بذلك فأمْرَض عينى .

قال ابن أحمر حين شُفِى بطنُه :

شرِبتُ الشُّكَاعَى[6] وآلتددتُ أَلِدَّةً * وأقبلتُ أفواهَ العــروق المكَاوِيَا[7]

شرِبْنا وداوَيْنــا وما كان ضارنا[8] * إذا الله حَمَّ المرءَ أنْ لا تَدَاوِيَا

١٥ وفى الحديث : "داوُوا مَرضاكم بالصّدقة وحصِّنوا أموالكم بالزّكاة وآستقبلوا[9] أنواعَ البلايا بالدعاء" .

---

(١) التكلة عن أسد الغابة . (٢) المشى : الإسهال ودواؤه المَشِىّ وهو المسهل . (٣) فى الأصل : « أم » . (٤) هو أبو لهب . (٥) لعل الفاعل «أبى» أو نحوه ممن له ولاية الأمر عليه . (٦) الشكاعى : من دق النبات وهى دقيقة العيدان صغيرة خضراء ٢٠ يتداوى بها الناس . قال سيبويه : هو واحد وجمع ، وقال غيره : الواحدة منها شكاعة . وآلتددت ألدة من قولهم آلتدّ الرجل اذا ابتلع اللدود وهو ماسقى فى أحد شق الفم ، جمعه ألِدّة . (٧) أقبل المكواة الداء : جعلها قبالته . (٨) كذا فى الشعر والشعراء ص ٢٠٨ وفى الأصل : « لما » . (٩) فى الجامع الصغير : « واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع » .

الحَدَثُ والحُقْنة والتُّخَمة

عن وَهْب قال قال لُقْمان لابنه : إن طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارة إلى الرأس ، ويُورِث الباسُورَ وتَيْجَع له الكبد[(١)] ، فاجلس هُوَيْنَى وقم هوينى . فكتبتُ حكمتَه على باب الحُشّ[(٢)] .

وكان يقال : إذا خرج الطعام قبل ستّ ساعات فهو مكروه ، وإذا بقِيَ أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو مرض .

وكان أبو ذُفافَةَ الباهلىّ اشتكى ، فأشار عليه الأطبّاء بالحُقْنة فامتنع ؛ فأنشأ أعرابىّ يقول :

لقد سرّنى — واللهُ وقّاك شَرَّها — * نِفَارُك منها إذْ أتاك يقودُها

كفى سَوْءَةً ألّا تزالَ مُجَبِّيًا[(٣)] * على شَكْوَة[(٤)] وَفْرَاءَ فى اسْتِكَ عُودُها

وأشاروا على عُبَيْد الله بن زِياد بالحُقْنة فتفحّشها ؛ فقالوا : إنما يتولّاها منك الطبيبُ ؛ فقال : أنا بالصاحب آنَسُ .

قال المَدائنىّ : سأل الحجّاجُ جلساءَه : ما أذهبُ الأشياءِ للإعياء ؟ فقال بعضهم : أَكْل التَّمْر ، وقال بعضهم : الحمام ، وقال بعضهم : التَّمْرِيخ[(٥)] .

وقال فَيْروز : أذهبُ الأشياء للإعياء قَضَاء الحاجة .

---

(١) تيجع من وجع يوجع (بقلب الواو ياء) اذا مرض وتألم . (٢) الحش : البستان وقيل : النخل المجتمع ، ويكنى به عن بيت الخلاء ، لأنه كان من عادتهم التغوط فى البساتين .

(٣) مجبيا : منكبا على وجهه ، وفى الأصل : « محبيا » . (٤) الشكوة : وعاء من جلد . ووفراء : ملاى . (٥) التمريخ : التدهين .

وحدّثنى بعضُ الأطِبّاء أن رجلًا شَرِب خَبَثَ الحديد المعجون فبَقِى فى جوفه، فآشتدّ عليـه وجَعُه، فسُحِقَتْ له قِطْعةٌ من المغناطيس وسُقِى إيّاه، فتعلّق بالخَبَث وخرج مع الغائط .

قال : وقال تياذوق[1] طبيب الحجّاج للحجّاج : إن اللحم على اللحم يقتل السِّباع فى البَرِّيّة . ثم قال لى جعفر : قالت جارية لنا : كان لى ظَبْىٌ فمرّ بعجينٍ قد هُيِّئَ للخُشْكَان[2] ، فأكل منـه فخَفَس — والخَفْس : الخَبَطُ وآنتفاخُ البطن — فسُـلِخ فوُجد قـد شَرِق بالدم . وقال يونس (طبيب لنا) : هكذا يُصاب[3] الإنسان اذا بَشِم .

الأصمعى : قال بعض الأعراب : اللّهمّ إنى أسألك ميتةً كميتةِ أبى خارجة، أكل بَذَجًا[4]، وشرب مُعَسَّلا[5]، ونام فى الشمس، فلَقِى اللّه شبعانَ ريّانَ دَفْآن .

وقال آخر من الأعراب : اللهم آجعلِ التُّخَمة دائى وداءَ عيالى .

قال آبن شَبَابَةَ مولى بنى أسد : من بال ولم يَضْرِط كُتِبت آسْتُه من الكاظمين الغيـــظ .

---

(١) فى الأصل «دياذوق» وقد صححناه فيما مر . أنظر صفحة ٢٧٠ حاشية رقم ١

(٢) الخشكان كلمة فارسـية ؛ ومعناها : الخبز الجاف ؛ أو هى ضرب من الحلوى .

(٣) فى الأصل : « يصيب » . (٤) البذج : الحمل . (٥) المعسل : شراب معمول بالعسل، ومنه قول الشاعر :

اذا أخذت مسواكها منحت به * رضابا كطعم الزنجبيل المعسّل

باب القىء

عن جعفر بن سليمان أنه قال لإنسان أكول يَقِىء[(١)] اذا أكل : لا تفعل، فإن المَعِدة تَضْفِزُ[(٢)] الى القَىْء كما تَضْفِزُ الدّابّة الى العَلَف، فَلا يُنْضَج الطعامُ.

وأُخِذ مُزَبِّد شارِبا فَاْستُنْكِه[(٣)]، فأُتِى به الوالىَ فاستَنْكهوه، فقالوا[(٤)] نَكْهَتُه لاتُنْبِئُ عنه، قال مزبّد : إن لم أَقِئْ نبيذا فمن يضمن لى عَشَاءً.

رُئى الجمّال يأكل فقيل له : ما تأكل؟ قال : قَىءَ كلب فى قِحْفِ[(٥)] خنزير.

النَّكْهَةُ

سُئِل تياذوق عن البَخَر فقال : دواؤه الزبيب يُعجن بسعتر[(٦)] ثم يُؤْكل أسبوعين أو ثلاثة. جُرِّب فذَهَب.

وتقول الروم فى الكَرَفس : إنه يُطيّب الفم ويُذهب البخر، ويحتاج إلى أكله من يشاهد السلطان ومحافلَ الناس وكان أكثرُ كلامه السِّرارَ[(٧)].

قالت الأطباء : الجَزَر المشوِىّ والخبز المَقْلُوّ بالزيت أو بالسمن إذا مُضِغ ورُمِى بثُفْلِه[(٨)] قاطعٌ لرائحة البصل من الفم. والفُوم[(٩)] إن أكله آكلٌ فأحبّ أن يقطع رائحتَه مضَغ ورقَ الزيتون الطَّرِىّ وتمضمض بعده بالخلّ.

---

(١) فى الأصل : «ليق». (٢) تضفز : تثب. (٣) استنكهه : شمّ ريح فمه، وأمره أن ينكه ليعلم أشارب هو أم غير شارب. (٤) فى الأصل : «قالوا».

(٥) القحف : ما انفلق من الجمجمة فبان أى انفصل، ولا يدعى قحفا حتى يبين أو ينكسر منه شىء.

(٦) السعتر : نبت طيب الرائحة حريف زهره أبيض الى الغبرة. (٧) السرار : المسارّة.

(٨) الثفل : ما سفل من كل شىء وهو خثارته. (٩) الفوم : الثوم.

والسُّعْد[1] قاطع لرائحة النبيذ من الفم . وحَبّ الأُتْرُجّ مطيِّب للنَّكْهة . والبَخَر لا يكاد يكون فى الملّاحين لأكلهم المُلّاح[2] .

وقرأت فى الآيين : أن رئيس الحرم أمر جوارىَ الملك ألّا يأكُلْن الثُّوم والبصل والكرّاث واللُّفّاح[3] والحِمَّص الرَّطْب والمشمش؛ فإنه يُورِث البخر.

باب المياه والأشْرِبة

٥

قالت الأطِبّاءُ : معرفة خِفّة الماء بأن يكون سريعَ الغَلَيان ويكونَ سريعَ البَرْد. وأحْمَد المياه ما كان قِبالَةَ المشرق ومجراه مجرى الشمال ومروره على الطين الأحمر وعلى الرمل . قالوا : ومما يُصَفِّى من الماء الكَدَرَ فيصفو سريعاً أن يُلْقَى فيه قِطَعٌ من خشب السَّاج[4] أو قطعٌ من آجُرٍّ جديد .

قال بعض المُحْدَثين :

١٠

يمنع أمَّه بالشمال * وماؤها البارد الزلال
يصيح فيها وقايتونا * يجرى به الثلج فى مثال[5]

(١) السعد نبات له أصل تحت الأرض أسود طيب الرائحة . وفى الأصل : «السغد» .

(٢) فى الأصل : « لأكلهم الملاحين » ولم نجد له معنى مناسبا ، فلعلها محرّفة عما أثبتناه . والملاح : ضرب من نبات الحمض أو حمضة مثل القُلّام فيه حمرة . (٣) اللفاح : نبات يقطينىّ أصفر شبيه بالباذنجان . (٤) الساج : شجر يعظم جدّا لا ينبت إلا ببلاد الهند ، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه . (٥) كذا بالأصل ، ولم نعثر على هذين البيتين ولم نوفق الى تصويبهما .

١٥

وقال صاحب الفِلاحة : من أراد أن يَعْذُبَ له المـاءُ الزُّعَاقُ(١) جعله فى قِـدْر جديدة من خزَف وغطّى فاها بأسحال(٢) ثم أوقد تحتها حتى تَغلى ويَحْصُلَ فيهـا نصفُ ذلك المـاء ثم صفّاه وتركه، فانه يَجده شَرُوبا(٣) .

وقالوا : ماء دِجْلة يَقْطَع شهوةَ الرجال ويذهبُ بصهيِل الخيل ونشاطها، ومن لم يأ كل الدسم عليه أنحلّ عظمُه ويَبِس جِلْدُه، وهو مع هذا أَهْضَمُ للطعام من غيره من المياه وأسرَعُها بردا .

قال : والنِّيل يستقبِل الشَّمال وينصُبُ فى وقت زيادة الأودية ويزيد فى وقت نقصانها . وزيادة أوّله وآخره معها ؛ ولا تكون التماسيحُ إلا فيه ؛ قال الشاعر :

أضمرتُ للنيــل هِجْرانًا ومَقْليــةً * إذ قيل لى إنما التمساح فى النيـلِ
فمن رأى النيل رأىَ العين من كَثَبٍ * فما أرى النيل إلا فى البواقيـلِ(٤)

والسَّقَنْقُور(٥) أيضا لا يخرج إلا منه .

---

(١) الزعاق : المر الغليظ . (٢) أسحال : جمع سحل وهو الخرقة البيضاء . وفى الأصل : «سحال» ولم يرد هذا فى جمع سحل وانما جمعه أسحال وسحول وسحل . (٣) الشروب : الماء دون العذب يصلح للشرب مع بعض كراهة . (٤) البواقيل — كما فى معجم البلدان (ج ٤ ص ٨٦٨ طبع أوربا) — : كيزان يشرب منها أهل مصر . وقد روى فى شفاء الغليل وزهر الآداب (ج ٢ ص ١٨٠ طبع المطبعة الرحمانية) : «البراقيل» بالراء، وفسره الخفاجى بأنه جمع برقال وقال إنه كوز من الزجاج . ولم نجد هذين البيتين فى ديوان أبى نواس وهو الذى نسب له البيتان . (٥) السقنقور كما فى خطط المقريزى (ج ١ ص ٦٦) : صنف يتوالد من السمك والتمساح فلا يشا كل السمك لأن له يدين ورجلين ، ولا يشا كل التمساح لأن ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس ، وذنب التمساح سخيف مضرس . وذكره ابن البيطار فقال : هو شديد الشبه بالورل يوجد بالرمال التى تلى نيل مصر فى نواحى صعيدها وهو مما يسعى فى البر ويدخل فى المـاء — يعنى النيل — ولهذا قيل له الورل المـائى لشبهه به ولدخوله فى الماء .

ورُوى فى الحديث عن الضحّاك بن مُزَاحِم أنه قال قَذَف الفُرات فى المَدّ رُمّانةً[1] كأنها البعير البارك، وتحدّث أهلُ الكتاب أنها من الجَنّة .

وقال ابن ما سـويه : ينبغى للماء الغليظ الذى ليس يَعـذُب أن يُطْبَخ حتى يَذْهب منه نصفُه، ثم يُطْرَح فيه السَّوِيقُ أو الطينُ الأحمرُ فانه يلطِّفه ويُذهب غائلتَه ويُعْذِبه ويمنع كدَرَه .

قالت الأطباء : الفُقّاع[2] المُتَخَذُ من دقيق الشعير نافع من الجُذَام . والجُلّاب[3] قاطع لكثرة دم الحيض، . والسَّكَنْجَبِين[4] نافع من الذُّبْحة اذا كانت من حرارة، يُشرب ويتغرغَر به .

باب اللُّحمان وما شاكلها

قالت الأطباء : لحمُ الماعز يُورث الهَمَّ، ويُحرّك السوداءَ، ويُورث النسيانَ، ويَخبُل الأولاد ، ويُفسد الدم، وهو ضارٌّ لمن سكن البلادَ الباردةَ . وأحمدُ اللُّحمانِ ماخُصِىَ من المَعز . والضأنُ نافع من المِرّة السَّوْداء[5]، إلا أن المَمْرورين الذين يُصْرَعون اذا أكلوا لحمَ الضأن آشتدّ بهم ذلك حتى يُصْرَعوا فى غير أوانِ الصَّرْع . وأوانُ الصَّرْع الأهِلّةُ وأنصافُ الشهور .

---

(١) فى معجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٨٦١) : «ومما يروى عن السدى، والله أعلم بحقه من باطله، قال : مدّ الفرات فى زمن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فألقى رمانة قطعت الجسر من عظمها ، فأخذت فكان فيها كُرّ حبّ ، فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وكانوا يرونها من الجنة . وهذا باطل لأن فواكه الجنة لم توجد فى الدنيا . ولولم أر هذا الخبر فى عدّة مواضع من كتب العلماء ما استجزت كتابته» اهـ .

(٢) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير، سمى بذلك لما يعلوه من الزبد . (٣) الجلاب : باللام مشدّدة ومخففة : العسل أو السكر، عقد بوزنه أو أكثر من ماء الورد . (٤) السكنجبين : شراب من خل وعسل ، ويراد به كل حلو وحامض . (٥) المرّة السوداء : خلط من أخلاط البدن .

قال الشاعر (١) :

كأن القومَ عُشُّوا لحمَ ضأنٍ * فهم نَعِجون (٢) قد مالت طُلاهم

قالوا : واللحم أقلّ الطعام نَجْواً (٣) . ولحم الدَّجاج الهَرِم شرّ اللُّحمان وأغلظُها .

والبيْضُ إن سُلِق بالخَلّ ثم أُكِل بالسُّمَّاق (٤) وحبّ الرمّان المُفَلَّق والملح والمُرِّيّ (٥) عقلَ الطبيعةَ .

٥

والزُّبْدُ إن طُلِيَ على منابت أسنان الطفل كان مُعِيناً على نباتها وطلوعها ، والمخّ والدِّماغ يفعلان ذلك .

مَضارّ الأطعمة ومنافعها

الكَمْأة (٦) والفُطْر (٧) — عن أبي هريرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم يذكرون الكَمْأة وبعضُهم يقول جُدَرِيّ (٨) الأرض ، فقال : " الكَمْأةُ من المَنّ (٩) وماؤها شِفَاءٌ للعين والعَجْوةُ من الجنّة وهى شِفاء من السُّمّ " .

١٠

---

(١) هو غيلان بن عقبة العدوىّ المعروف بذى الرمة . (٢) كذا فى اللسان (مادة نعج) ، ونعجون : ثقل أكل لحم الضأن على قلوبهم ، يريد أنهم قد اتخموا من كثرة أكلهم الدسم فمالت طلاهم (أعناقهم) ، وفى الأصل « بعجون » بالياء الموحدة وهو تحريف . (٣) النجو : ما يخرج من البطن من ريح أو غائط . (٤) السماق : (بالتشديد) من شجر القفاف والجبال وله ثمر حامض عناقيد فيها حب صغار يطبخ ، وهو شديد الحمرة . (٥) المرىّ : يعمل عمل الملح الا أنه أقوى منه وألطف . وفى مفردات ابن البيطار : «وليس يوافق البيض وخاصة المسلوق منه أصحاب المعدة الضعيفة فان اضطر الى إدمان أكله فليؤكل بالملح والفلفل والمرىّ» . وفى الأصل : «والملح المشوى» وهو تحريف .

١٥

(٦) الكمء : نبات مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه الى الغبرة والسواد ، يوجد فى الربيع تحت الأرض . وهو عديم الطعم وأنواعه كثيرة يؤكل نيئا ومطبوخا . (٧) الفطر : ضرب من الكمأة قتال . (٨) شبهت الكمأة بالجدرى ، وهو الحب الذى يظهر فى جسد الصبى ، لظهورها من بطن الأرض كما يظهر الجدرى من باطن الجلد ، ويراد بذلك ذمها (انظر النهاية لابن الأثير) .

٢٠

(٩) معنى الحديث أن الكمأة شىء أنبته الله من غير سعى ولا مؤونة من أحد ، وهو بمنزلة المنّ الذى كان ينزل على بنى اسرائيل .

الأصمعيّ عن بعض مشايخه قال : ثلاثة أشياء رُبّما صرعت أهل البيت عن آخرهم : الجرادُ، ولحوم الإبل، والفُطْر .

وتقول الأطبّاء: إنّ أردأ الفُطْرِ ما نبت تحت ظلال الشجر، وأردأه كلّه ما كان فى ظلّ شجر الزيتون فإنّه قتّال .

٥ قالوا : والكُمَّثْرَى إذا طُبِخ مع الفُطْر أذهب ضرره .

قالوا : والفُطْرُ يورث الذُّبْحَة[(١)] .

قدم أعرابىٌّ المِصْرَ فأكل فُطْرا، فأصابته ذُبْحةٌ، فقيل له : إن الطبيب بعث أن يُحْلَب فى فيك، فقال : ما زلت أسمع باللئيم الرّاضِع[(٢)] ولا والله لا أكونه، قالوا : فتموت إذًا، قال : وإن متُّ .

١٠ وتقول الأطباء : إنْ أكل آكِلُ الفُطْرَ فأضرَّ به، سُقِى الكُرُنْبَ المعصورَ وسُقِى من خُرْءِ الدَّجاج وزنَ درهمين مع خَلّ وعسلٍ مطبوخ وقُيِّئَ به .

قالوا : والكَمْأةُ تورِث وجع القُولَنْج[(٣)] والسَّكْتَة والفالِجَ ووجع المَعِدة .

قالوا : والذباب لا يَقْرَب قِدْرًا فيه كَمْأةٌ .

ومن أراد آتخاذَ الكَمأةِ اليابسةِ جعلها فى الطين الحُرِّ يوماً وليلةً ثم غسلها

١٥ وآستعملها .

بلغنى عن فتًى من أهل الكتاب أنه قال : كنّا فى طريق مكّة بالخُزَيْمِيّة[(٤)]، فأتانا أعرابىٌّ بكَمأةٍ فى كِساءٍ قَدْرَ ما أطاق، فقلنا : بِكَم الكَمأةُ ؟ قال : بدرهمين،

---

(١) الذبحة : داء يأخذ فى الحلق وربما قتل . (٢) سيذكر المؤلف أنه الذى يرضع الحلب فلا يحلبه فى الاناء لئلا يسمع صوت الحلب، وقال بعضهم : لئلا يضيع من اللبن شىء .

٢٠ (٣) القولنج : مرض معوىّ مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح، والفالج : الشلل .

(٤) الخزيمية : منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية بالكوفة وقبل الأجفر، وقال قوم : بينه وبين الثعلبية آثنان وثلاثون ميلا، وقيل : إنه : "الحزيمية" بالحاء المهملة .

فاشتريناها منه ودفعنا الثمنَ إليه ، فلما نهض قال له بعضُنا : « فى ٱسْتِ المَغْبُون عودٌ »[1] ، قال : بل عودان ، وضرب الأرضَ برجله ، فاذا نحن على الكمأة .

قال بعض الشعراء :

جنيْتُها تملأ كفَّ الجانى * سوداءَ مما قد سَقَى السَّوانِى[2]

* كأنها مدهونةٌ بالبانِ[3] *

وهذه صفة أجود الكمأة وأقلّها أذًى .

البصـــل والثُّـــوم

دخل داخلٌ على نَصْر بن سـيَّار وحوله بَنُونَ له صِـغارٌ ، فقال : هل تدرُون ما ولدى هؤلاء ؟ هؤلاء بنو البصل ؛ وكان يأكله نيئاً ومشوِيّاً ومطبوخا .

والأطبّاء تقول فى البصل : إنه يشهّى الى الطعام إن أُكل مشوياً أو نيئًا ، ويشهّى الى الجماع . و إن دُقّ وشُمّ عطّس وشهَّى الطعامَ . و إنِ ٱكتُحِل بمائه مع العسل جلا البصرَ . و إنْ وُضع مع الملح والسّذابِ[4] على عضّة الكَلْبِ الذى ليس بكَلِبٍ نفَع . والإكثارُ منه يُفسد العقلَ . والمسلوقُ منه يُدِرّ البولَ والدّمعة .

(١) مثل يضرب لمن غبن . (٢) السوانى : جمع سانية وهى ما يسق عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره . (٣) البان : شجر يسمو و يطول فى استواء مثل نبات الأثل ، و ورقه هدب كهدب الأثل ، وخشبه خوّار رخو خفيف ، وقضبانه سمجة خضر ، وهدبه ينبت فى القصب ، وهو طو يل أخضر شـديد الخضرة ، وثمرته تشـبه قرون اللو بيا إلا أن خضرتها شـديدة وفيها حبـه ، واذا انتهى انفتق وانتثر ، حبه أبيض أغبر مثـل الفستق ومنه يستخرج دهن البان . (راجع مفردات ابن البيطار) . (٤) السذاب : بقل يفرّع فروعا تطلع من ساق له قصيرة تتشعب عليه شعب مثـل الأغصان ، و يحمل فى أطراف أغصانه رءوسا تتفتح عن ورد صغار الورق أصفر ، واذا انتشر سقط منـه الحب ، وله طبائع وخواص مذكورة فى كتب الطب .

العصـافير إن أُكلتْ بالزَّنجبيل والبصـل هَيَّجت شهوة الجماع وأكثرت المَـنِيّ .

عن طارق بن شِهاب قال : بعث سُليمان النبيّ عليه السلام بعض عفاريتـه و بعث معـه رجلًا وقال : رُدَّه إليّ وٱنظرْ الى صنيعه . فمرّ على أهل بيتٍ يبكون فضحِك ، ودخل الى السوق ونظر الى الناس فرفع رأسَـه الى السماء وهزّه ، ونظر الى الثُّـوم وهو يُكال [كيلا] والفُلْفُل [وهو] يُوزَن وزنا ، فضحك . فلما ردّه الى سليمانَ عليه السلامُ وأخبره بمـا جرى منـه ، قال : لِمَ ضحكتَ من أهـل البيت ؟ ولِمَ هَزَزْتَ رأسـك حين نظرتَ الى السوق ؟ ولِمَ ضحكتَ من الثُّوم والفُلفـل ؟ قال : أمّا أهـلُ البيت فإنّ الله أدخل ميّتهم الجنّـةَ وهم يبكون عليه ، ونظرت الى الناس فى السُّوق والملائكةُ من فوق رءوسهم ، والناسُ يمْلُون والملائكةُ سِراعًا يكتبون ، فهززتُ رأسى ، ونظرتُ الى الثُّوم وهو شِفاءٌ يُكال كيلا ، والى الفلفل وهو داءٌ يوزن وزنا . وعن وَهْبٍ : أنّ سليمان عليه السلام[١] قال : مم كنتَ تضحك؟ قال إنى مررت برجل يشترى خُفَّين و يقول لصاحبهما : شَرْطِى عليك أنْ ألبَسَهما عشر سنين لا يتخرّقان ، فَعجبتُ كيف شَرَط أملَه ونسِى أجلَه . ومررت بعجوزٍ دُهْرِيّة[٢] تَتَكَهّن وتُخبر الناسَ بما لا يعلمون ، والّذى سخّر لك الريحَ وأذلّ لك الجنّ وعَبَّدلك الشياطينَ ، إنّى لأعلم فى بيتها تحت فراشها مطمورةً[٣] فيها قناطيرُ من ذهب وفضّةٍ وهى لا تدرى ما تحتها ، وقد ماتت هَزْلًا[٤] وجوعا وحاجةً . ومررتُ بأُخْرَى دُهْرِيّةٍ تتطبّب وكان بها

---

(١) فى قصص الأنبياء (ص ٢٤٣ طبع بولاق) : «أن سليمان عليه السلام دعا صخرا الجنىّ لنحت الجواهر من غير تصويت ، فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان ، فسأل سليمان رسله عما أحدث صخر فى طريقه ، فقالوا : يا نبى الله إنه كان يضحك فى بعض الأحايين من الناس ، فقال له سليمان ... الخ» وقد ورد فى الحكاية تقديم وتأخير مع اختلاف فى بعض الألفاظ . (٢) الدهرية (بضم الدال) : هى التى أتى عليها الدهر وطال عمرها . (٣) المطمورة : الحفيرة تحت الأرض . (٤) الهزل : الضعف .

مرّةً داءٌ، فأكلتِ البصل فصادفتْ منه بُرءًا، فظنَّت أنه حَسَم داءَها وشفاها، فهى تَصِفُه للناس من كل داء، وقد كانت فى ظهرها ريحٌ حُبِستْ[(١)] منذ زمانٍ فأكلتِ الثُّوم أحدًا وعشرين يومًا فشُفِيتِ منه، فعَجِبتُ لها كيف تَدَعُ أن تَصِفَه. ومررت برجلٍ على شاطئ نهر يستقى منه فى قُلّة له ومعه بغلة، فلما سقَى البغلةَ ملأ القلّة ورَبَط البغلةَ بأُذُن القُلّة وذهب لِبعض حاجته، فنَفرتِ البغلةُ وكسرت القلة؛ فجعل يلعن الشيطان، وبَرّأ عقلَه ونسِى فعلَه. ومررتُ بقومٍ يذكرون الله فاجتهدوا ونَصِبوا وٱبتهلوا، فلما أظلّت الرحمةُ ملّ رجل منهم فقام، وجاء آخرلم يَنصَبْ معهم فجلس مجلِسه، فنزلت الرحمةُ فدخل فيها معهم وحُرِمَها الأوّلُ؛ فعَجِبتُ من سعادة هذا وشقاوة هذا.

وتقول الأطبّاء: إنّ الثُّوم إذا شُوِىَ بالنار ووُضِع على الضِّرس المأكول ودُلِكتْ به الأسنان التى يَعْرِض[(٢)] فيها الوجع من الرطوبة والريح، أذهب ما فيها بإذن الله من الوجع.

قال: وهو ينفع من العَطَش الحادث من البلغم، ويقوم مقام التِّرْياق فى لَسْع الهوامِّ، والأمراضِ الباردة.

وتقول الرومُ فى الثُّوم: إنه دواء لمن أصابه وَجَعُ السَّقْىِ[(٣)] فى بطنه. وإن أكلَه مَنْ ظهر [فيه][(٤)] حَرَّةٌ من شَرًى[(٥)] أو غيره أبرأه. وإن دُقَّ الثُّوم يابسًا فأُغْلِي بسَمْنٍ ولبن ثم جعَلَه مَن يشتكى ضِرسَه فى فيه سُخْنًا فأمسَكه ساعة، ذهب وَجَعُ ضرسه؛ وهو نافع لمن ٱجتوى[(٦)].

(١) وردت هذه الجملة فى الأصل محرّفة هكذا: «جتهازمان».
(٢) يعرض: يظهر. (٣) السق: ماء أصفر يقع فى البطن وهو المعروف فى الطب بالاستسقاء أو الصفار. وفى الأصل: «السقيا». (٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) الشرى: بثور بعضها صغار وبعضها كبار حكاكة مكربة مائلة الى الحمرة مائية. (٦) ٱجتوى بالجيم: من الجوى وهو داء السل أو داء يأخذ فى الصدر أو هو كل داء يأخذ فى الباطن لا يستمرأ معه الطعام.

الكراث

قالت الأطباء : الكُرّاث النَّبَطِىّ اذا أُدمِن كانت فيه أحلامٌ رديئة ، وولّد بُخَارًا فى الرأس رديئًا . و إن صُبّ فى مائه خلٌّ ودُقَاق كُنْدُر[1] وٱسْتُعِطَ به سَكَّن الصُّدَاع . و إن سُلِق أو طُحِن وأُكِل أو ضُمِّد به البواسيرُ العارضةُ من الرطوبة نفع منها .

٥ وماءُ الكُرّاث إذا خُلِط بمثله من أَلْبانِ النساء ودُهْنِ الورد والكُنْدُرِ وكُحِّل به عينُ من أصابتْه غَشَاوةٌ فى عينه فلم يُبْصِر ليلًا نفعه . وأكلُ البصل نافعٌ لذلك أيضا .

الكُرْنُبُ والقُنَّبِيط

قالوا : الكُرْنُبُ مُعِينٌ على الإكثار من النبيذ إذا أُكِل ، وهو مُدِرٌّ للبول . وقالت الروم : بين الكُرْنُبِ والكَرْم عداوةٌ ، ولا يَكاد يَصْلُح الكَرْمُ والكُرْنُبُ اذا ١٠ تجاورا . قالت الأطباء : إن ٱحتملت [المرأةُ][2] بِزْرَ الكُرْنُب بعد الحَيْض أسهل المَنِىّ وأفسده ولم يكن معه حمل ، وشربُ مائه مع الشِّيح الأرْمَنىّ غير المطبوخ أو ماءِ التُّرمُس المُنْقَع مُخْرِجٌ لحَبِّ القَرْع[3] من البطن . والقُسْطُ[4] أيضا خاصّةً بِزْره يُفْسِد المَنِىّ إذا ٱحتملتْه المرأة بعد طُهْرها ، ومقدارُ ما يُحْتَمَل وزنُ درهمين .

وتقول الروم : الكُرْنُب إن طُبِخ وخُلِط ماؤه بالحَنْدَقُوق[5] وسُقِى المرأةَ التى تأخّر ١٥ حَيْضُها حاضت لحينها .

---

(١) الكندر : ضرب من العلك وهو اللبان الذكر .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) حب القرع : اسم دود يكون فى البطن . (ابن البيطار ج ١ ص ١٥١) . (٤) القسط : عود هندىّ يتداوى به . (٥) الحندقوق : بقلة وحشيشة كالفث الرطب (شجر ينبت فى السهول والآكام وله حب كالحمص) وقيل هو الهيد ، والهيد : الحنظل ، نبطىّ معرّب و يقال لها بالعربية : الذرق .

٢٠

قالوا : واذا خُلط ماءُ الكُرْنب بالبَنْج(١) كان نافعا للسُّعال .

قال أبو محمد : شكوتُ الى حُنَيْنٍ الطبيب عِلّةً كنتُ أجِدُها فى حَلْقى لا أكاد أبتلِعُ معها رِيقى ، فقال : هى بيّنة فى عينك . فتَغَرْغَرْ بعَقِيد العنب مع خميرٍ ثلاثةَ أيام فى كل يوم ثلاثَ مرات ، ففعلتُ ذلك يوما واحدًا فذهب .

قالوا : واذا دُقّ الكُرْنب وخُلِط به شئٌ من زَاج(٢) الأسا كِفة وشئٌ من خلّ ، فأُوجِف(٣) ذلك بالخطْمِىّ(٤) ، ثم طُلِى به بَرَصٌ أو جَرَبٌ نفع باذن الله تعالى .

السَّلْجَم(٥) والفُجل

تقول الأطباء فى الفجل : إنه مهيِّج للجماع زائدٌ فى المَنِىّ ، وبِزْرُه نافعٌ من السموم

قالوا : والفُجل هاضِمٌ للطعام ، فإن أُكِلَ بِزْرُه بعسل كان دواء من السُّعال والفُوَاق ، واذا شُدِخَتْ(٦) قطعةُ فجل فطُرِحت على عَقْرب ماتتْ ، وماؤُه وبِزْرُه للسموم بمنزلة التِّرْياق . واذا طَلَى أحدُ يدَه بمائه ثم قبض على حيّةٍ أو غيرها من الهوامّ لم يُضارَّ ذلك

(١) البنج : هو الشيكران بالعربية ، وهو نبت له قضبان غلاظ وورق عراض صالحة الطول مشققة الأطراف الى السواد ، عليها زغب وعلى القضبان ثمر شبيه بالجلنار مملوء ببزر شبيه ببزر الخشخاش (ابن البيطار ج ١ ص ١١٧) .

(٢) الزاج : الشب اليمانى ، وجاء فى مفردات ابن البيطار أن الزاج العراقى هو المعروف بزاج الأساكفة . (٣) أوجف : حرك . (٤) فى الأصل كالخطمى . والخطمى نبات ينفع الأمراض الصدرية . (٥) السلجم : يلاحظ هنا أنه لم يتكلم عنه فى هذا الباب من هذا الكتاب ، وربما كان ذلك عن نقص فى النسخ . ونحن ننقل هنا باختصار ما قيل عنه فى كتاب الجامع لابن البيطار إتماما للفائدة قال : السلجم ، وقد تعجم سينه ، هو اللفت . وبزر هذا النبات يهيج شهوة الجماع لأنه يولد رياحا نافخة ، وأصله نافخ عسر الانهضام ويزيد فى المنى ، وقلوب ورقه تؤكل مطبوخة فتدرّ البول ، وبزره يستعمل فى أخلاط بعض الأدوية المعجونة النافعة من لسع ذوات السموم ، واذا عمل السلجم بالماء والملح كان أقل لغذائه اذا أكل ، غير أنه يحرّك شهوة الطعام . (٦) كذا فى مفردات ابن البيطار . وفى الأصل «واذا شدح والرطب فطرحت» وهو تحريف .

الموضعُ. قالوا : وإن دُقّ بِزْره مع الكُنْدُر وطُلِى به البَهَقُ الأسودُ فى الحمّام أذهبه. وإن شُرِب ماءُ ورَقِه نفع من الأَرَقانِ[١] الحادث من الطِّحال.

البَاذِنْجان

قالوا : والباذِنْجان مُكْلِف[٢] للوجه يُورِث داءَ السَّرطانِ والأورامَ الصُّلْبَة. وحدّثنى أبى عن أبى الحارث جُمَّيزٍ أنه سمعه يقول فى الباذِنْجان : لا آكُلُه، لون العقرب وشَبهُ المِحْجمة[٣]. قيل له : فقد رأيناك تأكله على خِوَانِ فلانٍ! قال: كان مَيْتَةً وأنا مُضْطَرّ.

الخِيَار والقِثّاء

قالوا : شَمّ الخِيَار نافع لمن أصابه الغَشْىُ[٤] من الحرارة. وبِزْر القِثّاء اذا شربه من به حُمّى الأسى[٥] نفعه. وإن أصابت رضيعا حُمّى فألزقتَ به خِيارتين تَمَسّان جلدَه إحداهما عن يمينه والأخرى عن شِماله، أقلعت الحُمّى عنه.

السِّلْق

قالوا : والسِّلق إن دُقّ مع أصله وعُصِر ماؤُه وغُسِل به الرأسُ ذهب بالأَبْرِبة وأطال الشعر.

---

(١) الأرقان : لغة فى اليرقان وهو، كما فى اللسان والقاموس وشرحه، داء يصيب الناس يصفرّ منه الجسد، وفى الأصل «الأرقال» باللام وهو تحريف. (٢) مكلف : مغير للوجه بحمرة كدرة تعلوه تسمى الكلف وتعرف بالنمش. (٣) المحجمة : قارورة الحجام.

(٤) الغشى بالفتح ويضم : تعطّل أكثر القوى المحرّكة والحساسة لضعف القلب من الجوع أو الوجع.

(٥) كذا بالأصل. ولعله «الأُسْر» وهو احتباس البول.

الهِلْيَوْن (١)

قالوا : والهِلْيَوْن مُدِرٌّ للبول، نافع من القُولَنْج .

القَـــرْع

قالوا : إذا شُوِى القرعُ بالنار ثم عُصِر فجُعِل من مائه فى أُذُن من آشتكى أُذُنَه نفعه . وإن دُهِنت منابت شعر اللِّحْية بدهن القرْع المُرّ، وقِثّاءِ الحِمار (٢) مُذاباً فيه شِيحٌ أَرْمَنِىّ أسرع فيها نباتُ الشَّعر .

البقـــول

قالوا : والجِرْجيرُ زائد فى البـاه والإنعاظِ مُدِرٌ للبول . وتذكر الروم أنّ من أكل الجرجير ثم ضُرِبَ بالسِيَاط هَوّنَ عليه بعضَ ذلك الجَـلْدِ . قالوا : وهو ينفع من ذَفَرِ (٣) الإبطَين إذا أُكِلَ على الريق وطُلِيَ الإبطان بمائه . وتزعم الروم أنّ ماءه ينفع من عَضّة (٤) آبن عِرْسٍ .

وقال بعضُ الأطباء : إن ذُرَّ بِزْرُ الجِرْجير مدقوقًا فى البيض وحُشِىَ كان ذلك زائدا فى الباه والإنعاظِ زيادة بيّنة . قال أبو حاتم عن القَحْذَمىّ قال : أكله أعرابىّ فأنعظ شهرا، فقال الفرزدق يَفْخَر به :

---

(١) الهليون : نبت ورقه كورق الشبت ولا شوك له البتة وله بزر مدوّر أخضر ثم يسودّ ويحمرّ (مفردات ابن البيطار، ج ٤ ص ١٩٥) . (٢) قثاء الحمار : نوع برى من أنواع القثاء . وفى الأصل «قثاء الخيار» وهو تحريف . (٣) الذفر : رائحة الإبطين الكريهة . (٤) كذا فى نهاية الأرب للنويرى فى باب الخضراوات والبقول ومفردات ابن البيطار فى اسم الجرجير . وفى الأصل وردت هذه اللفظة هكذا «عضة ابن مقرص» وهو تحريف .

ومنا التميمىُّ الذى قام أَيْرُه * ثلاثين يومًا ثم زَادَهُمُ عَشْرَا(١)

قالوا : والسَّذَابُ(٢) قاطع لشهوة الجمـاع . وقالت الروم : إن أَكَلتِ آمرأةٌ حاملٌ أربعةَ مثاقيلَ(٣) كلَّ يوم بمـاء سُخْنٍ أو نبيذٍ خمسةَ عشر يوما أسقطتْ ولَدَها .

وقال بعض الشعراء :

كم نعمةٍ للسَّـذَابِ * جَليـلةٍ فى الرِّقابِ

النـاسُ عنها غُفُولُ * إلّا ذَوِى الألبـابِ

فالحمـــد لله شكرًا * لولَا مكانُ السَّذَابِ

لَغَيَّبَ(٤) الأرضَ نسلُ الـ * ـمُغَنّيات القِحابِ

قالوا : والبقلةُ(٥) الحمقاء اذا مُضغت أذهبتِ الطَّرَش ، واذا أُكلت أذهبتْ شهوةَ الجماع . والروم تقول : إن نظر ناظرٌ عنـد رؤية الهلال الى الهِنْدِباء(٦) نحلف بإلٰه القَمَرِ ألّا يأكلَ هِنْدِباءَ ولا لحمَ فَرَسٍ ، سَـلِمَ فى كلّ شهْرٍ يحلِف فيه من وجع الضـــرس .

قالت الأطبـاء : الخَسُّ اذا أُكِلَ على الريق نافعٌ لتغيير المـاء ومن يتأذّى باحتلام . واذا شُرِب بِزْره بمـاءٍ باردٍ [قطع شهوةَ الجماع](٧) .

(١) كذا بالأصل ولم نجد هـذا البيت فى ديوان الفرزدق ، ولعله أجرى الأيام مجرى العاقل أو لعلها «ثم قد زادها عشرا » أو «ثمّ أتبعها عشرا » أو نحو ذلك . (٢) تقدّم شرح هـذه الكلمة فى ص ٢٨٣ من هذا المجلد . (٣) تمـام الكلام يحتاج الى أن يكون بعـد كلمة «مثاقيل» من «السذاب» أو «من بزر السذاب» . (٤) فى الأصل : «تغيب الأرض» . (٥) يقال : بقلة الحمقاء بالاضافة على تأويل بقلة الحبة الحمقاء ، والبقلة الحمقاء بالنعت . قال ابن سيده : هى التى تسميها العامة الرجلة . (٦) الهندباء : صنفان برى و بستانى والأوّل أعرض ورقا من الشانى ، والبستانى صنفان : أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق والآخر أدق ورقا منه وفى طعمه مرارة (مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ١٩٨) . (٧) التكلة عن ابن البيطار فى كلامه على الخس .

قالوا : والخَرْدل إن أُكْثِرَ من أكله أَورَثَ ضعفا فى البصر، وهو مُكَثِّر للّبن مُدِرٌّ للبول، وهو نافع من الصَّرْع . وإن اكْتُحِل بمائه بعد أن يُغْلَى عليه ويُصَفَّى جلا البصرَ الضعيفَ من الرطوبة . وتزعم الروم أن ماءَه يصْلُح للأطفال من الحُمّى اذا أصابتهم . وهو يُفسِد الذهن ويُورِثُ النِّسيانَ ويُضعِف البصرَ .

٥ قالت الأطباء : النَّعْنَاع يُسَكِّن القئ، وينفع من الفُوَاق الحادث من البلغم اذا شُرِب مع النَّمَّام.(١)

وتقول الروم : الحَبَق(٢) الذى على شطوط الأنهار نافعٌ للرَّمَد اذا دُقّ ونُخِل واكْتُحِل به، وإن مضغه ماضغٌ ووضعه على عينه نفعه .

وأما الفُوذَنْجُ(٣) النَّهرِى — [فإنه] يُدِرُّ الطَّمْثَ(٤) . وإن أُخِذَ من الفُوذَنْج الجبلىّ ١٠ أُوقِيَّةٌ وطُبِخ بنصف رِطل من ماءٍ حتى يبقى الثلثُ ويُشْرَب، سَهَّل السَّوْداء .

وقالت الأطباء : الحَنْدَقُوقُ(٥) يُورِثُ وَجَع الحَلْق، ويَذْهَب بضرره مَن يأكل بعده الكُزْبُرَة الرَّطْبَة والبَقْلَة الحَمْقاء والهِنْدِباء .

والطَّرْخُون(٦) يُؤكل مع الكَرَفْس .

قالوا : والراسِن(٧) ينفع من قِطَار البول اذا كان من بَرْدٍ، ويُقَوِّى المثانة .

---

١٥ (١) النمام : نبت ورقه كالسذاب، له بزر كالريحان، عطرى قوىّ الرائحة، سمى بذلك لسطوع رائحته . (٢) الحبق : نبات طيب الرائحة . (٣) الفوذنج : نبت، معرّب عن پوذينه، ويقال فيه : فودنج (باهمال الدال وضم الأوّل والرابع) . وأجناسه ثلاثة : برى ونهرى وجبلى ولكل منها أوصاف وخواص تجدها مفصلة فى مفردات ابن البيطار . (٤) الطمث : دم الحيض . (٥) تقدم شرح هذه الكلمة فى ص ٢٨٦ من هذا المجلد . (٦) قال ابن البيطار : الطرخون : ٢٠ بقلة معروفة عند أهل الشام وهى قليلة الوجود بمصر . وقال أبو حنيفة : ورقه طوال دقاق . (٧) الراسن : نبات يشبه الزنجبيل .

قالوا : والكَشُوثُ[1] يَذْهب بالأَرَقانِ .

قالوا : وعِنَبُ الثعلب قاطعٌ لدم الحيض إن شُرِب أو ٱحْتُمِل .

وقالوا : الكَرَفْسُ[2] اذا طُبِخ وشُرب كان دواءً من وجع الكُلْيَتين ومن الأُسْرِ[3] .

باب الحبوب والبزور

٥ تقول الأطبّاء فى حَبّ الفُلْفُل : اذا خُلِط بالسِّمْسِم وعُجِن بعسلِ الطَّبَرْزَذ[4] يَزِيد فى الجماع .

والعرب تزعُم أنّ الحبّة الخضراءَ وشُرْبَ ألبان ٱلإِيَّل عليها تبعَثُ الشَّهوةَ .

قال جرير :

أجعْثِنُ[5] قد لاقَيْتِ عِمرانَ شَارِبًا[6] * على الحبّة الخضراءِ ألبان إيَّلِ[7]

١٠ والحِمّص زائد فى الجماع ، مُكْثِرٌ للمَنِيّ ، محسِّن لِلّون ، زائدٌ فى لبن المُرْضِع ، يُدِرُّ دَمَ الحيض ، و إن خُلِط بالبَاقِلاَء أسمَنَ .

---

(١) الكشوث (بالفتح وهى أفصح لغاته) قال ابن البيطار : هو شىء يتعلق بالنبات مثـل الخيوط يشرب من ماء النبات الذى يتعلق به ولا أصل له فى الأرض ولا ورق ، لكن فى أطراف فروعه ثمـر لطاف وهو يسمو فى الشجر وتشتبك فروعه ، و يكثر فى الكروم الرطاب ، وكثيرا ما يفسد النبات ... الخ .

١٥ (٢) الكرفس : (بفتح أوّله وثانيه وسكون ثالثه) : نبت معروف وهو من أحرار البقـول عظيم المنافع .

(٣) الأُسْر : احتباس البول . (٤) الطبرزذ : السكر الأبيض . (٥) جعثن : اسم آمرأة وهى أخت الفرزدق . (٦) كذا فى لسان العرب مادة « أول » وفى الأصل : « ساريا » بالسين والياء وهو تحريف . (٧) الإيل (بكسر الهمزة وفتح الياء المشدّدة) : جمع أيل (بفتح الألف وكسر الياء المشدّدة) (وهو الذكر من الأوعال) . واختير الجمع هاهنا على الإفراد مع أن بكليهما يتزن

٢٠ الشعر ، «لجمع ألبان» ، إذ لوكان واحدا لقال ابن أيل (انظر اللسان مادّة أول) .

الأصمعي قال : قلت لابن أبي عُطارد : بلغني أنّ أباكَ كان ذا منزلةٍ من ابن سِيرين، فما حَفِظتَ عنه؟ قال قال أبي : قال لى ابن سيرين : يا أبا عُطارِد، إن سَوِيق العَدَس بارد وهو يَدفعُ الدَّمَ .

قالت الأطبّاء : إنّ الخَرْدَلَ نافعٌ من حُمّى الرِّبْع (١) والحُمّيَات المتقادِمة ووجع الأرحام ويُجفِّف (٢) ... من البلغم، ويُنْزِل الرطوبةَ من الرأس، وإن أُكِل مع السِّلْق المسلوق نفع من الصَّرْع، وإن طُلِيَ البَرَصُ به زال .

وقالت الأطباء : الحُرْف (٣) يُخْرِج حَبّ القَرْع من البطن، وينفَع من عِرْق النَّسَا ووَجعِ الوَرِك . وإن سُخِّن بالماء الحارّ وشُرِب منه وزنُ أربعةِ دراهمَ أو خمسة أسهلَ الطبيعةَ ونفَع من القُولَنْج .

وقال رجل من قُدماء الأطبّاء فى الباقَلاء (٤) : إنه اذا أُدْمِن أَكْلُ البصَر، وأحال الأحلامَ أضغاثاً لا يُنْتَفَعُ بها ولا يجد عابرُ الرؤيا الى تأويلها سبيلا .

ودهن الشّاهْدَانِج (٥) نافعٌ لوجع الأُذن العارض من البَرْد والعِلَل المتقادِمة منها .

---

(١) حمى الربع هى التى تأتى فى اليوم الرابع، وذلك أن يحم يوما و يترك يومين لا يحم و يحم فى اليوم الرابع . (٢) لم تتبين مكان هذه النقط فى الأصل فقد وقعت فى أوّل الصفحة ولم تظهر بالتصوير . وفى مفردات ابن البيطار فى الكلام على خواص الخردل أنه « يجفف اللسان الثقيل من البلغم » . (٣) الحرف (بالضم) : حب الرشاد . (٤) أنظر شرحه فى ص ٢٥٦ من هذا الجزء . (٥) الشاهدانج (و يقال فيه شاهدانك وشاهدانق وشهدانج بغير ألف بعد الشين) : القنب (بكسر القاف وتشديد النون مفتوحة) وهو نبات ذو قضبان طو يلة فارغة منتن الرائحة وله حب مستدير يؤكل وتتخذ منه حبال قوية .

باب الفاكهة

عن مَعْمَر بن خُثَم عن جدّته قالت : سمعت عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : اذا أكلتم الرُّمّان فكلوه بشَحْمه فإنه دِباغ للمَعِدة ، وذلك يومَ الجمعة على المِنْبر .

٥ الأصمعيّ : قيل لأعرابيّ : لِمَ تُبْغِض الرمّان ؟ قال : لأنه مَبْخَرة[1] مَجْفَرة مَجْعَرة .

قال : وقال يحيى بن خالد : شيئانِ يُورِثانِ القَمَلَ : التّينُ اليابس اذا أُكِل ، وبخار اللُّبان اذا تُبُخِّر به .

وقالت الأطِبّاءُ : ورقُ الخوخ وأقماعه إن دُقّ وعُصِر وشُرِب أسهل حبّ القَرْع والدِّيدانَ والحيّاتِ المتولِّدة فى البطن ، وإن صُبّ ماءُ ورقه فى الأذن أمات ١٠ الدّيدانَ فيها ، وإن تُدُلِّك بورقه بعد النُّورة[2] قطع ريحَها .

وحُمّاض الأُتْرُجّ[3] إن لُطِخ به الكَلَفُ والقُوبُ أذهبه . وحَبُّ الأُتْرُجّ نافعٌ من السّموم .

---

(١) مبخرة : مظنة للبخر وهو تغير ريح الفم . ومجفرة أى أنه يذهب شهوة الجماع . ومجعرة : يريد ١٥ يبس الطبيعة أى انه مظنة لذلك ، ومنه حديث عمر رضى الله عنه : «وإياكم ونومة الغداة فانها مبخرة مجفرة مجعرة» . (انظر اللسان والقاموس موادّ بخر وجفر وجعر) . (٢) النورة (بضم النون) : حجر الكلس ، ثم غلبت على أخلاط تضاف الى الكلس من زرنيخ وغيره ، وتستعمل لإزالة الشعر . قيل عربية وقيل معرّبة ، قال الشاعر :

فابعث عليهم سنة قاشوره * تحتلق المال كحلق النوره

٢٠ وسنة قاشورة : مجدبة تقشر كل شىء . (انظر المصباح المنير مادة نور) . (٣) حماض الأترج : ما فى جوفه ، قال ابن البيطار فى مفرداته نقلا عن أبى حنيفة الدينورى : الأترج كثير بأرض العرب وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بريا ، وأخبرنى بعض الأعراب أن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل وحملها مرّة واحدة فى السنة ، وورقها مثل ورق الجوز وهو طيب الرائحة ، فقاحه شبيه بنور النرجس إلا أنه ألطف منه .

وورق التُّفّاح الغضّ إن دُقّ بالرّفق أيّامًا خمسةً أو ستّةً ثم ضُمِد به الوَشْمُ قلعه من غير أن يَقْرَحَ موضعه .

عن الزُّهرىّ قال : حدّثنى رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” من بات وفى بطنه جَزرةٌ أو جَزَرتانِ أو ثلاثٌ أَمِن القُولَنْج والدُّبَيْلة[1] “ .

والفُسْتق : إن دُقّ وشُرِب بالمطبوخ الشديد نفع من لَسْع الهوَامّ .

واللُّفّاح[2] : سمّ ، وربما قتل آكله . وتُدفع مضرّته بالقىء بالشّراب والعسل والإسهال وشمّ[3] الفُلْفُل والخردلِ والجندبادسْتر[4] والسَّذاب والتّعطُّس .

قال وحدّثنى شيخٌ من الدَّهاقين عالمٌ بأيام العجم : أن بزرْجِمْهر قال لأهل الحبس : سلُوا الملك أن يرْزُقكم مكان الأُدْمِ الأُتْرُجّ ، ليكون القشر لطيبكم ، ولحمته لفاكهتكم ، والحُمّاض لصباغكم ، والحَبّ لدُهنكم . فكان ذلك أوّل ما عُرِفت به حكمتــه .

---

(١) الدبيــلة (وزان جهينة) : خراج ودمّل كبير ، تظهر فى الجوف فتقتل صاحبها غالبا .

(٢) اللفاح (وزان رمان) : ثمر اليبروح ، وهو أصفر طيب الرائحة فيه حب شبيه بحب الكمثرى . واليبروح صنفان : أحدهما يعرف بالأنثى ولونه الى السواد و يقال له ريوفس أى الخس لأن فى ورقه مشاكلة لورق الخس إلا أنه أدق من ورقه وأصغر ، وهو زهم ثقيل الرائحة ينبسط على وجه الأرض وليس له ساق . والآخر يعرف بالذكر له ورق بيض ملس كبار عراض شبيهة بورق السلق ولونه كالزعفران ، طيب الرائحة مع ثقل ، وتأكله الرعاة فيعرض لها يسير سبات وليس له ساق أيضا ، واللفاح أيضا : نوع من البطيخ صغير جسمه مخطط ورائحته طيبة الشم .

(٣) فى ابن البيطار فى الكلام على اليبروح أن ضرر اللفاح يعالج بأكل الفلفل وشرب الجندبادستر والسذاب والخردل .

(٤) كذا فى مفردات ابن البيطار . وفى الأصل : «الحندجدستر» .

باب مصالح الطعام

قال رئيس من رؤساء الطبّاخين : العجينُ يُمْلَكُ . وفى الحـديث المرفوع : " أمْلِكوا العجينَ فإنه أحدُ الرَّيْعين[1] " .

السَّوِيق : يُغْسَل بالمـاء الحارّ مرّاتٍ ثم بالبارد ويشرب .

والمِـلْح : يُتَقَبَّل به الطبيخُ .

والخَـلُّ : يُنْضِج العَدَسَ ويُصلِحه للأكل .

البَـاقِلّى : يُنْقَع ثم يُطبخُ . ولا يُؤكَلُ من الفاكهة إلا ما نَضِج على شجره ، ويُلْقَى ثُفْلُه وعَجَمُه[2] ، ويؤكَل على ريق النَّفْس .

والعِنَب : يُقطف ويُمهل أيّاماً ثم يؤكل . ولا يُؤكل من القِنَّب[3] إلا لُبُّه . ولا يُؤكل من الرأس إلا أسنانُه[4] وعيونُه .

الباذِنجان : يُشَقّ ويُحشى بالملح ، ويترك ساعةً فى المـاء البارد ، ثم يصبّ عنه ويعاد الى المـاء مرارا ، ثم يُسْلَق بعد ذلك .

الكَـبَرُ : يؤكَل بالخَلّ بعد غسله بالمـاء من الخلّ .

الزيتون : يؤكل وسط الطعام ويُصَبّ فى الخل .

---

(١) ملك العجين وأملكه : عجنه فأنعم عجنه وأجاده . والريع : الزيادة . أراد أن خبزه يزيد بما يحتمله من المـاء لجودة العجن . (٢) عجمه : نواه . (٣) القنب : نبات منتن الرائحة له حب مستدير يؤكل ، وفى الأصل «القند» وهو سكر القصب ولا لب له والتحريف فيه ظاهر . (٤) كذا فى الأصل ، ويحتمل أن يكون « لسانه » .

ويؤكل من الأُشْتُرغاز[١] خلّه ولا يُعرض لجسمه .

والكَمْأةُ : تُنَصَّفُ ويُقْشَر عنها قِشرُها، وتُسلق بالماءِ والملح ثم تُستعمل بالسَّعْتَر[٢] والفُلْفُل، وتُقلى بالزَيْتِ الرِّكابِيّ[٣]، وكذلك الفُطْر .

السِّلْقُ والكُرُنْبُ : يُسْلَقانِ بالماءِ والملح، ويُصَبُّ ماؤهما ثم يُستعملانِ .

٥ والبقولُ : تمسحُ ثم تؤكَل ولا تُغسل بالماءِ .

وأحْمَد التُّمُورِ الهَيْرُون[٤]. وأحْمَد البُسُور الجَيْسَرانُ[٥] . وما اصفرّ أحْمَدُ مما اسودّ .

وخير السَّمكِ الشَّبُّوطُ[٦] والبَنَانىّ والمَيّاح . ولا يؤكَل السَمكُ الطَرِىّ إلا حارًّا بالخَرْدل فى الشتاء، وفى الصيف بالخَلّ وبالأَبازِير . وأقلّ السَّمك أذًى المَمْقُور[٧].

وشرُّ السَّمكِ كِباره السمارِيس[٨] . وخيرُ السمارِيسِ البِيضُ، [وأكلها][٩] خيرٌ من أكل

١٠ الحمرِ، وشرُّها السّودُ .

---

(١) الاشترغاز : تأويله بالفارسية شوك الجمال، وهو نبات حريف رخو وليس له صمغ وهو طويل الشوك ترعاه الابل . (٢) السعتر : نبات طيب الرائحة حريف زهره أبيض الى الغبرة، ويقال له الصعتر بالصاد وهى اللغة الجيدة، والعامة تبدل السين زايا . (٣) كذا فى مفردات ابن البيطار فى الكلام على خواص الكمأة . وقد نقل ياقوت أن هذا الزيت منسوب الى الركابية وهو موضع على عشرة أميال من

١٥ المدينة، ثم قال : وأراه وهما لأن تلك النواحى قليلة الزيت إنما يجلب إليها من الشام على الركاب فهو منسوب إليها . (٤) الهيرون : البرى من التمر والرطب . (٥) الجيسران : جنس من أفخر النخل معرب، وفى الأصل «جيسوان» وهو تحريف . (٦) الشبوط (بفتح الشين وتضم وضم الباء المشدّدة): ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس لين المس . (٧) الممقور : الحامض المنقوع فى الخل أو الماء والملح . (٨) السماريس : صنف من السمك، رأس المملوح منه

٢٠ إذا أحرق قلع اللحم الزائد فى القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تسعى فى البدن، ويقلع الثآليل (راجع مفردات ابن البيطار) . وفى الأصل : «عماريس» وهو تحريف . وأصل الجملة فى الأصل هكذا «وشر السمك كباره العماريس البيض وخير العماريس البيض...الخ... والسياق يقضى بحذف «البيض» الأولى . (٩) زيادة يقتضيها السياق .

وخيرُ البَيْضِ بَيْضُ الشَّوابِّ من الدَّجاج، ولا خيرَ فى بَيْضِ الهَرِمةِ . وأخفّ البَيْضِ الرقيقُ، وأثقلُه البيضُ الصلب .

ولا يُعرَضُ من الرأسِ للدِّماغ ولا لِلّسانِ، ولا الغَلْصَمةِ[(١)] ولا الخَراطِيم .

ولَحْمُ العُنقِ خفيفٌ سريعُ الانهضامِ . وفى الحديثِ المرفوع : "العُنُقُ هادِيةُ[(٢)] الشاةِ وهى أبعدُها من الأذى" .

والفُقّـاعُ[(٣)] : يُشرَبُ قبل الطّعامِ ولا يُشرب بعده .

واللّـبنُ : لا يُؤكَلُ ولا يشرب إلا بعد وضْع الشاة بشهرٍ ونحوه .

والبـاقِلّى[(٣)] : يُؤكَل بعده الفُوذَنج[(٣)] فإنه يَذْهَب بنفختِه .

اللُّوبِيَاءُ[(٤)] : يؤكل بعـده الخَرْدَلُ الرَّطب ، ويُشرب بعـده ماء الرُّمّانِ والسَّكَنْجَبِينِ[(٥)] المعمول بالسكّرِ .

الهَرِيسةُ[(٦)] : تُؤكَل بالفُلفُلِ الكثيرِ والمُرِّيّ[(٧)] ولا يُجعل فيها السَّمْنُ .

والمَضِيرة[(٨)] : تُطْبَخ بالفُوذَنج والسَّذابِ والكَرَفْس .

---

(١) الغلصمة : رأس الحلقوم بشواربه (عروق فى الحلق) وحرقدته (عقدة الحلق) . (٢) الهادية من كل شىء : أوّله . (٣) تقدّم تفسيره فى صفحة ٢٨٠ من هذا المجلد . (٤) اللوبياء (بالمدّ والقصر، ويقال أيضا اللوبا، وهو مذكر) نبات معروف . (٥) السكنجبين : شراب من خل وعسل، ويراد به كل حلو وحامض، وهو معرب . (٦) الهريسة : طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم . (٧) المرىّ : الذى يؤتدم به، والعامة تخففه نسبة الى المرارة، ويسمى الكامخ، وهو عند الأطباء من الأدوية القـديمة، وأجوده المتخذ من دقيق الشعير . وقد ذكر خواصه ابن البيطار فى مفرداته وداود فى تذكرته، فراجعهما . (٨) المضيرة : اللحم المطبوخ باللبن الماضر أى الحامض . كان أبو هريرة تعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية، فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه؛ فاذا قيل له فى ذلك قال : مضيرة معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل؛ فقيل له شيخ المضيرة . (راجع مطالع البدور) .

الزَّيْتُ الرِّكابِيّ : اذا خُلِط بالخَلّ أو أُغْلِيَ على النار ثم رُفِعت رُغْوته عاد كالمغسولِ . وفى الحديث : أن عمر رضى الله عنه قال : عليكم بالزَّيْتِ ، فإن خِفْتم ضَرَره فأَمْخِنوه بالماء فإنه يصير كالسَّمْنِ .

عن عُقْبَة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عليكم[1] بالشَّجرةِ التِي نادَى اللهُ منها موسى عليه السلام زيتِ الزَّيتون ادَّهِنوا به فإنه شِفاءٌ من البَاسُورِ" .

الخَرْدَل : يُعْجَن بالخَلّ و يُغسل بالماءِ ورَمادِ البَلُّوط أو رمادِ الكَرْمِ مِرارًا بعد أن يُنْعَمَ دَقُّه ونَخْلُه ، ثم يُغسل بالماءِ القَراح ويُرَشّ بالماء حتى تخرُجَ رغوته ويكثر خَلُّه ، ويُخْلَط معه اللَّوزُ الحُلو أو ماءُ الرُّمَّانِ الحامض وماءُ الزَّبيب .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقل عنها الأصل الفتوغرافى] .

تم كتاب الطعام وهو الكتاب التاسع من عيون الأخبارِ لابن قتيبة ، ويتلوه فى الكتابِ العاشِرِ كتابُ النساءِ . والحمد لِلهِ ربِّ العالمين ، وصلاتُه على خيرِ خَلْقه محمدٍ وآله أجمعينَ .

وكتبه الفقيرُ الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علىّ الجزرىّ الواعظ ، فى شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

تجز كتاب الطعام ويتلوه فى الجزء العاشر كتاب النساء .

---

(١) ورد هذا الحديث فى الكشاف للزمخشرى (ج ٢ ص ٨٣ طبع مصر) والجامع الصغير هكذا : «عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور» .

جاء بعـد خاتمة الجزء التاسع من النسخة الخطية التى نقـل عنها الأصل الفتوغرافى ما يأتى :

قال الأصمعىّ : دخلتُ على هارونَ الرشيدِ و بين يديه بَدْرةٌ، فقال : ياأصمعىّ ، إن حدّثتَنِي بحديثٍ فى العَجْزِ فأضحكتنى وهبتُك هذه البدرة ؛ فقال : نعم ياأمير المؤمنين ؛ بينا أنا فى صَحارَى الأعرابِ فى يومٍ شديدِ البردِ والرّيح واذا بأعرابىٍّ قاعدٍ على أجَمةٍ وهو عُرْيان ، قد آحتملت الرِّيحُ كِساءَه ، فألقَتْه على الأجمة ؛ فقلت له : يا أعرابىّ ؛ ما أجْلَسَـك هاهنا على هـذه الحـالِة ؟ فقال : جاريةٌ وعدتْها يقال لهـا سَلْمى ، أنا منتظر لهـا ؛ فقلت : وما يَمْنَعُكَ من أخذِ كِسائِك ؟ فقال : العَجْز يوقِفُنى[1] عن أخْذِه ، فقلت له : فهل قلت فى سَلْمى شيئا ؟ فقال : نعم ؛ فقلت : أسمِعْنى لِله أبُوكَ ! فقال : لا أُسْمِعك حتى تأخذ كِسائى وتُلْقِيه علىّ ؛ قال : فأخذتُه فألقيتُه عليه ، فأنشأ يقول :

لعلّ الله أن يأتى بسلمى * فَيَبْطَحَها و يُلْقِينى عليهـا
و يأتى بعد ذاك سَحابُ[2] مُزْنٍ * تُطَهرنا ولا نَســعَى إليها

فضحك الرشيدُ حتى آستلْق على ظهره ، وقال : أعطوهُ البَدْرة ، فأخذها الأصمعىّ وانصرف .

(١) كذا بالأصل ، وأوقفه يوقفه لغة رديئة ، والفصحى : «وقفته» بغير الهمزة .

(٢) السحاب : الغيم ، وهو اسم جنس جمعىّ ولذلك يوصف بالمفرد مراعاة للفظه كقوله تعالى : « والسحاب المسخر بين السماء والأرض » وبالجمع مراعاة لمعناه كقوله تعالى : « و ينشئُ السحاب الثقال » و يعامل الفعل معه معاملته مع أمثاله من أشباه الجموع فتقول : أفرغ السحاب ماءه ؛ وأفرغت السحاب ماءها . ولذلك قال : تطهرنا على الوصف بالجمع .

ويُروى أن الحسن بن زَيْد لما وَلِيَ المدينةَ قال لآبن هَرْمة : إني لستُ كمن[1] باعَك دينَه رجاءَ مدْحك أو خوفَ ذمّك، فقد رزقني الله بولادة نبيّه عليه السلام المَمادحَ وجنّبني المقابحَ، وإنّ من حقّه عليّ ألّا أُغْضي على تقصيرٍ في حقّ ربّه. وأنا أُقْسِم لئن أُتيتُ بِك سكرانَ لأضربنّك حدًّا للخمر وحدًّا للسكر، ولأزيدنّ لموضع حُرْمتك بي. فليكُنْ تركُك لها لله تُعَنْ عليه، ولا تَدَعْها للناس فتُوكَل اليهم؛ فنَهَض ابن هَرْمة وهو يقول :

نَهاني آبنُ الرسولِ عن المُدام * وأدّبَني بآدابِ الكِرامِ
وقال لِيَ آصطبِر عنها ودَعْها * لخوفِ اللهِ لا خوفِ الأنامِ
وكيف تَصَبُّري عنها وحبّي * لها حبٌّ تمكّن في عظامي
أرى طِيبَ الحلالِ عليّ خُبْثا * وطِيبَ النفسِ في خُبْثِ الحَرامِ

ذكر هذا الخبر أبو العباس المبرّد في كتاب الكامل.

(١) كذا في الكامل للمبرد (طبع ليبزج ص ١٣٨) وفي الأصل «ممن».

